لِمَ كَان شَيخُ الإسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ شَدِيدَ العِنَايَةِ بالرَّدِّ علَى أَهلِ البِدَعِ، والأَهوَاءِ المُخَالفِينَ في أُصُولِ الدِّين - كُلٌّ بحَسَبهِ-، قَائمًا في ذَلكَ أَعظَمَ القِيَام، ضَاربًا فيهِ أَوفَرَ نَصِيبٍ في (حَيَاتِهِ)، و(دَعوَتِهِ)، و(تَعلِيمِهِ)، و(تَصَانِيفِهِ)، بَل و(سِجنِهِ !) ؟ .

فَهَلَّا أَقبَلَ عَلَى التَّصنِيفِ في عُلُومِ: (التَّفسِيرِ)، و(الحَدِيثِ)، و(الفِقهِ)، وغَيرِهَا مِمَّا آتَاهُ اللهُ تَعَالى فِيهَا مِن فَضلِهِ العَظِيمِ مَا لَا يَكَادُ يُقَاربُهُ فِيهَا أَحَدٌ في زَمَانِهِ ؟

(سُؤَالٌ) وُجِّهَ إِلَى ابن تَيمِيَّةَ، و(جَوَابُهُ)

[فَوَائدُ جَامِعَةٌ ومَعَالِمُ نَافِعَةٌ]

تَشَرَّفَ بالعِنَايَةِ به
الفَقِيرُ إِلَى سِترِ رَبِّهِ الخَفِيِّ
أَبُو العَبَّاسِ الشِّحري

كَلِمَاتٌ مُضِيئَةٌ

«فَــــ(الـــرَّادُّ عَـــلَى أَهـــلِ البِـــدَعِ مُجَاهِدٌ)؛ حَتَّـــى كَـــانَ يَحيَـــى بـــنُ يَحيَـــى يَقُولُ: الـــذَّبُّ عَـــن السُّـــنَّةِ أَفضَـــلُ مِـــن الجِهَادِ»

[ابنُ تَيمِيَّةَ]

«ونَحنُ وللهِ الحَمدُ عَلَى (عَظِيمِ الجِهَـــادِ فِي سَبِيلِهِ)، بَل جِهَادُنَا فِي هَذَا مِثلُ جِهَادِنَا يَـــومَ قَـــازَان، والجَبَلِيَّـــة، والجَهمِيَّـــةِ، والاتِّحَادِيَّـــةِ، وأَمثَـــالِ ذَلِـــكَ، وذَلِـــكَ مِـــن أَعظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَينَا، وعَلَى النَّاسِ، ولَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ»

[ابنُ تَيمِيَّةَ]

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحَمدُ لله الَّذي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى، ودِينِ الحَقِّ؛ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّـهِ، وكَفَى بِالله شَهِيدًا .

وأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وحدَهُ لا شَرِيكَ لهُ؛ إِقرَارًا بهِ، وتَوحِيدًا .

وأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ، ورسُولهُ .

- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ- تَسلِيمًا مَزيدًا] .

أَمَّا بَعدُ :

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في مُحكَم تنزيلِهِ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء] .

ويَقُولُ المَولَى سُبحَانَهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء].

ويَقُولُ عَزَّ قَائلًا حَكِيمًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة] .

وإِنَّ في كِتَاب الله العَزيزِ "**القُرآنِ الكَريم**" بَيَانَ الحَقِّ المُبِينِ، والرَّدَّ عَلَى أَنوَاعِ المُبطِلِينَ، كالرَّدِّ علَى المُشركِينَ، وهَذَا كَثيرٌ؛ لعُمُوم البَلوَى في النَّاس بالشِّركِ في الإِلَـهيَّةِ .

وفِيهِ الرَّدُّ علَى المُعطِّلَةِ كَالرَّدِّ علَى فِرعَونَ، وأَمثَالِهِ[1] .

---

(١) انظُر: «الرِّسَالَةَ الأَكمَليَّة في مَا يَجِبُ لله مِن صِفَاتِ الكَمَالِ» (ص٢٠) لابن تَيميَّة .

وفِيهِ الرَّدُّ عَلَى مُحَرِّفَةِ أَهلِ الكِتَابِ المُدَّعِينَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَن قَولِهم ثَالثُ ثَلاثَةٍ، والزَّاعِمينَ مِنهُم إِلـهيَّةَ عِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ -، وأَنَّهُ صُلِبَ، وقَولِ بَعضِهِم: إِنَّهُ سَاحِرٌ، وطَعنِهِم عَلَى سُلَيمَانَ - عَلَيهِ السَّلامُ -، وقَولِهم: إِنَّهُ كَانَ سَاحِرًا، وأَمثَال ذَلِكَ[1].

والصِّرَاعُ بَينَ "الحَقِّ"، و(البَاطِلِ) قَديمٌ، و"سُنَّةُ المُدَافَعَةِ" بَاقيَةٌ إلى قِيَام السَّاعَةِ.

ولِهَذَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بمُجَادَلَةِ مَن عَدَلَ عَن السَّبيلِ؛ فَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل].

وقَالَ تبَارَكَ وتَعَالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [العنكبوت/٤٦].

«فَكَانَ أَئمَّةُ الإسلامِ مُمتَثِلِينَ لأَمرِ المَلِيكِ العَلَّام:
يُجادِلُونَ أَهلَ الأَهوَاءِ المُضِلَّةِ؛ حتَّى يَرُدُّوهُم إِلَى سَواءِ المِلَّةِ»[2].

❑ ❑ ❑

أَخرَجَ الإِمَامُ مُسلمٌ في «صَحِيحِه» (١٩٢٠) مِن حَديثِ أَبي قِلَابَةَ، عَن أَبي أَسمَاءَ، عَن ثَوبَانَ - رَضيَ اللهُ عَنهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ -: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم؛ حَتَّى يَأتِيَ أَمرُ الله، وهُم كَذَلِكَ»**.

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «الجَوَابَ الصَّحِيحَ لِمَن بَدَّلَ دِينَ المَسيحِ» (٢/ ٧٨).
(٢) انظُر: «تَنبيهَ الرَّجُلِ العَاقِلِ علَى تَمويهِ الجَدَلِ البَاطِلِ» (١/ ٤) لابنِ تَيميَّة.

هَـذَا :

وإنَّ مِـمَّا لا يَخفَى عَلى مُنصِفٍ مَا حَفَلَت بِهِ سِيرَةُ **الإمَامِ شَيخِ الإسـلامِ تَقـيِّ الدِّينِ أَبِي العَبَّاسِ أَحمَدَ بنِ عَبدِ الحَلِيمِ ابنِ تَيمِيَّـةَ** (ت٧٢٨) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى- مِن مَنَاقِبَ جَمَّةٍ شَهِيرَةٍ، وفَضَـائلَ جَلِيلَـةٍ كَثِـيرَةٍ، شَـهِدَ بِهَـا المُنصِـفُونَ، والأَعـدَاءُ المُرجِفُونَ، وتَدَاوَلَتهَا الأَجيَالُ والسُّنُونُ .

و"مَنَاقِــبٍ" شَــهِدَ العَــدُوُّ بفَضــلِهَا

و"الفَضــلُ" مَــا شَــهِدَت بــهِ الأَعــدَاءُ

❑ ❑ ❑

وفي هَذِهِ الأَورَاقِ ذِكـرُ **"مَنقَبَةٍ وَاحِدَةٍ"** فَرِيدَةٍ جَلِيلَةٍ لِـهَذَا الإمَامِ الفَذِّ النَّبِيلِ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- هِيَ مِن أَشهَرِ مَنَاقِبِهِ؛ بَلهَ أَكبَرُهَا، وأَجَلُّهَا، أَلَا وهِيَ :

جِهَادُهُ فِي اللهِ تَعَالَى مُدَافِعًا عَن "مَعَـالِـمِ دِينِ الإسلامِ"، ورَميُهُ كُلَّ مَن عَـادَاهُ بأَسَدِّ السِّهَامِ، واحتِمَالُهُ فِي اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ، بَل "استِلذَاذُهُ"[1] الأَذَى، والـمَلَامِ؛ فَهُوَ فِي شُغلٍ شَاغِلٍ لا يَفتُرُ، ولا يَنَامُ .

قَائِمًا فِي اللهِ تَعَالَى بالسَّيفِ، والسِّنَانِ، نَاصِرًا دِينَهُ بـالقَلَمِ، واللِّسَـانِ، ظَـاهِرًا عَلَى خُصُومِهِ بالحُجَّةِ والبُرهَانِ .

❑ ❑ ❑

---

(١) حَتَّى قَالَ فِي حَبسِهِ كَمَا سَيَأتِي - إن شَاءَ اللهُ تَعالى- : «**واللهِ إنَّهُ نَازلٌ عـلَى قَلبـي مِـن الفَرَحِ، والسُّـرُورِ شَيءٌ؛ لَو قُسِمَ علَى أَهلِ الشَّامِ، ومِصرَ لَفَضَلَ عَنهُم !**» .

[عَصرُ ابنِ تَيميَّةَ]

كَانَ ذَلكَ العَصرُ مَليئًا بأَلوَانِ الفِتَنِ الدَّهماءِ، والقَلاقِلِ الْمُزَلزِلَةِ الَّتي عَانَى مِنهَا "**الإِسلامُ**"؛ حَتَّى عَادَ إِلَى غُربَةٍ شَديدَةٍ، وكُربَةٍ جِدُّ أَكِيدَةٍ .

فَقَد ظَهَرَت آرَاءُ الفَلاسفَةِ، وضَلالاتُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُنتَسِبَةِ إِلَى الإِسلام، وصَارَت هِيَ الأَصلَ في الدِّينِ لا يُخرَجُ عَنهَا، وظَهَرَت مِنهَا: "الاتِّحَاديَّةُ والحُلُوليَّةُ[1]"، وعَلَا شَأنُ غُلاةِ الصُّوفيَّةِ بأَحزَابِهَا، وطُرُقِهَا الكَثيرَةِ، وخُرَافَاتِهَا الْمُثيرَةِ، وتَعَالَت الرَّافضَةُ الغَويَّةُ بأَعناقِهَا، وكَانَت رِدءًا لأَعدَاء الدِّينِ .

وظَهَرَ في الأُمَّةِ الغُلُوُّ في الصَّالحينَ، وعِبَادَتُهُم مَعَ رَبِّ العَالمينَ، وبُنِيَت لَـهُم الْمَقَامَات، وشُرِّعَت لَـهَا الزِّيَارَاتُ، والتَّرتيبَاتُ؛ فَهُم عَن "**الإِسلامِ**"، وقَضَايَاهُ في شُغلٍ كَبيرٍ[2] !! .

---

(١) قَالَ الإِمَامُ ابنُ أَبي العِزِّ (ت٧٩٢) في «شَرحَ الطَّحَاويَّةِ» مُبيِّنًا سَيِّئَةً مِن مَسَاوئ قَول الجَهمِيَّةِ بـ (الإِغرَاقِ في نَفي الصِّفَاتِ عَن الذَّاتِ)، وأَنَّهُ قَولٌ فَتَحَ لتَلامِيذِ الجَهمِيَّةِ القَولَ بالحُلُولِ، أَو الاتِّحَادِ (١/ ٢٥): «**وهَذَا القَولُ قَد أَفضَى بِقَومٍ إِلَى القَولِ بالحُلُولِ، أَوِ الاتِّحَادِ، وهُوَ أَقبَحُ مِن كُفرِ النَّصَارَى؛ فَإِنَّ النَّصَارَى خَصُّوهُ بالْمَسِيحِ، وهَؤُلاءِ عَمُّوا جَمِيعَ المَخلُوقَاتِ**» انتَهَى، وفي كِتَابي "مَوقفُ الإِمَامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ أَبي مُحَمَّدٍ ابنِ قُدَامَةَ مِن أَبي الحَسَنِ الأَشعَريِّ والأَشعَريَّة، وتَحقيقِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ لهَذِهِ القَضِيَّةِ" - يَسَّرَ اللهُ نَشرَهُ-؛ إِفَادَةٌ نَافعَةٌ في هَذَا .

(٢) ومِن أَمثِلَةِ ذَلكَ مَا ذَكَرَهُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- في كِتَابِهِ «الرَّدُّ عَلَى البَكريِّ» (٢/ ٧٣٢-٧٣٣) في وَاقعَةِ دُخُول التَّتَرِ؛ فقَالَ: «**حَتَّى إِنَّ العَدُوَّ الخَارجَ عَن شَريعَةِ الإِسلَام لَـمَّا قَدِمَ دِمَشقَ خَرَجُوا يَستَغيثُونَ بالمَوتَى عِندَ القُبُور !! الَّتي يَرجُونَ عِندَهَا كَشفَ ضُرِّهِم !، وقَالَ بَعضُ الشُّعَراء :**

=

فِي أَلْوَانٍ مِن الانحِرَافَاتِ الكَبِيرَةِ الظَّاهِرَةِ، الَّتِي يَأْخُذُ بَعضُهَا رِكَابَ بَعضٍ، ومَآلُـهَا (كُلُّهَا) هَدمُ **"دِينِ الإِسلامِ"**، وتَقويضُ بُنيَانِهِ – **عِندَ مَن يَفهَمُ الكَلَامَ** !– .

ومَن أَنكَرَ مِنهَا (شَيئًا) – ولَـو يَسـيرًا– أُوذِيَ أَشَـدَّ الأَذَى، وجُلِـدَ بِسِـيَاطِ المَلامِ.

ومَـا فَتِئـتِ **"الأُمَّـةُ الإِسـلامِيَّةُ"** تَسـتَعِيدُ العَافيَـةَ مِـن (قَلاقِـلِ الصَّـليبيِّينَ الحَاقِدِينَ)؛ حَتَّى ظَهَرَ عَدُوٌّ غَاشِمٌ لَئِيمٌ – لا نَظِيرَ لَهُ– اجتَاحَ بِـ(كَلَبِـهِ) كَثـيرًا مِـن دِيَارِ المُسلِمينَ؛ حَتَّى بَغدَادَ دَارِ الخِلافَةِ، وقَتَلَ الخَلِيفَةَ المُستَعصِـمَ بـالله (ت٦٥٦)،

= **يَـــا خَـــائِفِينَ مِـــن التَّـــتَرْ لُـــوذُوا بقَـــبرِ أَبي عُمَـــرْ**

أَو قَالَ :

عُـــوذُوا بقَـــبرِ أَبي عُمَـــرْ يُنجِـــيكُمُ مِـــن الضَّـــرَرْ !

فقُلتُ لَـهُم: هَؤُلاءِ الَّذِينَ تَستَغِيثُونَ بهم؛ لَو كَانُوا مَعَكُم فِي القِتَالِ؛ لانهَزَمُوا كَمَا انهـزَمَ مَن انهزَمَ مِن المُسلِمِينَ يَومَ أُحُدٍ !! .. » إِلى آخرِ كَلامِهِ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى– .

وقَد أَجَادَ **خَادِمُهُ الشَّيخُ إِبرَاهِيمُ بنُ أَحمَدَ الغِيَانِيُّ** – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي سَردِ مَا تَفَرَّد بِهِ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى– عَنِ **العُلَمَاءِ قَبلَهُ، وفِي زَمَنِهِ مِن تَكسِـيرِ الأَحجَـارِ الَّتِي كَانَ النَّاسُ يَزُورُونَهَـا، ويَتَبَرَّكُـون بهَـا، ويُقَبِّلُونهَـا، ويَنـذُرُونَ لَـهَا النُّـذُورَ، ويُلطِّخُونهَـا بالخَلُوقِ، ويَطلُبُون عِندَهَا قَضَاءَ حاجَاتِهم، ويَعتَقِدُون أَنَّ فيهَا، أَو لَـهَا سِرًّا، وأَنَّ مَـن تعـرَّضَ لَهَا بسُوءٍ أُصِيبَ** فِي رِسَالَتِهِ اللَّطِيفَةِ: «نُبذَةٌ عَن آخِرِ حَيَاةِ شَـيخِ الإِسـلَامِ ابـنِ تَيمِيَّـةَ» (ص٨– ٢١/ ت محبِّ الدِّين الخَطِيب/ ط المَكتَب الإِسـلَامي/ ١٤٢٥)، وذَكَـرَ ابـنُ القَـيِّمِ جُملَـةً مِـن جُهُودِ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ فِي **"تَكسيرِ الأَنصَـابِ"** الكَثـيرَةِ فِي دِمَشـقَ هُـوَ، وأَصـحَابُهُ فِي «إِغَاثَةِ اللَّهفَانِ» (١/ ٢١٢) .

وسَـفَكَ الـدِّمَاءَ ثَجَّاجًـا[1]، وجَعَـلَ الـدِّيَارَ بَلاقِـعَ؛ وهُـم: (التَّتَـارُ) الظَّـالِمُونَ المُفسِدُونَ[2].

فَكَانَت حَيَاتُـهُ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى- حَافلَـةً بالجِهَـادِ لِـمُختَلِفِ (المِلَـلِ)، و(النِّحَلِ)، و(الطَّوَائفِ)، و(الفِرَقِ) ذَبًّا عَن "**مَـعَالِـمِ دِينِ الإِسلامِ**"، وذَودًا عَـن حِيَاضِهِ العِظَامِ[3].

❑ ❑ ❑

---

(١) في «تَاجِ العَرُوسِ» (٣/ ٣٠٨): «و(دَمٌ ثَجَّاجٌ) مُنصَبٌّ مُصَوَّبٌ» انتَهى.

(٢) قَالَ المُؤرِّخُ عِزُّ الـدِّينِ ابـنُ الأَثـيرِ (ت٦٣٠) في «الكَامـلِ» (١٠/ ٣٣٣): «**لَقَـد بَقِيتُ عِدَّةَ سِنِينَ مُعرِضًا عَن ذِكرِ هَذِهِ الحَادِثَةِ استِعظَامًا لَـهَا، كَارِهًا لِـذِكرِهَا؛ فَأَنَـا أُقَـدِّمُ إِلَيـهِ رِجلًا، وأُؤَخِّرُ أُخرَى!؛ فَمَنِ الَّذِي يَسهُلُ عَلَيهِ أَن يَكتُـبَ نَعـيَ الإِسـلَامِ، والمُسـلِمِينَ؟، ومَـنِ الَّذِي يَهُونُ عَلَيهِ ذِكرُ ذَلِكَ؟!؛ فَيَا لَيتَ أُمِّي لَـم تَلِدنِي!، ويَا لَيتَنِي مِتُّ قَبـلَ حُـدُوثِهَا، وكُنـتُ نَسـيًا مَنسِـيًّا ..!!**» انتَهـى، وانظُـر: شَـيئًا مِـن "**أَلِـيمِ الأَخبَـار**" في «الكَامـلِ» لابـنِ الأَثـيرِ (١٠/ ٣٣٣-٣٦٥)، و«تَارِيخِ الإِسلامِ» لِلـذَّهَبِيِّ (١٤/ ٨١٨-٨٢١)، و«البِدَايَـة والنِّهَايَـة» (١٣/ ١٠٣).

(٣) بَل إِنَّهُ كَانَ يُنكِرُ عَلَى مَن (**أَفتَى في مَسأَلَةٍ بغَيرِ عِلمٍ**) - وإِن كَانَ فِيـهِ فَضـلٌ-، قَـالَ ابنُ القَيِّمِ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- : «وكَانَ شَيخُنَا - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- **شَدِيدَ الإِنكَـارِ عـلَى هَـؤُلَاءِ؛ فَسَمِعتُهُ يَقُولُ: قَالَ لِي بَعضُ هَؤُلاءِ: أَجُعِلتَ مُحتَسِبًا علَى الفَتـوَى؟! فَقُلـتُ لَـهُ: "يَكُـونُ عـلَى الخَبَّازِينَ، والطَّبَّاخِينَ مُحتَسِبٌ، ولا يَكُونُ عَلَى الفَتوَى مُحتَسِبٌ ؟!"**» انتَهَى مِن «أَعلَامِ المُوقِّعين عن رَبِّ العَالمين» (٦/ ١٣١/ ت المُحَقِّقِ البَارعِ مَشهُورِ بنِ حَسَن).

هَذِهِ "**المَنقَبَةُ**"، و"**الفَضِيلَةُ**" مِن أَشهَرِ فَضَائلِ هَذَا الإمَامِ العَظِيمِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى–؛ حتَّى إنَّهُ انصَرَفَ – لعِظَمِ شَأنِ البَليَّةِ– عَن التَّصنِيفِ في "**تَفسِيرِ القُرآنِ**" – وهُوَ فَارسُ مَيدَانِهِ–، و"**شُرُوحِ الأَحَادِيثِ**" – وهُوَ ابنُ بَجدَتِهَا[1] –، و"**فِقهِ مَسَائلِ الأَحكَامِ**" – وهُوَ المُجتَهِدُ المُطلَقُ فِيهَا–[2] .

ولِهَذا أَجمَعَ كُلُّ مَن يَعرفُ سِيرَةَ هَذَا الإمَامِ :

أَنَّهُ كَانَ "**نَاصِرَ السُّنَّةِ**"، و"**قَامِعَ البِدعَةِ**"، وأَنَّهُ رَدَّ علَى أَهلِ الأَهوَاءِ والبِدَعِ بدَعهِم بالحُجَجِ القَاطِعَةِ، والبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ؛ حَتَّى قِيلَ مَا مَعنَاهُ: **لَو أَنَّ مُنشِئَ**

---

(١) قَالَ الخَليلُ بنُ أَحمَدَ (ت١٧٠) في «العَينِ» (٨/ ٥٣): «**ويُقَالُ للرَّجُلِ العَالِمِ بالأَمرِ: "هُوَ ابنُ بَجدَتِها"**، و"ابنُ مَدِينَتِهَا"» انتَهى، وانظُر: (٦/ ٨٨)، ومَعَاجِمَ اللُّغَةِ (ب ج د) .

(٢) قَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثير: «ووَجَدتُ بِخَطِّ [شَيخِ الشَّافعيَّةِ في زَمَانِهِ الإمَامِ] ابنِ الزَّمَلكَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "**اجتَمَعَت فِيهِ شُرُوطُ الاجتِهَادِ عَلَى وَجهِهَا**"، وشَهِدَ بهَذَا كَثيرٌ ممَّن عَرَفُوهُ، وتَرجَمُوهُ، قَالَ الحَافظُ ابنُ حَجَر: «**عُلَمَاءُ الشَّريعَة شَهِدُوا لَهُ بِأَنَّ "أَدَوَات الاجتِهَادِ" اجتَمَعَت فِيهِ**؛ حَتَّى .. أَشَدُّ المُتعَصِّبينَ عَلَيه ..» انتَهى، قَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثير: «... وكَانَ ذَكِيًّا، كَثِيرَ المَحفُوظِ؛ فَصَارَ "**إمَامًا في التَّفسِيرِ**"، ومَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، "**عَارفاً بالفِقهِ**"، فيُقَالُ: **إنَّهُ كَانَ أَعرَفَ بِفِقهِ المَذَاهِبِ مِن أَهلِهَا الذينَ كَانُوا في زَمَانِهِ، وغَيرِه**، وكَانَ "**عَالِماً باختِلَافِ العُلَمَاء**"، "**عَالِماً في الأُصُولِ والفُرُوعِ**"، و"**النَّحوِ**"، و"**اللُّغَةِ**"، وغَيرِ ذَلِكَ مِنَ العُلُومِ النَّقلِيَّةِ، والعَقليَّةِ، ومَا قُطِعَ في مَجلِسٍ، **ولا تَكَلَّمَ مَعَهُ فَاضِلٌ في فَنٍّ مِنَ الفُنُونِ إلَّا ظنَّ أَنَّ ذَلِكَ الفَنَّ فَنُّهُ** !، ورَآهُ عَارِفًا بِهِ، مُتقِنًا لَهُ، **وأَمَّا الحَدِيثُ**: فَكَانَ "**حَامِلَ رَايتِهِ**" حَافِظاً لَهُ مُمَيِّزًا بَينَ صَحِيحِهِ، وسَقِيمِهِ، عَارِفًا بِرِجَالِهِ، مُتَضَلِّعًا مِن ذَلِكَ» انتَهَى المُرَادُ مِن «البِدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ١٥٧–١٥٨/ ط إحيَاء التُّرَات)، وانظُر: «تَاريخَ ابنِ الوَرديِّ» (٢/ ٢٧٧)، «الرَّدَّ الوَافرَ» (ص١٠٧–١٠٩)، و«تَقريظَ ابن حَجَر علَى الرَّدِّ الوَافِرِ» (ص١٤) .

تِلكَ البِدَعَ، ومُختَرِعَهَا، والأُصُولَ الفَاسِدَةَ، ومُنتَحِلَهَا، والُمحَالَاتِ، والضَّـلَالاتِ، ونَاصِرَهَا :

قَرَؤُوا رُدُودَهُ عَلَيهِم بـ "**إِنصَافٍ**" لاقتَنَعُوا بـبُطلَانِ مَـا هُـم عَلَيـهِ، وأَيقَنُـوا فَسَادَ طُرُقِهِم، وأَدرَكُوا شِدَّةَ مُخَالَفَتِهَا لكِتَابِ اللهِ تَعَـالى، وسُـنَّةِ رَسُـولِهِ - صَـلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ-، ومَا اتَّفَقَ عليهِ الصَّحَابَةُ، والتَّابعُونَ، والأَئمَّةُ الَمهدِيُّونَ .

❑ ❑ ❑

ولكَبيرِ عِنَايَتِهِ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- **بـ"تَمييزِ الحَقِّ مِن البَاطِلِ" في هَذَا البَـابِ طَلَبَ مِنهُ خُصُومُهُ** - غَيرَ مَرَّةٍ، وكَانَ هَذَا مِن أَعظَمِ أَمَانِيهِم الكَاذِبَةِ- :

أَن يُسَلِّمَ لَـهُم (حَالَـهُم)، ويُسَالِـمَهُم، ولا يُعَارِضَهُم، ولا يَتَعَـرَّضَ لَــهُم، ولا يُنكِرَ عَلَيهِم، وهُم سَيَترُكُونَهُ، بَـل ويُكَافِئونَـهُ !، ويَكُـونُ هَـذَا (صُـلحًا) بَينَـهُ وبَينَهُم ! [(١)] .

---

(١) كَمَا جَرَى في **مناظَرتِه العَظيمَة** معَ البَطَائحيَّةَ كَمَا في «مَجمُوعِ الفتَاوى» (١١/ ٤٥٤-٤٥٥و٤٦٥و٤٦٧) .

وهَذَا صُوفيٌّ طُرُقيٌّ غَالٍ (رفَاعيٌّ) هُوَ: مُحَمَّدُ ابنُ السَّـرَّاجِ الدِّمَشقيُّ (ت٧٤٧)، يَكتُبُ نَصِيحَةً إِلَى ابنِ تَيميَّةَ، فِيهَا جَهلٌ عَريضٌ، وفَهمٌ عَليلٌ مَريضٌ، ومِـمَّا كَتَبَ فِيهَا قَولُهُ (ص٨٤) - وكَأَنِّي بِهِ يُكَفكِفُ دُمُوعَهُ !- : «**طُوبَى لِـمَن شَغَلَهُ عَيبُهُ عَن عَيبِ النَّاسِ !، وتَبًّا لِـمَن شَـغَلَتهُ عُيُوبُ النَّاسِ عَن عَيبِهِ، إِلَى كَم تَمدَحُ نَفسَكَ !، وشَقَاشِقَكَ !، وعِبَارَاتِـكَ !!**» إِلَى أَن قَـالَ: «**يَـا رَجُل باللهِ عَلَيكَ كُفَّ عَنَّا !!؛ فَإِنَّكَ مِـحجَاجٌ !، عَلِيمُ اللِّسَانِ !، لا تَقَـرُّ !، ولا تَنَـامُ !**» انتهـى بُكَاؤُهُ، وصُرَاخُهُ .

وقَريبٌ مِن هَذَا مَا جَرَى في مناظَرتِهِ في "**الوَاسطيَّةِ**" مَـعَ (الأَشـعَريَّةِ الكُلَّابيَّـة) كَـمَا في «مَجمُوعِ الفتَاوى» (٣/ ١٩٦-١٩٧)، قَالَ: «**فَقِيـلَ لِي: أَنـتَ صَـنَّفتَ اعتِقَـادَ الإِمَـامِ أَحمَـدَ !، وأَرَادُوا قَطعَ النِّزَاعِ !؛ لِكَونِهِ مَذهَبًا مَتبُوعًا؛ فَقُلت: "مَا خَرَّجتُ إِلَّا عَقِيـدَةَ السَّـلَفِ الصَّـالِحِ** =

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلَى سِترِ رَبِّهِ الخَفِيِّ

أَبُو العَبَّاسِ الشِّحري

مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ

- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ-

تَمَّ الكِتَابُ فِي يَومِ السَّبتِ السَّادسِ مِن ذِي الحِجَّةِ لـعَامِ ١٤٤٤

وتَـمَّت مُرَاجَعَتُهُ لَيلَةَ الثُّلَاثَاءِ الـسَّادسِ عَشَرَ مِن ذِي الحِجَّةِ لعَامِ ١٤٤٤

4 4 4

= **جَمِـيعِهِم!؛ لَـيسَ للإِمَـام أَحمَـدَ اختِصَـاصٌ بِهَـذَا**" !!» انتهـى، وانظُـر: «مَجمُـوعَ الفتَـاوى» (٣/ ١٦٩)، و«العُقُودَ الدُّرِّيَّة مِن مناقب شَيخ الإسلَام أَحمَد بن تَيميَّة» (ص٢٣٤-٢٣٥) .

تَنبِيهٌ: (نَصيحَةُ ابنِ السَّرَّاجِ) نُحِلَت زُورًا الإِمَامَ الحَافِظَ الذَّهَبِيَّ، وقَد حَقَّقَ القَولَ فِيهَـا الشَّيخُ البَحَّاثَةُ أَبُو الفَضلِ القُونَوِيُّ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ - جَـزَاهُ اللهُ أَحسَـنَ الجَـزَاءِ- فِي رسَـالَتِهِ «أَضوَاءٌ عَلَى الرِّسَالَةِ المَنسُوبَة إِلَى الحَافظِ الذَّهَبِيِّ النَّصِيحَةِ الذَّهَبِيَّةِ وتَحقِيقٌ فِي صَـاحبِهَا» (ط/ دَار المَأمُون للتُّرَاث/ ١٤٢٣) .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

شَهَادَاتُ الصَّادِقِينَ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

شَهَادَاتُ الصَّادِقِينَ

/ ١ / **قَالَ تِلمِيذُهُ العَلَّامَةُ سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو حَفصٍ عُمَرُ بـنُ عَـلِيٍّ البَـزَّارُ**[(١)] (ت٧٤٩) – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

---

(١) هُوَ العَلَّامَةُ الْمُحَدِّثُ الفَقيهُ الْمُقرِئُ عُمَرُ بنُ عَلِيٍّ بن مُوسَى بـنِ الخَليـلِ البَغـدَاديُّ، الأَزجيُّ، البَزَّارُ، تَرجَمَهُ تِلمِيذُهُ الحَافظُ الإِمَامُ عَبدُ الرَّحمَن ابنُ رَجَب؛ فقَالَ مَا حَاصِلُهُ : «الفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ، سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو حَفصٍ، .. سَمِعَ مِن جَماعَة، وعُنِيَ بالحَدِيثِ، وقَرَأَ الكَثـيرَ، ورَحَـلَ إِلَى دِمَشقَ، وقَرَأَ بِهَا صَحيحَ البُخَارِيِّ عَلَى الحَجَّار بالحَنبَليَّة، وحضَـر قِرَاءَتَهُ الشَّيخُ تَقيُّ الـدِّين ابنُ تَيميَّة، وخَلقٌ كَثيرٌ، وجَالَسَ الشَّيخَ تَقيَّ الدِّين، وأَخَذَ عَنهُ، وتَلَا ببَغدَاد خَتمَـةً لأَبي عُمَـر، وعَلى شَيخِنَا عَبد الله بنِ عَبدِ الْمُؤمِن الوَاسطيِّ، وقرَأَ عَلَيهِ بَعضَ تَصَانيفِه في القِـرَاءَات، وحَـجَّ مرَارًا، وأَعَاد بالْمُستَنصريَّة، ووَلي إمَامَةَ جَامع الخَليفَةِ ببَغداد مدَّةً يَسيرَةً، ثُمَّ أَقَام بِدِمَشـق مـدَّةً، أَو أَمَّ بِهَا بالضِّيَائيَّة، وكَانَ حَسَنَ القِرَاءةِ للقُرآن، والحَدِيثِ، ذَا عبَادَةٍ، وتَهجُّدٍ، وصنَّفَ كَثيرًا في الحَدِيثِ، وعُلُومهِ، وفي الفِقهِ، والرَّقَائق، وقَدِمَ في آخر عُمرهِ إِلَى بَغدَاد؛ فأَقَـامَ بِهَـا يَسِـيرًا، ثُـمَّ تَوَجَّه إِلَى الحَجِّ سنَةَ تِسع وأَربَعين، **وحَجَجتُ أَنَا تِلكَ السَّنَةَ** – أَيضًا– **مَعَ وَالِدِي؛ فقَرَأتُ عَـلَى شَيخِنَا أَبي حَفص عُمَرَ "ثُلَاثيَّاتِ البُخَارِيِّ" بالحِلَّة اليَزيدِيَّة**، ثُمَّ تُوفِّي – رَحمَهُ الله– قَبلَ وُصُولِه إِلَى مَكَّةَ، بمَنزلَة حَاجِر، صَبيحَة يَوم الثُّلَاثَاء حَادي عِشـرينَ ذِي القَعـدَة سَـنَة تِسـع وأَربَعِـين وسَبعمائةٍ، ويُقَالُ: إِنَّه كَانَ نَوَى الإِحرَامَ، وذَلِكَ قَبلَ الوُصُول إِلَى الميقَات، ودُفِنَ بتِلكَ الَمنزلَة، ومَعَهُ نَحوٌ مِن خَمسِينَ نَفسًا بالطَّاعُونِ – رَحِمَهُم اللهُ تَعَالَى–» انتهَى مِن «ذَيلِ طَبَقَـات الحنابلَـة» =

«وأَمَّا مَا خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِن :

"مُعَارضَةِ أَهلِ البدَعِ في بدعَتِهم"، و"أَهلِ الأَهوَاءِ في أَهوَائهم" .

ومَا أَلَّفَهُ في ذَلِك مِن دَحضِ أَقوَالِهم، وتَزييفِ أَمثَالِهم، وإِشكَالِهم، وإِظهَارِ عَوَارِهِم، وانتِحَالِهم، وتَبدِيدِ شَملِهِم، وقَطعِ أَوصَالِهم .

وأَجوِبَتِهِ عَن شُبَهِهِم الشَّيطَانيَّةِ، ومُعَارَضَتِهِم النَّفسَانيَّةِ للشَّريعَةِ الحَنِيفِيَّةِ المُحَمَّدِيَّة بِمَا مَنَحَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِن البَصَائر الرَّحمَانيَّة، والدَّلائل النَّقليَّةِ، والتَّوضِيحَاتِ العَقلِيَّةِ؛ حَتَّى انكَشَفَ قِنَاعُ الحَقِّ، وبَانَ بِمَا جَمَعَهُ في ذَلِكَ، وأَلَّفَهُ: الكَذِبُ مِن الصِّدقِ .

حَتَّى لَو أَنَّ أَصحَابَهَا أَحيَاءٌ - ووُفِّقُوا لغَيرِ الشَّقَاءِ-؛ لأَذعَنُوا لَهُ بالتَّصدِيقِ، ودَخَلُوا في الدِّين العَتِيقِ .

ولَقَد وَجَبَ عَلَى كُلِّ مَن وَقَفَ عَلَيهَا، وفَهِمَ مَا [فِيهَا] أَن يَحمَدَ اللهَ تَعَالَى على حُسنِ تَوفِيقِهِ هَذَا الإِمَامَ لنَصرِ الحَقِّ بالبَرَاهِين الوَاضِحَةِ العِظَام[1] .

حَدَّثَنِي غَيرُ وَاحِدٍ مِن العُلَمَاء الفُضَلاَءِ النُّبَلاءِ المُعِنِين بالخَوضِ في أَقَاوِيل المُتَكَلِّمينَ؛ لإِصَابَةِ الثَّوَاب، وتَمييز القِشرِ مِن اللُّبَابِ :

أَنَّ كُلًّا مِنهُم لَم يَزَل حَائرًا في تَجَاذُب أَقوَالِ الأُصُولِيِّينَ، ومَعقُولاَتِهِم، وأَنَّهُ لَم يَستَقِرَّ في قَلبِهِ مِنهَا قَولٌ، ولَم يَبِن لَهُ مِن مَضمُونِهَا حَقٌّ؛ بَل رَآهَا كُلَّهَا مُوقِعَةً في الحَيرَةِ، والتَّضلِيل، وجُلَّهَا مُمعِنًا بتَكَلُّف الأَدلَّة، والتَّعلِيل، وأَنَّهُ كَانَ خَائفًا على

=(٥/ ١٤٦-١٤٨)، وانظُر: «ذَيلَ التَّقييدِ في رُوَاة السُّنَن والأَسَانيدِ» (٢/ ٢٤٩)، و«الدُّرَرَ الكَامنَة في أَعيَان المائة الثَّامنَة» (٤/ ٢١١-٢١٢)، و«شَذَرَاتِ الذَّهَب في أَخبَار مَن ذَهَب» (٨/ ٢٧٨) .

(١) اللَّهُمَّ لَكَ الحَمدُ الوَافي الَّذي لا مُنتَهَى لَهُ عَلَى مَا قَيَّضتَ لنُصرَةِ دِينِك؛ فَلَكَ الحَمدُ كُلُّهُ، وجَزَى اللهُ شَيخَ الإِسلامِ ابنَ تَيميَّة عَلَى مَا قَامَ بِهِ أَحسنَ الجَزَاءِ .

نَفسِهِ مِن الوُقُوع بِسَبَبِهَا في التَّشكِيكِ، والتَّعطِيل؛ حَتَّى مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ بمطَالَعَتِهِ مُؤَلَّفَات هَذَا الإِمَام أَحْمَدَ ابنِ تَيمِيَّةَ شَيخِ الإِسلَام، ومَا أَورَدَهُ مِن النَّقليَّاتِ، والعَقليَّاتِ في هَذَا النِّظَام .

فَمَا هُوَ إِلَّا أَن وَقَفَ عَلَيهَا، وفَهِمَهَا؛ فَرَآهَا مُوَافقَةً لِلعَقلِ السَّلِيم، وعَلِمَهَا؛ حَتَّى انجَلَى مَا كَانَ قَد غَشيَه مِن أَقوَالِ المُتَكَلِّمين مِن الظَّلَام، وزَالَ عَنهُ مَا خَافَ أَن يَقع فِيهِ من الشَّكِ، وظَفِرَ بالمَرَام[1] .

ومَن أَرَادَ اختِبَارَ صِحَةِ مَا قُلتُهُ؛ فَليَقِف بِعَينِ الإِنصَافِ العَرِيَّةِ عَن الحَسَدِ، والانحِرَافِ - إِن شَاءَ- عَلَى مُختَصَرَاتِه في هَذَا الشَّأنِ[2] .

---

(١) وهَذَا الكَلَامُ حَكَاهُ بحُرُوفِهِ - أَيضًا- الإمام السُّرَّمَرِّي (ت٧٧٦)، وانظر: «الرَّدَّ الوَافِرَ» (ص٢٣٣) .

(٢) نَقَلَ الحَافِظُ ابنُ عَبدِ الهَادي في كِتَابِه «طَبَقَاتِ عُلَمَاء الحَديثِ» (٤/ ٢٨٤) عَن العَلَّامَةِ كَمَالِ الدِّين ابنِ الزَّمَلكَانيِّ (ت٧٢٧) مِن خَطِّهِ عَلَى جُزء: «رَفع المَلام عَن الأَئمَّة الأَعلام»، وفِيهِ ثَنَاءٌ كَثيرٌ، وكَبيرٌ مِنهُ قَولُهُ: «.. آخِرِ المُجتَهِدِين، أَوحَدِ عُلَمَاءِ الدِّين، بَرَكَةِ الإِسلَام، حُجَّةِ الأَعلَام، بُرهَانِ المُتَكَلِّمِين، قَامِع المُبتَدِعِينَ، مُحيي السُّنَّةِ، ومَن عَظُمَت بِهِ لله عَلَينَا المِنَّةُ، وقَامَت به عَلَى أَعدَائهِ الحُجَّةُ، واستبَانَت ببَرَكَتِهِ، وهَديهِ المَحَجَّةُ ..» انتَهَى المُرَادُ، ونَقَلَ هَذَا الثَّنَاءَ بحُرُوفهِ الحَافظُ السُّيُوطيُّ (ت٩١١) مُصَدِّرًا بِهِ الجَوَابَ عَن حَرفِ (لَو)، نَقَلَ ذَلكَ العَلَّامَةُ أَبُو البَرَكَات نُعمَانُ الآلُوسيُّ (ت١٣١٧) في «جَلَاءِ العَينَين في محَاكمَة الأَحمَدَين» (ص٢٠-٢١) .

كـ "**شَرحِ الأَصبَهَانيَّة**"، ونَحوهَا .

وإِن شَـاءَ عـلَى مُطَوَّلَاتـهِ كــ "**تَخلِـيصِ التَّلبـيس مِـن تَأسـيسِ التَّقـدِيسِ**"، و "**المُوَافَقَة بَينَ العَقلِ والنَّقلِ**"، و "**مِنهَاجِ الاستِقَامَةِ، والاعتِدَال**" .

فَإِنَّهُ - والله - يَظفَرُ بِالحَقِّ والبَيَانِ، ويَستَمسِكُ بِأَوضَح بُرهَانٍ، ويَزنُ حِينَئِـذٍ في ذَلِك بأَصَحِّ مِيزَانٍ» انتهَى المُرَادُ[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «الأَعلَامَ العَلِيَّة في مناقب ابن تَيميَّة» (ص٣١-٣٣) .

/ ٢ / **وقَالَ الحَافِظُ أَبُو عَبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عُثمَانَ بـنِ قَـايمَاز الـذَّهبيُّ** (ت٧٤٨) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

«ولَقَد نَصَـرَ "**السُّنَّةَ المَحضَةَ**"، و"**الطَّرِيقَةَ السَّلَفِيَّةَ**"، واحتَجَّ لَـهَا ببَرَاهِينِ، ومُقَدِّمَاتٍ، وأُمُورٍ **لَـم يُسبَق إِلَيهَا** !.

وأَطلَقَ عِبَارَاتٍ أَحجَمَ عَنهَا الأَوَّلُونَ، والآخِرُونَ، وهَـابُوا، وجَسَـرَ هُـوَ عَلَيهَا؛ حَتَّى قَامَ عَلَيهِ خَلقٌ مِن عُلَمَاءِ مِصرَ، والشَّأم قِيَامًا، لَا مَزِيدَ عَلَيهِ، وبَـدَّعُوهُ، ونَاظَرُوهُ، وكَابَرُوهُ، وهُوَ ثَابتٌ لَا يُدَاهِنُ، ولَا يُحَابِي، بَل يَقُولُ "**الحَـقَّ المُـرَّ**" الَّـذِي أَدَّاهُ إِلَيهِ اجتِهَادُهُ، وحِدَّةُ ذِهنِهِ، وسَعَةُ دَائرتِه فِي السُّنَن، والأَقوَالِ.

مَعَ مَا اشتَهَر عَنهُ مِن الوَرعِ، وكَمَالِ الفِكرَةِ، وسُرعَةِ الإِدرَاكِ، والخَوفِ مِـن الله، والتَّعظِيم لحُرُمَاتِ الله.

فَجَرَى بَينَهُ وبَينَهُم حَمَلَاتٌ حَربيَّةٌ، ووقَائعُ شَاميَّةٌ، ومِصريَّةٌ، وكَم مِـن نَوبَـةٍ قَد رَمَوهُ عَن قَوسٍ وَاحِدَةٍ؛ **فيُنَجِّيهِ اللهُ** !»[(١)].

---

(١) **وفِي هَذَا وَقَائعُ كَثِيرَةٌ؛ مِنهَا** : مَا جَرَى لَهُ أَيَّامَ بِيبَرس الجَاشِنكِير فِي شَهر رَبيع الأَوَّل سَنَةَ ٧٠٩، حِين أَمَر بتَسيِيرهِ إِلى الإسكَندريَّة؛ فخَـافَ محبُّـوه فِي دِمَشـقَ، ومِصـرَ مـن غَائلَـة الجَاشِنكِير، وشَيخِه المَنبِجِيِّ؛ فتَضَاعَفَ لَهُ الدُّعَاءُ، قَالَ الحَافظُ ابـنُ كَثـيرٍ: «وذَلِـكَ أَنَّهُـم لَـم يُمَكِّنُوا أَحَدًا مِن أَصحَابِهِ أَن يَخرُجَ مَعَهُ إِلَى الإِسكَندَرِيَّةِ؛ فَضَاقَت لَهُ الصُّدُورُ، وذَلكَ أَنَّهُ تَمَكَّنَ مِنهُ عَدُوُّهُ نَصـرٌ المَنبِجِيُّ!، وكَـانَ سَـبَبَ عَدَاوتِـهِ لَـه: **أَنَّ الشَّـيخَ تَقـيَّ الـدِّين كَـانَ يَنَـالُ مِـنَ الجَاشنكِيرِ، ومِن شَيخِهِ نَصرٍ المَنبِجِيِّ**، ويَقُولُ: "**زَالَت أَيَّامُهُ، وانتَهَت رِيَاسَتُهُ، وقَـرُبَ انقِضَـاءُ أَجلِهِ، ويَتَكَلَّمُ فِيهِمَا**"، **وفِي ابنِ عَرَبِيٍّ، وأَتبَاعِهِ، فَأَرَادُوا أَن يُسَيِّرُوهُ إِلَى الإِسكَندَرِيَّةِ كَهَيئَةِ المَنفِيِّ؛ لَعَلَّ أَحَدًا مِن أَهلِهَا يَتَجَاسَرُ عَلَيهِ؛ فيَقتُلُه غِيلَةً!**؛ فَمَا زَادَ ذَلِكَ النَّاسَ إِلَّا مَحَبَّةً فِيـهِ، وقُربًـا منـهُ، وانتفَاعًا بِهِ، واشتِغَالًا عَلَيهِ، وحُنُوًّا، وكَرَامَةً لَهُ» انتَهى، وذَكَرَ ابنُ كَثِيرٍ رِسَالَةً كَتبَهَا (عَبـدُ الله) (أَخُو الشَّيخ) حَاصِلُهَا: أَنَّ الشَّـيخَ أَرَادَ الرِّبَـاطَ فِي الثَّغـر، وأَرَادُوا كَيـدَهُ!؛ فانقَلَـبَ كَيـدُهُم، =

فَإِنَّهُ دَائِمُ الابتِهَالِ، كَثيرُ الاستِغَاثَةِ، قَويُّ التَّوَكُّل، ثَابتُ الجَأْشِ، لَهُ أَورَادٌ، وأَذكَارٌ يُدمِنُهَا بكَيفيَّةٍ، وجُمَعِيَّةٍ» انتَهى[(١)] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - بَعدَ ذِكرِ عُلُومِهِ :

«ونَظَرَ فِي العَقليَّات، وعَرَفَ أَقوَالَ المتكلِّمِين، ورَدَّ عَلَيهم، ونَبَّهَ عَلَى خَطَئِهم، وحَذَّرَ مِنهُم .

ونَصَرَ السُّنَّة بأَوضَح حُجَج، وأَبهَرِ بَرَاهِين، وأُوذِيَ فِي ذَاتِ الله تعَالى مِن المخَالِفينَ، وأُخِيفَ فِي نَصرِ السُّنَّة المَحفُوظَة؛ حتَّى أَعلَى اللهُ تعَالى مَنَارَهُ، وجَمَعَ قُلُوبَ أَهلِ التَّقوَى علَى مَحبَّتِهِ، والدُّعَاءِ لَهُ .

وكَبَتَ أَعدَاءَهُ، وهَدَى بِهِ رِجَالًا كَثِيرَةً مِن أَهلِ المِلَلِ والنِّحَلِ

وجَبَلَ قُلُوبَ المُلُوكِ، والأُمَرَاءِ علَى الانقِيَادِ لَهُ غَالبًا، وعلَى طَاعَتِهِ[(٢)] .

= وفُضِحُوا، وأَقبلَ أَهلُ الثَّغر يَتَعَلَّمُون الكتَابَ، والسُّنَّة، وتُوِّبَ رُؤُوسُ السَّبعِينيَّةِ، والعَربيَّةِ، وحَصَلَ مَا لا يُمكِنُ وَصفُهُ مِن الخَيرِ، ونَزَلَ علَى خصُومِه كالمَنبَجيِّ نُزُولَ المُقيمِ المُقعِد، ولُعِنُوا بأَسمَائِهم ... إلى آخرِ مَا ذَكَرَه، وانظُر: «البِدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ٥٦)، و«العُقُودَ الدُّرِّيَّة» (ص٢٩٠)، و«المُقَفَّى الكَبير» للمِقريزيِّ (١/ ٤٦٠-٤٦١و٤٦٣-٤٦٤) .

(١) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيَة» (ص١٣٣-١٣٤)، و«ذَيلَ طَبَقَات الحنَابلَة» (٤/ ٥٠٦)، و«تَاريخَ ابنِ الوَرديِّ» (٢/ ٢٧٧-٢٧٨) .

(٢) وقَد أَغَاضَ هَذَا قُلُوبَ حَاسدِيهِ؛ فَصَارُوا يَسعَونَ إلَى الوِشَايَةِ بهِ عِندَ المُلُوكِ، ويَنحَلُونَه (**إِرَادَةَ نَزعِ مُلكِهِم لنَفسِهِ**)!؛ وهِيَ قَضيَّةٌ قِيلَ فِيهَا قَدِيمًا: "**المُلكُ عَقيمٌ !**" .

ومِن ذَلكَ مَا حَكاهُ العَلَّامَةُ البَزَّارُ؛ فَقالَ: «وأَخبَرَنِي مَن لَا أَتَّهِمُهُ أَنَّ الشَّيخَ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - حِينَ وُشِيَ بِهِ إلى السُّلطَانِ المُعظَّم المَلكِ النَّاصِر مُحَمَّدٍ أَحضَرَهُ بَينَ يَدَيهِ، قَالَ: فَكَانَ مِن جُملَةِ كَلَامِهِ: "**إِنَّني أُخبرتُ أَنَّكَ قَد أَطَاعَكَ النَّاسُ، وأَنَّ فِي نَفسكَ أَخذَ المُلكِ !**"؛ فَلَم يَكتَرِث بِهِ، بَل قَالَ لَهُ بِنَفسٍ مُطمَئِنَّةٍ، وقَلبٍ ثَابتٍ، وصَوتٍ عَالٍ، سَمِعَهُ كَثِيرٌ مِمَّن حَضَرَ: "**أَنَا أَفعَلُ** =

وأَحيَا بِهِ الشَّامَ؛ **بَل "الإِسلَامَ" بَعـدَ أَن كَـادَ يَنـثَلِمُ !**[1] ، **خُصُوصًـا في كَائنَـةِ التَّتَارِ** .

وهُوَ أَكبَرُ مِن أَن يُنَبِّهَ عَلَى سِيرَتِه مِثلِي !؛ فَلَو حَلَفتُ بَينَ الرُّكنِ، والمَقَامِ :

"أَنِّي مَا رَأَيتُ بعَينيَّ مِثلَهُ، وأَنَّهُ مَا رَأَى مِثلَ نَفسِهِ؛ لَـمَا حَنِثتُ !"» انتَهَى[2] .

=**ذَلِكِ !! والله إِنَّ مُلكَكَ، ومُلكَ المُغلِ لَا يُسَاوِي عِندِي فَلسَـينِ !!"**؛ فَتَبَسَّـمَ السُّـلطَانُ لِـذَلكَ، وأَجَابَهُ في مُقَابلَتِهِ بِمَا أَوقَعَ اللهُ لَهُ في قَلبهِ مِن الهَيبَةِ العَظِيمَةِ: **"إِنَّـكَ والله لَصَـادِقٌ !، وإِنَّ الَّـذِي وَشَى بكَ إِلَيَّ كَاذِبٌ"**، واستَقَرَّ لَهُ في قَلبِهِ مِن **"المَحبَّةِ الدِّينِيَّة"** مَا لَولَاهُ لَكَانَ قَـد فتَـكَ بِـهِ مُنـذُ دَهرٍ طَوِيل مِن كَثرَةِ مَا يُلقَى إِلَيهِ في حَقِّهِ مِن الأَقَاويلِ الزُّورِ، والبُهتَانِ مِمَّن ظَاهر حَالِهِ للطَّغَـامِ العَدَالَةُ، وبَاطنُهُ مَشحُونٌ بِالفِسقِ، والجَهَالَةِ» انتَهَى مِن «الأَعلَامِ العَليَّة في منَاقب ابـن تَيميَّـة» (ص٧٢-٧٣) .

وهَا هُوَ يَقُولُ للمَدَّاحينَ لَهُ بَعدَ الانتِصَار عـلَى التَّتَـار في مَوقِـفٍ عَظِـيم مَهيـبٍ، يُزِيـغُ قُلُوبَ مَن يُرِيدُ العُلُوَّ في الأَرض، والوِلَايَة؛ فتَأَمَّل مَـا يَحكِيـهِ تِلمِيـذُهُ ابـنُ عَبـدِ الهَـادي عَنـهُ؛ فيَقُولُ: «ودَخَلَ جَيشُ الإِسلَام المَنصُور إِلَى دِمَشقَ المَحرُوسَةِ، **والشَّـيخُ في أَصـحَابهِ شَـاكيًا في سِلَاحِهِ، دَاخِلًا مَعَهم، عَاليَةً كَلِمَتُهُ، قَائِمَةً حُجَّتُهُ، ظَاهِرَةً وِلَايَتُهُ، مَقبُولَةً شَفَاعَتُهُ، مُجَابَةً دَعوتُهُ، مُلتَمَسَةً بَرَكَتُهُ، مُكَرَّمًا، مُعظَّمًا، ذَا سُلطَانٍ، وكَلِمَةٍ نَافِذَةٍ، وهُوَ مَعَ ذَلِـكَ يَقُـولُ للمَـدَّاحِينَ لَـهُ: "أَنَا رَجُلُ مِلَّةٍ، لَا رَجُلُ دَولَةٍ"**» انتَهَى مِن «العُقُودِ الدُّرِّية» (ص١٩٣) .

قُلتُ: ومِن بَابِ المُقَابَلَةِ بِـ**"الإِحسَانِ"**؛ فَقَد كَانَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- مُعظِّمًا السُّلطَانَ النَّاصِرَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، دَاعِيًا لَهُ كُلَّمَا ذَكَرَهُ، وكَاتَبَهُ، ومِن ذَلكَ قَولُهُ عَنهُ: «.. [**وَلِيُّ الأَمرِ**] **السُّـلطَانُ الَّـذِي مَـا رُئِـيَ في هَـذِهِ الأَزمَـانِ سُـلطَانٌ مِثلُـهُ زَادَهُ اللهُ عِلـمًا، وتَسدِيدًا، وتَأيِيدًا**» انتَهَى، وانظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٢٧/ ٣١٤و٣١٥) .

وسَيَأتِي لِـهَذَا تَتمَّةٌ مُهِمَّةٌ قَرِيبًا - إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى- .

(١) تَأَمَّل هَذِهِ الكَلِمَةَ .

(٢) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيةَ» (ص١٣٤)، و«ذَيلَ طَبَقَات الحنَابلَـة» (٤/ ٤٩٧)، و«الـرَّدَّ الوَافِرَ» (ص٧١-٧٢)، و«شَذَرَاتِ الذَّهَب» (٨/ ١٤٤)، و«طَبَقَاتِ المُفسِّـرين» للـدَّاوودِيِّ=

قَالَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

«.. وانفَرَدَ بِمَسَائِلَ؛ فَنِيلَ مِـن عِرضِـهِ؛ لأَجلِهَـا، وهُـوَ بَشَــرٌ، لَـهُ ذُنُـوبٌ، وخَطَأٌ»[1] .

ومَعَ هَذَا: "فَوَ الله مَا مَقَلَت عَيني مِثلَهُ !، ولَا رَأَى هُوَ مِثلَ نَفسِهِ" ! .

=(١/ ٤٩)، و«التَّاجَ المُكَلَّل مِن جَـوَاهر مَـآثر الطِّـرَاز الآخِـر والأَوَّل» للقِنَّـوجِيِّ (ص٤١٦)، و«جَلَاءَ العَينَين في محاكَمَة الأَحمَدَين» للآلُوسيِّ (ص٢٠) .

(١) قَالَ في «تَذكرَةِ الحُفَّاظ» - بَعدَمَا أَطرَاهُ- : « .. **وقَد انفَرَدَ بفَتَاوى نِيلَ مِن عِرضِـهِ؛ لأَجلهَا، وهِيَ مَغمُورَةٌ في بَحر عِلمِهِ**؛ فَاللهُ يُسَامحُهُ، ويَرضَى عَنهُ؛ **فَمَا رَأَيتُ مِثلَـهُ**، وكُـلُّ وَاحِـدٍ يُؤخَذُ مِن قَولِهِ، ويُترَكُ؛ **فكَانَ مَاذَا ؟!**» انتَهَى .

وقَالَ الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ : «**وبالجُملَةِ: كَانَ** - رَحِمَهُ اللهُ- **مِـن كبَـارِ العُلَـمَاءِ، وممَّـن يُخطِـئُ ويُصِيبُ، ولَكِنَّ خَطَأَهُ بالنِّسبَةِ إلَى صَوَابِهِ كَنُقطَةٍ في بَحرٍ لُـجِّيٍّ !، وخَطَأُهُ** - أَيضاً- **مَغفُورٌ لَـهُ**، كَمَا في "صَحِيح البُخَارِيِّ": «**إذَا اجتَهَدَ الحَاكِمُ؛ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجرَانِ، وإِذَا اجتَهَـدَ فَأَخطَـأَ؛ فَلَـهُ أَجرٌ**»؛ فهُوَ مَأجُورٌ، وقَالَ الإِمَامُ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ: **كُلُّ أَحدٍ يُؤخَذُ مِن قَولِهِ، ويُترَكُ إلَّا صَـاحِبُ هَذَا القبرِ**» انتَهَى مِن «البدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ١٦٠) .

ثُمَّ وَقفتُ علَى **اعتِمَاد** الشَّيخ المُسنِدِ عَبد الحَيِّ الكتَّانيِّ (ت١٣٨٢) "**كَلِمَةَ الذَّهَبيِّ**" الَّتي في«تَذكرَةِ الحُفَّاظ»، و"**كَلِمَةَ ابنِ كَثيرٍ**" هَذِهِ في كِتَابهِ «فِهرِسِ الفَهَارس والأَثبَاتِ» (١/ ٢٧٦) بَعدَ أَن بَالَغَ في الثَّنَاء عَلَيه، ووَصَفَهُ بـ(**إمَام السُّنَّة، الحَافِظِ الكَبيرِ**)، وسَرَدَ ثَنَاء العُلَمَاءِ عَلَيهِ، ومَا صُنِّفَ في تَرجَمَتِهِ إلَى أَن قَالَ: «**وهُوَ مِن الأَفرَادِ الَّذِينَ كَثُـرَ الخَـبطُ في شَـأنِهِم بَـينَ مُكَفِّـرٍ، وبَـينَ ذَاهِبٍ بهِم إلى مَنزلَةِ المَعصُومِينَ، والإنصَافُ فِيهِ قَولُ الحَافظِ ابنِ كَثيرٍ** .. - ثُمَّ ذَكَـرَ مَـا سَبَقَ، وذكَرَ كَلمَةَ الذَّهَبيِّ- إلى أَن قَالَ: .. **وهُوَ الإنصَافُ فِيهِ**» انتَهَى .

ولَـم يَذهَب أَحَدٌ مِن مُحِبِّي شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- ، وأَصحَابِهِ، وتَلامِيذِهِ بهِ إِلَى "**مَنزلَةِ المَعصُومينَ**"؛ فَهـذِهِ الكَلمَـةُ فيهَـا نَظَـرٌ؛ أَفَـادَهُ شَـيخُنَا فَضـيلَةُ الوَالِـدِ عَبدُ الرَّحمَن البَرَّاكُ - عَافَاهُ اللهُ، وجَزَاهُ خَيرًا- .

وكَـانَ "إِمَامًـا"، "مُتبَحِّـرًا في عُلُـومِ الدِّيَانَـةِ"، "صَـحِيحَ الـذِّهنِ"، "سَرِيـعَ الإِدرَاكِ"، "سَيَّالَ الفَهمِ"، "كَثِيرَ المَحَاسِنِ"، "مَوصُوفًا بِفَرطِ الشَّجَاعَةِ، والكَرَمِ" .

فَارِغًا عَنِ شَهَوَاتِ المَأكَلِ، والمَلبَسِ، والجِمَاعِ[1]، لَا لَذَّةَ لَهُ فِي غَيرِ نَشرِ العِلـمِ، وتَدوِينِهِ، والعَمَلِ بِمُقتَضَاهُ» انتهَى المُرَادُ[2] .

❑ ❑ ❑

قَالَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«وآلَ الأَمرُ إِلَى أَن مُنِعَ مِن الكِتَابَةِ، والمُطَالَعَةِ، ومَا تَرَكُوا عِندَهُ كُرَّاسًـا !، ولا دَوَاةً !، وبَقِيَ أَشهُرًا عَلَى ذَلِكَ؛ فَأَقبَلَ عَلَى التِّلَاوَةِ، وبَقِـيَ يَختِـمُ فِي ثَـلَاثٍ، وأَكثَـرَ، ويَتَهَجَّدُ، ويَعبُدُ رَبَّهُ، حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ .

وفَرِحتُ لَهُ بِهَذِهِ الخَاتِـمَةِ[3]؛ فَإِنَّهُ كَانَ لا لَذَّةَ عِنـدَهُ تُـوَازِي "كتَابَـةَ العِلـمِ"، و"تَأْلِيفَهُ"؛ فَمُنِعَ أَطيَبَ غِذَائِهِ ! - رَحِمَهُ اللهُ - .

---

(١) تَأَمَّل هَذِهِ الكَلِمَةَ .

وقَالَ - أَيضًا- : «ولَـم يَتزَوَّج، ولا تَسَرَّى، ولا لَهُ مِن المَعلُـوم إِلَّا شَيءٌ قَلِيـلٌ، وإِخـوَةٌ تَقُومُ بمَصالِحِه، ولا يَطلُبُ مِنهُم غَدَاءً، ولا عَشَاءً فِي غَالِبِ الوَقتِ، ومَا رَأَيتُ فِي العَالَـمِ أَكرَمَ مِنهُ، ولا أَفرَغَ مِنهُ عَن الدُّنيَا، والدِّرهَم، بَل لا يَذكُرُهُ، ولا أَظُنُّهُ يَدُورُ فِي ذِهنِـهِ!، وفِيـهِ مُـروءَةٌ، وقِيَامٌ مَعَ أَصحَابِهِ، وسَعيٌ فِي مَصَالِـحِهم، وهُوَ لَونٌ عَجِيبٌ، ونَبَأٌ غَرِيبٌ» انتَهَـى مِـن التَّرجَمَـةِ المَفقُودَةِ، وانظُر: «ذَيلِ طَبَقَات الحَنابلَة» (٤/ ٥٠٨-٥٠٩) .

(٢) انظُر: «المُعجَمَ المُختَصَّ بالمُحَدِّثين» (ص٢٥) .

(٣) وهَذَا "الفَرَحُ" لِـ"عَظِيمِ مَحَبَّةِ الذَّهَبِيِّ لِشَيخِهِ ابنِ تَيمِيَّةَ"، لا كَمَا يَفتَرِي بَعضُ كَذَبَةِ الأَشَاعِرَةِ الكُلَّابِيَّةِ المُعَاصِرِينَ أَنَّهُ خَصمٌ لَهُ ! .

فَلَم يَفجَإِ النَّاسَ إِلَّا نعيُهُ، ومَا عَلمُوا بمَرَضِهِ؛ فتَأَسَّفَ الخَلقُ عَلَيـهِ، ودَخَـلَ إلَيه أَقَاربُهُ، وخَوَاصُّهُ، وازدَحَمَ الخَلقُ علَى بَاب القَلعَةِ، وبالجَامِعِ؛ حتَّى بَقِـيَ مِثـلَ صَلَاةِ الجُمُعَةِ سَوَاءً، أَو أَرجَحَ ..» انتَهَى المُرَادُ[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) وهَذِهِ التَّتِمَّةُ هِيَ مِن التَّرجَمَةِ المَفقُودَةِ الَّتي كَتَبهَا الحَافظُ الذَّهَبيُّ لشَيخِهِ ابـنِ تَيمِيَّـةَ ضِمنَ «سِيَرِ أَعلامِ النُّبَلاءِ»، أَو «ذَيلِهِ»، وسَمَّاهَا ابنُ الوَرديِّ في «تَاريخِهِ» (٢/ ٢٧٩) بـ «الـدُّرَّةِ اليَتِيميَّةِ في السِّيرَةِ التَّيمِيَّةِ»، وقَد نَشَـرَهَا أَبـو عَبـدِ الله حُسَـينُ بـنُ عُكَاشَـة في ضِـمن كِتَـابِ «المَسَائل والأَجوِبَةِ» (ص٢٣٥-٢٤٩/ نَشر الفَاروق الحَديثَة)، ونَشَـرَهَا - أَيضًـا- السَّـكرَان التَّميميُّ عَن مَخطُوطٍ وجَعَلَهَا «التَّرجَمَة المَفقُودَةَ مِن كِتَاب سِيَرِ أَعـلام النُّـبَلاءِ» (نَشـر شَـبَكَة الأَلُوكَة)، وطُبِعَـت - أَيضًـا- في كِتَـاب «تَكمِلَـة الجَـامع لسِـيرَة شَـيخ الإِسـلَام» (ص٣٧- ٥١/ دَار عَالم الفوائـد)، وطُبِعَـت - أَيضًـا- في كِتَـاب مُفـرَدٍ بـدَار الرِّسَـالَة العَالميَّـة في مُجَلَّـد (ص٥٣-١١٣) مَعَ مُلحَقَاتٍ بتَحقيق د. خَالدِ الرَّبَعيِّ (ط١/ ١٤٣٤) .

/ ٣/ وقَالَ الإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ أَبُو عَبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكـر ابـنُ قَـيِّمِ الجَوزِيَّـةِ (ت٧٥١) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي وَصفِ ابنِ تَيمِيَّةَ شَيخ الإسلَام، والمُسلِمينَ :

«القَائِمُ بِبَيَانِ الحَقِّ، ونُصـرَةِ الـدِّينِ، الـدَّاعِي إِلَى الله، ورَسُـولِه، المُجَاهِـدُ فِي سَبيلِهِ، الَّذِي أَضحَكَ اللهُ بِهِ مِن الدِّينِ مَا كَانَ عَابِسًا، وأَحيَـى مِـن السُّـنَّةِ مَـا كَـانَ دَارِسًا .

والنُّورُ الَّذِي أَطلَعَهُ اللهُ فِي لَيلِ الشُّـبُهَاتِ؛ فكَشَـفَ بِـهِ غيَاهِـبَ الظُّلُـمَاتِ، وفَتَحَ بِهِ مِن القُلُوب مُقفَلَهَا، وأَزَاحَ بِهِ عَن النُّفُوسِ عِلَلَهَا .

فقَمَعَ بِهِ زَيغَ الزَّائِغِينَ، وشَكَّ الشَّاكِّينَ، وانتِحَالَ المُبطِلِينَ .

وصَدَقَت بِهِ بِشَارَةُ رَسُول رَبِّ العَالمين، بِقَولِهِ :

"إِنَّ اللهَ يَبعَثُ لِـهَذِهِ الأُمَّةِ علَى رَأسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لَـهَا دِينَهَا"[١] .

---

(١) صَحِيحٌ: أَخرجه أَبو دَاود فِي «سُننِه» (٤٢٩١)، والحَاكِمُ فِي «المُستَدرك» (/ ٥٢٣-٥٢٤)، والطَّـبرانِيُّ فِي «الأَوسَـط» (٦٥٢٧)، والبَيهقـيُّ فِي «المَعرفَـة» (٤٢٢) مِـن حَـديث شَرَاحِيلَ بنِ يَزِيدَ المُعَافِرِيِّ، عَن أَبِي عَلقَمَةَ، عَن أَبِي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا، قَـالَ الطَّبرانِيُّ: «لَا يُـروَى هَذَا الحَدِيثُ عَن رَسُولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- إِلَّا بِهَذَا الإِسـنَادِ، تَفَـرَّدَ بِـهِ ابنُ وَهبٍ»، وأَبُو عَلقَمَة هُوَ المِصـرِيُّ، مَولَى بنـي هَاشـم، قَـالَ أَبـو حَـاتمٍ الـرَّزِيُّ: «أَحادِيثُـهُ صِحَاحٌ» .

فالإِسنَادُ صَحيحٌ، وانظُر: «السِّلسلَةَ الصَّحِيحَةَ» (٥٩٩) .

وبِقَولِهِ :

"يَحمِلُ هَذَا العِلمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنفُونَ عَنهُ تَحرِيفَ الغَالِينَ"[(١)] ،

---

(١) **صَحِيحٌ: هَذَا الحَديثُ مَشهُورٌ، ولَهُ شَأنٌ**، وعَامَّةُ أَسَانيدِهِ لا تَصِحُّ، ومِن أَحسَنِ مَن تَكَلَّمَ عَلى طُرُقِهِ الشَّيخُ المُحَقِّقُ جَاسِم الفَهيدُ الدَّوسريُّ - جَزَاهُ اللهُ خَيرًا- في كِتَابِهِ «الرَّوضِ البسَّام بتَرتيب وتَخريج فوَائد تمَّام» (١/ ١٤٢-١٤٦)، قَالَ الدَّارقُطنيُّ: «لا يَصِحُّ مَرفُوعًا إنَّما هُوَ عَن إبرَاهِيمَ بنِ عَبدِ الرَّحمَن العُذريِّ عَن النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- يَعنِي مُرسَلا-»، وقَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ: «رُوي عَن أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ، وأَبي هُريرَةَ بأَسَانيدَ كُلُّهَا مُضطَربةٌ غَيرُ مُستقيمَةٍ»، وقَالَ البُلقينيُّ (ت٨٠٥) في «محَاسِن الاصطِلَاح» (ص ٢١٩/ مَعَ عُلُوم ابن الصَّلاح): «الحَديثُ لَم يَصحَّ؛ فإنَّهُ رُوي مَرفُوعًا مِن حَديثِ أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ، وأَبي هُريرةَ، وابنِ مَسعُودٍ، وغَيرِهِم، **وفي كُلِّهَا ضَعفٌ**» انتَهَى.

قُلتُ: وأَقوَى مَا يُمكِنُ أَن يُحَسَّنَ بِهِ الحَديثُ؛ هوَ: **جَوابُ الإمَام أَحمَد** - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حِينَ سَأَلَهُ مُهَنَّا بنُ يَحيَى؛ فقَالَ: «قُلتُ لأَحمَدَ: **كَأَنَّهُ كَلَامٌ مَوضُوعٌ**!؛ **قَالَ: "لَا، هُوَ صَحِيحٌ"**؛ **فَقُلتُ: مِمَّن سَمِعتَهُ أَنتَ؟، قَالَ: مِن غَيرِ وَاحِدٍ، قُلتُ: مَن هُم؟؛ قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِ مِسكِينٌ، إلَّا أَنَّهُ يَقُولُ: مُعَانٌ، عَنِ القَاسِمِ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ، قَالَ أَحمَدُ: مُعَانُ بنُ رِفَاعَةَ، لَا بَأسَ بِهِ**» أَخرَجَهُ الخَطيبُ في «شَرَف أَصحَاب الحَديثِ» (ص٢٩).

والحَديثُ - أَيضًا- **مَعنَاهُ صَحيحٌ، ولَهُ شَواهِدُ تُؤيِّدُهُ كَثيرَةٌ، وعَلَيهِ أَنوَارُ النُّبُوَّةِ**، وإن لَم تَثبُت أَسَانيدُهُ المَشهُورَةُ - عِندَ المُحَاققَةِ-؛ وقَد احتَجَّ بِهِ شَيخُ الإسلام - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مِرارًا، **وجَزَمَ برَفعِهِ إلى النَّبيِّ** - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ-، كَما تَرَاهُ في «دَرءِ تَعَارض العَقل والنَّقل» (٨/ ٦٢)، و«مَجمُوعِ الفتَاوى» (١٥/ ٢٩٨)، و«الرَّدِّ عَلَى البَكريِّ» (١/ ١٧٢)، وغَيرِهَا.

فالأَقرَبُ - واللهُ أَعلَمُ- **ثُبُوتُ هَذَا الحَديثِ، وأَنَّهُ مِن أَعلامِ النُّبُوَّةِ**، وبِصِحَّتِهِ قَالَ الإمَامَانِ المُحَقِّقَانِ ابنُ الوَزيرِ (ت٨٤٠) في كِتَابِهِ «العَوَاصِم والقَوَاصم في الذَّبِّ عَن سُنَّة أَبي=

وانتِحَالَ المُبطِلِينَ"» انتهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

«ثُمَّ نَظَرَ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ، وانتَصَرَ لِكِتَابِهِ، ودِينِهِ، وأَقَامَ جُندًا يَغزُو مُلُوكَ هَؤُلَاءِ بِالسَّيفِ، والسِّنَانِ، وجُندًا يَغزُو عُلَمَاءَهُم بِالحُجَّةِ، والبُرهَانِ .

ثُمَّ نَبَغَت نَابِغَةٌ مِنهُم فِي رَأسِ القَرنِ السَّابِعِ؛ فَأَقَامَ اللهُ لِدِينِهِ شَيخَ الإِسلَامِ أَبَا العَبَّاسِ أَحمَدَ بنَ تَيمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ-؛ **فَأَقَامَ عَلَى غَزوِهِم مُدَّةَ حَيَاتِهِ بِاليَدِ، والقَلبِ، واللِّسَانِ .**

وكَشَفَ لِلنَّاسِ بَاطِلَهُم، وبَيَّنَ تَلبِيسَهُم، وتَدلِيسَهُم، وقَابَلَهُم بِصَرِيحِ المَعقُولِ، وصَحِيحِ المَنقُولِ .

وشَفَى واشتَفَى، وبَيَّنَ تَنَاقُضَهُم، ومُفَارَقَتَهُم لِحُكمِ العَقلِ الَّذِي بِهِ يُدِلُّونَ، وإِلَيهِ يَدعُونَ .

وأَنَّهُم أَترَكُ النَّاسِ لأَحكَامِهِ، وقَضَايَاهُ، **فَلَا وَحيَ، ولَا عَقلَ .**

فَأَردَاهُم فِي حُفَرِهِم، ورَشَقَهُم بِسِهَامِهِم، وبَيَّنَ أَنَّ صَحِيحَ مَعقُولَاتِهِم خَدَمٌ لِنُصُوصِ الأَنبِيَاءِ؛ فَجَزَاهُ اللهُ عَنِ الإِسلَامِ، وأَهلِهِ خَيرًا» انتهَى[2] .

❑ ❑ ❑

=القَاسِم» (١/ ٣٠٨-٣١٣)، والإِمَامُ ابنُ القَيِّم (ت٧٥١) في «مِفتَاحِ دَار السَّعَادَة» (١/ ١٦٣-١٦٤)، واللهُ أَعلَمُ .

(١) انظُر: «الشَّهَادَةَ الزَّكِيَّة في ثنَاءِ الأَئمَّة علَى ابن تَيميَّة» (ص٣٤) لمَرعي الكَرميِّ (ت١٠٣٣) .

(٢) انظُر: «الصَّوَاعِقَ المُرسَلَة» (٣/ ١٠٧٧-١٠٨٠)، و«مُختَصَر الصَّواعِقِ المُرسَلَة» (ص١٧٨) .

/ ٤ / **وقَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ النَّقَّادُ شَمسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَد ابنِ عَبدِ الهَادِي** (ت٧٤٤) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- في «العُقُود الدُّرِّيَة»[١] - وقَد عَدَّدَ مُصَنَّفَاتِه، ونَقَل عَنهَا- :

«ثمَّ انفَتَحَ لَهُ[٢] بَعدَ ذَلِك مِن الرَّدِّ علَى (الفَلَاسفَةِ)، و(الجَهميَّةِ)، وسَائِر أَهل الأَهوَاءِ، والبِدَعِ مَا لَا يُوصَفُ !، ولَا يُعَبَّرُ عَنهُ ! .

وجرَى لَهُ مِن المَنَاظَرَاتِ العَجِيبَة، والمبَاحثَاتِ الدَّقيقَةِ في كُتُبِه، وغَير كُتُبِهِ مَعَ أَقرَانِهِ، وغَيرهِم في سَائِرِ أَنوَاع العُلُوم مَا تَضِيقُ العِبَارَةُ عَنهُ .

---

(١) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيَّة مِن منَاقب شَيخ الإسلَام أَحمَد بن تَيميَّة» (ص١١١) .

فَائدَةٌ لَطيفَةٌ: اشتهَرَ هَذَا الكِتَابُ بهَذَا الاسم، وهَذَا الاسمُ أَظهَرَهُ في عَالَم المَطبُوعَاتِ العَالِمُ الفَاضلُ مُحَمَّد حَامِد الفَقِي (ت١٣٧٨) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في طَبعَتِهِ الأُولَى للكِتَاب (سَنَة ١٣٥٦)، وبهَا اشتهَرَ الكِتَابُ إِلى - الآنَ-، **والاسمُ الَّذي سَمَّاهُ بِهِ مُصَنِّفُهُ**، وهُوَ المَوجُودُ عَلَى طُرَّةِ بَعضِ مَخطُوطَاتِهِ؛ هُوَ: «**الانتِصَارُ فِي ذِكرِ أَحوَالِ قَامِعِ المُبتَدِعِينَ، وآخِرِ المُجتَهِدِينَ تَقيِّ الدِّين أَحمَدَ ابنِ تَيميَّةَ**»، وقَد أَبَانَ هَذَا كُلَّهُ، وطَبَعَ الكِتَاب بهَذَا الاسم د. مُحَمَّد السَّيِّد الجلَينِد (نَشر وزَارَة الأَوقَافِ ١٤٢٣)، وهَذَا العُنوَانُ مُؤَيِّدٌ لمَضمُونِ كتَابنَا هَذَا .

قُلتُ: وقَد صَارَت تَسمِيَة الشَّيخ حَامِدٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عَلَمًا للكِتَاب، لا يُعرَفُ إِلَّا بهَا؛ ولهَذَا فإِنِّي أُسَمِّي الكِتَابَ بمَا اشتهَرَ، وأُحِيلُ عَلَيهِ كَما عُرِفَ، والأَمرُ يَسيرٌ .

(٢) تَأَمَّل هَذِهِ الكَلِمَةَ .

وقد ذكرنَا عَن ابنِ الزَّمَلكَانيِّ – فِيمَا تَقَدَّمَ[1] – أَنَّهُ قَالَ :

"ولَا يُعرَفُ أَنَّهُ نَاظَرَ أَحَدًا؛ فَانقَطَعَ مَعَهُ"[2] » انتَهى .

---

(١) أي: (ص٣٣) مِن كِتَابِهِ «العُقُودِ الدُّرِّيَّة» .

(٢) [الرَّدُّ علَى فِريَة الآقشَهريِّ] هَذِهِ الشَّهَادَةُ لابنِ تَيمِيَّةَ صَدَرَت مِن شَيخ الشَّافعيَّة في زَمَانِهِ، وأَعلَمِهم، وهِيَ رَدٌّ قَاطِعٌ عَلَى دَعوَى الرَّحَّالِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمَدَ بنِ أَمِينٍ الآقشَهريِّ الرُّوميِّ (ت٧٣٩) في «فَوائِدِ رِحلَتِهِ»: «**أَنَّ شَيخَ الإسلَام كَانَ إِذَا حُوقِقَ، وأُلزِمَ يَقُولُ: لَم أُرِد هَذَا !، إِنَّمَا أَردتُ كَذَا؛ فيَذكُرُ احتِمَالًا بَعِيدًا**» انتَهَى .

وهَذا الكَلَامُ يَدلُّ علَى "**ضَحَالَةِ عِلم**" هذَا الرَّحَّالَة، و"**قِلَّةِ فَهمِهِ**"، وكُلُّ إنَاءٍ بِمَا فِيهِ يَنضَحُ، **وأَفضَلُ شَيءٍ كَانَ يُحسِنُهُ هَذَا الرَّحَّالُ جَمعَ الإجَازَاتِ، وسَمَاعَ الكُتُبِ**، ومَعَ هذَا **فَلَم يَكُن نَجيبًا**؛ حتَّى في هَذَا الشَّأنِ اليَسِيرِ! – الَّذِي هُوَ عِندَ الحَافِظِ أَبي شَامَةَ (ت٦٦٥) "**شُغلُ البَطَّالِينَ !!**"–؛ ولِهَذا العَلَّامَةُ المُؤرِّخُ تَقيُّ الدِّين الحَسنيُّ الفَاسيُّ المَكيُّ (ت٨٣٢) في كتَابِهِ «العِقدُ الثَّمِينُ فى تَاريخ البَلَد الأَمِينِ» (٢/ ٨): «**ولَهُ عِنَايَةٌ كَبِيرَةٌ بِهَذا الشَّأنِ، إلَّا أَنَّهُ لَم يَكُن فيهِ نَجِيبًا؛ لأَنَّ لَهُ تَعَالِيقَ مُشتَمَلَةٌ علَى أَوهَامٍ فَاحشَةٍ !**» انتهى .

قُلتُ: **هَذَا في "الرِّوَايَةِ" الَّتي أَفنَى فِيهَا عُمرَهُ ذَاهِبًا وآيبًا في بِلَادِ الله !!، لَهُ فِيهَا "أَوهَامٌ فَاحشَةٌ !"؛ فكَيفَ بدَقِيقِ مَسَائل العِلم ؟!** .

ولِهَذا فمَن يُقَابلُ بَينَ "كَلِمَةِ الإمَام ابنِ الزَّمَلكَانيِّ"، و"كَلِمَةِ الرَّحَّالَةِ الآقشهريِّ"؛ فَهُوَ كَالذي يُقَابلُ بَينَ "العِلم"، و"الجَهلِ"، وبَينَ "الفَهم"، و"البَلَادَةِ" ! .

وابنُ الزَّمَلكَانيِّ هُوَ الَّذي انتُدِبَ لِمُنَاظَرَةِ ابن تَيمِيَّةَ في "**مَجَالسِ الوَاسِطيَّةِ**" بَعدَ أَن كَلَّ خُصُومُهُ، قَالَ الحَافظُ ابنُ كَثِيرٍ : «وحَضَرَ الشَّيخُ صَفِيُّ الدِّين الهِنديُّ، **وتَكَلَّمَ مَعَ الشَّيخ تَقِيِّ الدِّينِ كَلَامًا كَثِيرًا، ولَكِنَّ سَاقِيَتَهُ لَاطَمَت بَحرًا !، ثمَّ اصطَلَحُوا عَلَى أَن يَكُونَ الشَّيخُ كَمَالُ الدِّينِ ابنُ الزَّمَلكَانِيِّ هُوَ الَّذِي يُحَاقِقُهُ مِن غَيرِ مُسَامَحَةٍ؛ فَتَنَاظَرَا في ذَلِكَ، وشَكَرَ النَّاسُ مِن فَضَائِلِ الشَّيخ كَمَالِ الدِّينِ ابنِ الزَّمَلكَانيِّ، وجَودَةِ ذِهنِهِ، وحُسنِ بَحثِهِ حَيثُ قَاوَمَ ابنَ تَيمِيَّةَ في البَحثِ، وتَكَلَّمَ مَعَهُ، ثُمَّ انفَصَلَ الحَالُ عَلَى قَبُولِ العَقِيدَةِ**» انتَهَى مِن «البدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ٤٢) .

=

وقَالَ - أَيضًا - :

«**وكَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - سَيفًا مَسلُولًا علَى المُخَالفِينَ، وشَجًا فِي حُلُوق أَهلِ الأَهوَاءِ والمُبتَدِعِينَ، وإمَامًا قَائمًا ببيَانِ الحَقِّ، ونُصرَةِ الدِّين، طَنَّت بذِكرِهِ الأَمصَارُ، وضَنَّت بمِثلِهِ الأَعصَارُ** .

وقَالَ شَيخُنَا الحَافظُ أَبو الحَجَّاج: "**مَا رَأيتُ مِثلَهُ، ولا رَأَى هُوَ مِثلَ نَفسِهِ، ومَا رَأَيتُ أَحَدًا أَعلَمَ بكِتَاب الله، وسُنَّةِ رَسُولِهِ، ولا أَتبعَ لَهُمَا مِنهُ**"» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - :

«**ولا أَعلَمُ أَحَدًا مِن المُتقَدِّمينَ، ولا مِن المتَأَخِّرينَ جَمَعَ مِثلَ مَا جَمَعَ، ولا صَنَّفَ نَحو مَا صنَّفَ، ولا قَريبًا مِن ذَلكَ؛ معَ أَنَّ تَصَانيفَهُ كَانَ يَكتُبهَا مِن حِفظِهِ، وكَتَبَ كَثيرًا مِنهَا فِي الحَبسِ، ولَيسَ عِندَه ما يُحتَاجُ إلَيه، ويرَاجعُهُ مِن الكُتُبِ**» انتَهى[2] .

= وأَبعَدَ الإِمَامُ الشَّوكَانيُّ النُّجعَةَ؛ فقَالَ مُعَلِّقًا عَلَى فِريَةِ الآقشَهريِّ: «ولَعَلَّ ذَلكَ - واللهُ أَعلمُ - أَنَّهُ يُصَرِّحُ بِالحَقِّ؛ فتَأبَاهُ الأَذهَانُ، وتَنبُوا عَنهُ الطَّبَائعُ؛ لقُصُور الأَفهَام؛ فيُحَوِّلُهُ إِلَى احتِمَالٍ آخَرَ دَفعاً للفِتنَةِ، **وهَكَذَا يَنبَغي للعَالِم الكَامِلِ أَن يَفعَلَ يَقُولُ الحَقَّ كَمَا يَجِبُ عَلَيهِ، ثُمَّ يَدفَعُ المفسدَةَ بِمَا يُمكِنُهُ**» انتَهَى .

قُلتُ: لا دَاعيَ لهَذَا كُلِّهِ؛ فَالكَلامُ لا يَصحُّ، والتَّأويلُ فَرعُ التَّصحِيحِ، واللهُ المُستَعَانُ .

وانظُر: «الدُّرَر الكَامنَة» (١/ ١٨٢)، و(٥/ ٣٦)، و«البَدرَ الطَّالعَ» (١/ ٧١) .

(١) «طَبَقَاتِ عُلَمَاء الحَديثِ» (٤/ ٢٨٣) .

(٢) «طَبَقَاتِ عُلَمَاء الحَديثِ» (٤/ ٢٩٠) .

قَالَ :

«**قُلتُ: أَملَى شَيخُنا المَسأَلَةَ المَعرُوفَةَ بـ "الحَمَوِيَّةِ" سَنَةَ ثَمانٍ وتِسعِينَ في قِعـدَةٍ بَينَ الظُّهر، والعَصر .**

وهِيَ جَوَابُ سُؤَال وَرَد مِن حَمَاةَ في الصِّفَاتِ، وجَرَى لَهُ بسَبَب ذَلـكَ مِحنَـةٌ، ونَصَرَهُ اللهُ، وأَذَلَّ أَعدَاءَهُ .

ومَا حَصَلَ لَهُ بَعدَ ذَلكَ إلى حِين وَفَاتِه مِن الأُمُور، والمِحَن، والتَّنَقُّلَات تَحتَاجُ إلَى عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ .

وذَلكَ :

كَقيَامِه فِي نَوبَة غَازَان سَنَة تِسع، والتِقَائهِ أَعبَاءَ الأَمر بنَفسِهِ .

واجتِمَاعِهِ بالمَلِك، وبنَائبِهِ خَطلُوشَاه، وببُولاي .

وإقدَامِهِ، وجُرأَتِه علَى المَغُولِ، وعَظِيمِ جهَادِهِ .

وفَعلِهِ الخَيرَ مِن إنفَاق الأَموَال، وإطعَامِ الطَّعَام، ودَفنِ المَوتَى .

ثُمَّ تَوجُّهِهِ بَعدَ ذَلكَ بعَام إلَى الدِّيار المِصريَّة، وسَوقِهِ علَى البَريدِ إلَيهَا في جُمُعةٍ؛ لَـمَّا قَدِمَ التَّتارُ إلَى أَطرَافِ البلَاد، واشتدَّ الأَمرُ بالبلَاد الشَّاميَّةِ، واجتِمَاعِهِ بأركَان الدَّولَة، واستِصرَاخِهِ بِهِم، وحَضُّهِم علَى الجِهَادِ، وإخبَارِهِ لَهُم بمَا أَعدَّ اللهُ للمُجَاهِدِين مِن الثَّوَاب، وإبدَائهم لَه العُذرَ في رجُوعِهم، وتَعظِيمِهم لَهُ .

وتَرَدُّدِ الأَعيَانِ إلَى زِيَارَتِه .

واجتِمَاعِ ابنِ دَقِيقِ العِيدِ بهِ، وسَماعِه كَلَامَه، وثنَائهِ عَليهِ الثَّنَاءَ العَظِيمَ .

ثُمَّ تَوَجُّههِ بَعدَ أَيَّام إلى دِمَشقَ، واشتِغَالِه بالاهتِمَام لجهَـادِ التَّتَـار، وتَحـريضِ الأُمَرَاءِ علَى ذَلكَ ..» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) «طَبَقَاتِ عُلَماء الحَديثِ» (٤/ ٢٩٢)، وقَـد شَرَحَ هَـذِهِ الأَخبَـارَ في كتَابِـهِ المُسَـمَّى بـ«العُقُودِ الدُّريَّة مِن منَاقب شَيخ الإسلَام أَحمَد بن تَيميَّة» .

/ ٥ / وكَتَبَ تِلمِيذُهُ الأَدِيبُ البَارِعُ، العَلَّامَةُ المُؤَرِّخُ أَحمَدُ بنُ يَحيَى بنِ فَضل الله العُمَريُّ الدِّمَشقيُّ[١] الشَّافِعيُّ (ت٧٤٩) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- في كتَابهِ الكَبيرِ «مَسَالِكِ الأَبصَار في مَمَالِكِ الأَمصَار»[٢] بَعدَ ثَنَاءٍ حَافلٍ :

«عَرَضَت لهُ الكُدَى؛ فزَحزَحَها، وعارَضَتهُ البحَارُ؛ فضَحضَحَها .

ثمَّ كَانَ "أُمَّةً وَحدَهُ" !، وفَردًا حتَّى نَزَلَ لَحدَهُ .

أَخمَلَ مِن القُرَناءِ كلَّ عَظِيم، وأَخمَدَ مِن أَهل الفَنَاءِ كُلَّ قَديم .

ولَم يَكُن مِنهُم إلاَّ مَن يُجفِلُ عَنهُ إِجفَالَ الظَّلِيم[٣]، ويَتَضاءلُ لَدَيهِ تَضاؤُلَ الغَرِيم .

مَا كَانَ بَعضُ النَّاسِ إلَّا مِثلَمَا
بَعضُ الحَصَا اليَاقُوتَةُ الحَمرَاءُ

---

(١) تَرجَمَهُ الذَّهبيُّ في «المُعجَم المُختَصِّ بالمُحَدِّثين» (ص٤٥-٤٦) قَالَ بَعدَ ثَناء: «وسَمِعَ الحَدِيثَ، وقَرَأَ عَلَى الشُّيُوخِ، سَمِعَ مِنِّي، ومَعِي مِن سِتِّ القُضَاةِ بِنتِ الشَّيرَازِيِّ، ولَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ»، وقَال ابنُ حَجَر في «الدُّرَر الكَامنَة في أَعيَان المائةِ الثَّامنَة» (١/ ٣٩٣-٣٩٣): «وقَرَأَ "**الأَحكَامَ الصُّغرَى**" **على ابن تَيمِيَّة**» انتهَى، وانظُر: «المُعجَمَ المُختصَّ» للذَّهبيِّ (ص٤٥-٤٦)، و«الرَّدَّ الوافِرَ» (ص١٤٤)، و«مُعجَمَ المؤلِّفين» (٢/ ٢٠٤-٢٠٥)، و«فَائتَ التَّسهيل» للشَّيخ بَكر (٤/ ١٨٧٦)، و«الأَعلَامَ» للزِّركليِّ (١/ ٢٦٨) .

(٢) قَال الزِّركليُّ في «الأَعلَام» (١/ ٢٦٨): «قَالَ فِيهِ ابنُ شَاكِر: «**كتَابٌ حَافلٌ مَا أَعلَمُ أنَّ لأَحَدٍ مِثلَهُ**»، وقَد طُبِعَ الكِتَابُ سَنَةَ (١٤٢٣) في (٢٧) مُجَلَّدًا، ونَشَره المَجمَع الثَّقافي- أبو ظَبي؛ فَانظُرهُ في : (٥/ ٦٨٧-٦٩١/ النَّاشر المَجمَع الثَّقافي- أبو ظَبي) .

(٣) الظَّلِيمُ ذَكَرُ النَّعَامِ، و(إِجفَالُ الظَّلِيمِ) تَحريكُهُ، وطَردُهُ، وانظُر: مَعَاجِم اللُّغَة (ج ف ل) .

جَاءَ فِي عَصرٍ مَأهُولٍ بالعُلَمَاءِ، مَشحُونٍ بنُجُومِ السَّمَاءِ، تَمُوجُ فِي جانبَيهِ بُحُورٌ خَضَارِمُ، وتَطِيرُ بَينَ خَافِقَيهِ نُسُورٌ قَشَاعِمُ، وتُشرِقُ فِي أَندِيَتِهِ بُدُورُ دُجُنَّةٍ[1]، وصُدُورُ أَسِنَّةٍ .

وتَثأَرُ جُنُودُ رَعِيلٍ[2]، وتَزأَرُ أُسُودُ غِيلٍ[3] .

إِلَّا أَنَّ صَبَاحَهُ طَمَسَ تَلِكَ النُّجُومَ، وبَحرَهُ طَمَّ على تِلكَ الغُيُوم؛ ففَاءَت سُمرَتُهُ علَى تِلكَ التِّلَاعِ[4]، وأَطَلَّت قَسوَرَتُهُ[5] علَى تِلكَ السِّبَاعِ .

ثُمَّ عُبِّئَت لَهُ الكَتَائبُ؛ فحَطَمَ صُفُوفَهَا، وخَطَمَ أُنوفَهَا، وابتلَعَ غَدِيرُهُ المطمئنُّ جَدَوالَهَا، واقتلَعَ طَودُهُ[6] المُرجَحِنُّ[7] جَنَادِلَهَا[8] .

---

(١) «الدُّجُنَّةُ - بالضَّمِّ-: الظُلمَةُ» ، وانظُر: «الصِّحَاحَ» (٥/ ٢١١٠)، ، ومَعَاجِمَ اللُّغَة (د ج ن) .

(٢) «الغِيلُ بالكَسرِ: الأَجَمَةُ، والشَّجَرُ المُلتَفُّ، ومَوضِعُ الأَسَدِ غِيلٌ»، وانظُر: «الصِّحَاحَ» (٥/ ١٧٨٧)، ومَعَاجِم اللُّغَة (غ ي ل) .

(٣) الرَّعِيلُ القِطعَةُ والجَمَاعَةُ يُطلَقُ عَلَى الخَيلِ، والجُندِ، الظَّلِيمُ ذَكَرُ النَّعَامِ، و(إِجفَالُ الظَّلِيمِ) تَحريكُهُ، وطَردُهُ، وانظُر: «تَاجَ العَرُوس» (٢٩/ ٨١)، ومَعَاجِمِ اللُّغَة (ر ع ل) .

(٤) «التِّلاعُ: مَجَارِي أَعلَى الأَرضِ إِلَى بُطُونِ الأَودِيَةِ»، وانظُر: «تَاجَ العَرُوس» (٢٠/ ٣٩٦)، ومَعَاجِم اللُّغَة (ت ل ع) .

(٥) القَسوَرَةُ الأَسَدُ، والصَّيَادُ، والرَّامي، وانظُر: مَعَاجِم اللُّغَة (ق س ر) .

(٦) «الطَّود: الجَبَلُ العَظِيمُ»، وانظُر: «العَينَ» (٧/ ٤٤٣)، ومَعَاجِم اللُّغَة (ط و د) .

(٧) «ارجَحَنَّ: مَالَ، واهتَزَّ، ووَقَعَ بمَرَّةٍ ..، وجَيشٌ مُرجَحِنٌّ، ورَحًى مُرجَحِنَّةٌ: ثَقِيلَةٌ»، وانظُر: «القَامُوسَ» (ص١٢٠٠)، ومَعَاجِم اللُّغَة (ر ج ح) .

(٨) «الجَندَلُ الحِجَارَةُ الصَغِيرَةُ، وقِيلَ: كُلُّهَا»، وانظُر: «لِسَانَ العَرَب» (١/ ٦٩٩)، ومَعَاجِم اللُّغَة (ج ن د ل) .

وأَخمَدَت أَنفَاسَهُم رِيحُهُ، وأَكمَدَت شَرَاراتِهُم مَصَابِيحُهُ .

تَقَـــدَّمَ رَاكِبًـــا فِـــيهم إمَامًـــا
ولَـــولَاهُ لَـــــمَا رَكِبُـــوا وَرَاءَا

فجَمعَ أشتَاتَ المَذَاهِبِ، وشُتَّاتَ المَذَاهِبِ، ونَقَلَ عَن أَئمَّـةِ الإِجمَـاعِ، فمَـنَ سِوَاهُم مَذَاهبَهم المُختَلِفَةَ، واستَحضَـرَهَا، ومَثَّل صُورَهُم الذَّاهبَةَ، وأَحضَـرَهَا .

فلَو شَعَرَ أَبو حَنِيفَةَ بزَمانِهِ، ومَلَكَ أَمرَهُ لأَدنَى عَصرَهُ إِلَيهِ مُقترِبًـا، أَو مالـكٌ لأَجرِىَ ورَاءَهُ ولَو كَبَا، أَو الشَّافعيُّ لقَالَ: لَيتَ هذَا كَانَ للأُمِّ وَلَدًا، ولَيتَني كُنتُ لَهُ أبَا، أَو الشيبانيُّ ابنُ حَنبَلٍ لَـمَا لامَ عِذَارَهُ إِذَا غَدَا مِنهُ لفَرطِ العَجبِ أَشيَبَا .

لاَ بَل دَاودُ الظَّاهريُّ، وسِنَانٌ الباطنيُّ لظَنَّا تحقيقَه من مُنتَحَلِهِ .

وابنُ حَزمٍ، والشَّهرِستَانيُّ لـحَشَرَ كلٌّ مِنهُما ذِكرَهُ أُمَّةً في نِحَلِهِ .

والحَاكمُ النَّيسابُوريُّ، والحَافظُ السِّلَفيُّ لأَضَافَهُ هذَا إِلَى استِدرَاكِهِ، وهذَا إِلى رِحَلِهِ .

تَرِدُ إِلَيهِ الفَتَاوى، ولا يَرِدُهَا، وتَفِدُ عَلَيهِ؛ فيُجِيبُ عَلَيهَا بأَجوبَـةٍ كَأَنَّـهُ كَـانَ قَاعِدًا لَـهَا يُعِدُّهَا .

أَبَـــدًا عَـــلَى طَـــرَفِ اللِّسَـــانِ جَوَابُـــهُ
فَكَـــأَنَّمَا هِـــيَ دَفعَـــةٌ مِـــن صَـــيِّبِ
يَغـــدُو مُسَـــاجِلُهُ بغُـــرَّةِ صَـــافِحٍ
ويَـــرُوحُ مُعتَرِفًـــا بذِلَّـــةِ مُـــذنِبِ

ولَقَد تَضَافَرَت عَلَيهِ عُصَبُ الأَعدَاءِ؛ فَأُقحِمُوا؛ إذ هَدَرَ فَحلُهُ، وأُفحِمُـوا إِذ زَمزَمَ ليَجنيَ الشَّهدَ نَحلُهُ .

ورُفِعَ إلى السلطانِ غَيرَ مَا مَرَّةٍ، ورُمِيَ بالكبَائِر، وتُرُبِّصَت به الدَّوائِرُ، وسُعِيَ به ليُؤخَذَ بالجَرائِر[1] .

---

(١) أَنوَاعُ الافترَاءَات كَثيرَةٌ مَسطُورَةٌ في ترجَمَتهِ، وأَلوَانُ الظُّلم عَديدَةٌ في مَا امتُحِنَ بـهِ، وسَتَرَى شَيئًا مِن ذَلكَ في ثَنَايَا الكِتَاب – إن شَاءَ اللهُ تَعالى–، وأَكتَفي هُنَا بـ **"فِريَـةٍ صَـلعَاءَ"** افترَاهَا نَصرٌ المَنبجيُّ بَعـدَ أَن رَضِيَ خُصُـومُ ابـنِ تَيميَّـةَ بـمَا تَضَـمَّنَتهُ "العَقيـدَةُ الوَاسـطِيَّةُ" في المَجَالسِ الَّتي عُقِدَت سَنَةَ (٧٠٥)، وأَذعَنُوا لصِحَّتها .

قَالَ العَلَّامَةُ المُؤرِّخُ المِقريزيُّ: «فَقَامَ نَصرٌ المَنبجيُّ بالقَاهرَة، وقَالَ لقَاضي القُضَـاةِ زَيـنِ الدِّين ابنِ مَخلُوفٍ المَالكيِّ: **"قُل للأُمَرَاءِ بَأَنَّ ابنَ تَيميَّةَ يُخشَى عَلَى الدَّولَةِ مِنهُ، كَـمَا جَـرَى لابـنِ تُومَرت في بِلادِ المَغربِ !!"؛ فَحَدَّثَهم حَتَّى تَخيَّلُوا مِنهُ !**؛ ثُمَّ أَرسُلوا كِتَابًا إلى دِمَشقَ بإحضَـارهِ؛ فَمَانَعَ الأَفرَمُ نَائبُ دِمَشقَ، وقَالَ: **قَد عُقِدَ لَهُ مَجلسَانِ بحَضرَتي، وحَضرَةِ الفُقَهَاءِ، ومَا ظَهَرَ عَليهِ شَيءٌ !**، فَقَالَ الرَّسُولُ: **أَنا لكَ نَاصِحٌ، وقَد قَالَ عَنهُ الشَّـيخُ نَصـرٌ المَنبجـيُّ إِنَّـهُ يجمَـعُ النَّـاسَ عَلَيكَ، ويَعقدُ البَيعَةَ لغَيرِ السُّلطَانِ؛ فَخَافَ النَائبُ، وبَكَـى مِنـهُ**» انتَهَـى بتَصَـرُّفٍ يَسـيرٍ مِـن «المُقفَّى الكَبير» (١/ ٤٦١–٤٦٢)، وانظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيَّةَ» (ص٢٢٥–٢٢٦) .

قُلتُ: فَانظُر إِلَى هَذِهِ **"الأُكذُوبَةِ البَترَاءِ"** الَّتي يُكَذِّبُهَا حَالُ ابنِ تَيمِيَّةَ في دَعوَتِهِ **"العَامَّةَ"** و**"الخَاصَّةَ"**، وهُوَ الَّذي يَأمِرُ بعَدَم الخُرُوج عَـلَى الأُمَـراءِ، ووُلاةِ الأَمـرِ في زَمَنِـهِ، ويَـدعُو إِلَى طَاعَتِهِم في المَعرُوفِ، ويَنشُرُ أَنَّ الخُرُوجَ مُحَرَّمٌ باتِّفَاقِ الأَئمَّةِ، وأَنَّهُ مَفسَـدَةٌ مَحضَـةٌ، سَـوَاءً كَـانَ بالسِّلَاحِ، أَو الكَلام، فَضـلًا عَـن التَّحـريضِ، وتَـزيينِ الخُـرُوج عَـلَى وُلاةِ الأَمُـورِ، وتَعظِـيم أَخطَائِهِم، وكَتم مَحَاسِنِهم؛ **ولِـهَذَا لا تَرَى في طُلَّابهِ، وأَتبَاعِهِ، ومُحِبِّيهِ فِكـرَ مُنَازَعَـةِ السَّـلاطِينِ**، وإِن كَانُوا ظَلَمَةً جَائرينَ، بَل وإِن سَجَنُوهُم، وآذَوهُم، بَل هُم – في هـذَا البَـابِ– عَـلَى جَـادَّةِ أَهل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ في لُزُوم الصَّبرِ؛ وقَد كُنتُ جَمَعتُ نُقُولًا كَثيرَةً جِدًّا مِن كُتُب شَيخ الإِسلام في تَقريرِ هَذَا الأَصل العَظيم مِن أُصُول السُّنَّةِ – الَّذِي مَن خَالَفَهُ خَرَجَ عَن السُّنَّةِ كَمَا قَالَ إِمَـامُ السُّنَّةِ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ، وغَيرُهُ– في كتَابي «**مِن فِقهِ الفِـتن النَّازلَـةِ**»، وقَـد طُبِـعَ في أَوَّلِ أَيَّـامِ فِتنَـةِ الرَّبيعِ العَربيِّ سَنَةَ (٢٠١٢م)، وانتَفَعَ بِهِ كَثيرُونَ، واللهُ هُوَ المُوَفِّقُ، والهَادي . =

وحَسَدَه مَن لَـم يَنَل سَعيَهُ ![1] ، وكَثَّرَ فارتَابَ، ونَمَّ ومَا زَادَ علَى أَنَّهُ اغتَابَ .

= والعَجَبُ استِمَاتَةُ خُصُومِهِ في إِثَارَةِ السَّلاطِينِ عَلَيهِ بِهَذِهِ الفِريَةِ؛ فقَد ذَكَـرَ ابـنُ كَثـير في «البدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ٢٦) في حوَادِث سنَة (٧٠٢) أنَّ نَائبَ السَّلطنَة وقعَ بيَدِه كتَابٌ مزَوَّرٌ **أنَّ ابنَ تَيميَّة، وجمَاعَةً مِن القُضَاةِ، والأَعيَان يُكَاتبُون التَّتَـارَ سِرًّا، ويُريـدُونَ تَوليَـةَ قَبجَـق عَـلَى الشَّام !؛ فعَلِمَ النَّائبُ أَنَّ هَذَا مُزَوَّرٌ، وبَحَثَ عَن وَاضِعِهِ وعَاقَبَهُ، وقَطَعَ يَدَهُ** .

وقَد سَاقَ **الرَّحَّالُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَـدَ بـنِ أَمِـينٍ الآقشَـهريُّ الرُّومـيُّ** (ت٧٣٩) في «فَوائـدِ رِحلَتِهِ»: "**فِريَةَ المَنبَجيِّ**" مُبهِمًا قَائلَهَا مُسَلِّكًا لَـهَا، كَاذِبًـا فِيهَـا !؛ فقَـالَ: «**ونَسَـبَهُ قَـومٌ إِلَى أَنَّـهُ يَسعَى في الإِمَامَةِ الكُبرَى!؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَلهَجُ بِذِكر ابن تُومَرت !، ويُطريهِ !!؛ فَكَانَ ذَلِكَ مُؤَكِّـداً لطُولِ سَجنِهِ !**» انتهَى، نَقَلَهُ عَنهُ دُونَ تَعقُّب الحَافظُ ابنُ حَجَر في «الدُّرَر الكَامنَة في أَعيَان المائة الثَّامنَة» (١/ ١٨٢)، ونَقَلَهَا عَن ابنِ حَجَرٍ - دُونَ عَزوٍ- الإمَامُ الشَّـوكَانيُّ في «البَـدر الطَّـالعِ» (١/ ٧١)؛ **وهُوَ مِن آفَاتِ النَّقلِ دُونَ عَزوٍ !** .

وهَذِهِ الكَلِمَاتُ كُلُّهَا كَذبٌ محَضٌ - كَمَا تَقَدَّمَ-، **وابنُ تَيمِيَّةَ مِن أَعظَم الذَّامِّينَ الطَّـاعنينَ في المُجـرمِ الخَبيـثِ ابـنِ تُـومَرت، ولَـهُ فِيـهِ فَتـوَى شَـهيرَةٌ**، انظُرهَـا في : «مجَمُـوعِ الفَتـاوى» (١١/ ٤٧٦-٤٩١)، والعَجَـبُ أَن تَعلَـمَ أَنَّ كِبَـار الأَشَـاعِرةِ في زَمَـن ابـنِ تَيميَّـة، وبَعـدَهُ، كالسُّبكيِّ، كَانُوا يُثنُونَ عَلَى "**المُرشدَةِ**"، و"**ابنِ تُومَرت**"، ويجَعَلُونَهُ "**أَشعَريًّا عَادلًا**" !؛ ولِـهَذَا نَقَلَ التَّاجُ السُّبكيُّ غَضَبَ العَلائيِّ مِن ابنِ تَيميَّةَ، وغَيرِهِ؛ لفَتوَاهُ في مُرشـدَةِ (ابـنِ تُـومَرت)!؛ فَانظُر ذَلكَ كُلَّهُ في : «الطَّبَقَات الكُبرَى» (٨/ ١٨٥) .

فَغفَرَ اللهُ للحَافظِ ابنِ حَجَر إيرَادَهُ مِثلَ هَذِهِ الفِرَى عمَّن لا يُعتَمَـدُ في مِثلِهَـا، وإِن كَـانَ عَلَى سَبيل الحِكَايَـةِ، ولا يَخفَى عَلَى مِثلِهِ بُطلَانُهَا؛ فَأَعرَاضُ أَهل العِلمِ حُفرَةٌ مِن نَـارٍ، والقَـولُ فِيهِم بغَيرِ عِلمٍ زَلَّةٌ، وشَنَارٌ، واللهُ يُسَامِـحُهُ؛ فكَم لَهُ مِن يَـدٍ بَيضَاءَ مَشكُورَةٍ .

(١) يُشيرُ إِلى قَولِ القَائل:

حَسَـدُوا الفَتَـى إِذ لَـم يَنَـالُوا سَـعيَهُ ... فَـالقَومُ أَعـدَاءٌ لَـهُ وخُصُـومُ

كضَـرائرِ الحَسـنَاء قُلـنَ لوَجهِهَـا ... حَسَـدًا وبَغيًـا إِنَّـهُ لَـدَمِيمُ

وأُزعِجَ من وَطنِه تَارةً إِلَى مِصرَ، ثمَّ إِلَى الإِسكَندريَّةِ، وتَارةً إِلى مَحبَسِ القَلعَـةِ بدِمَشقَ .

وفي جَميعِهَا يُودَعُ أَخبِئَةَ السُّجونِ، ويُلدَغُ بِزُبَانَي[1] المَنُونِ .

وهُوَ عَلَى "عِلمٍ" يُسَطِّرُ صُحُفَهُ، ويَدَّخِرُ تُحَفَهُ، ومَا بَينَهُ وبَـينَ الشَّـيءِ إِلَّا أَن يُصنِّفَهُ، ويُقَرِّظَ به ولَو سَمعَ امرئ وَاحِدٍ، ويُشَنِّفَهُ .

حتَّى تَستَهدِيَ أَطرَافُ البلَادِ طُرَفَهُ، وتَستَطلعَ ثَنَايَا الأَقَاليم شُرَفَهُ .

إِلى أَن خَطفَتهُ آخرَ مَرَّةٍ مِن سِجنِهِ عُقَابُ المنَايَا، وجَذَبَتهَا إِلى مَهوَاتِهـا قَـرَارَةُ الرَّزَايَا .

وكَانَ قبلَ مَوتِه قَد مُنِعَ الدَّواةَ، والقَلَم، وطَبَعَ عَلى قَلبهِ مِنهُ طَابَعُ الأَلَـمِ![2] .

---

(١) «زُبَانَيا العقرَب: قَرنَاهَا»، وانظُر: «تهذيبَ اللُّغَة» (١٣/ ١٥٦)، ومَعَاجِم اللُّغَة (ز ب ن) .

(٢) شَرَحَ هَذَا تِلمِيذُهُ الحَافظُ الذَّهبيُّ؛ فَقَالَ: «**فَإِنَّهُ كَـانَ لا لَـذَّةَ عِنـدَهُ تُـوَازي "كتَابَـةَ العِلمِ"، و"تَألِيفَهُ"؛ فَمُنِعَ "أَطيبَ غِذَائِه !"** - رَحِمَهُ اللهُ -»، وانظُر: مَا سَبَقَ .

قُلتُ: بَل كَانَت "**كِتَابَةُ العِلم**"، و"**تَأليفُهُ**": "**حَيَـاةَ قَـلبِـهِ**"، و"**عَـافِيَـةَ بَـدَنِـهِ**" ! .

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم : «وحَدَّثَني شَيخُنَا قَالَ: "**ابتَدَأَني مَرَضٌ**"؛ فقَـالَ لي الطَّبِيـبُ: "**إِنَّ مُطَالَعَتَكَ، وكَلَامَكَ فِي العِلمِ يَزِيدُ المَرَضَ**"؛ فَقُلتُ لَـهُ: "**لَا أَصـبِرُ عَـلَى [عـن]ذَلـكَ !، وأَنَـا أُحَاكِمُكَ إِلَى عِلمِكَ: أَلَيسَت النَّفسُ إِذَا فَرِحَت، وسُرَّت قَوِيَت الطَّبِيعَةُ؛ فَدَفَعَت المَرَضَ ؟!**"؛ فَقَالَ: "**بَلَى**"؛ فقُلتُ لَهُ: "**فَإِنَّ نَفسـي تُسَـرُّ بالعِلمِ؛ فتَقوَى بِهِ الطَّبِيعَةُ؛ فَأَجِدُ رَاحَـةً !**"؛ فَقَـالَ: "**هذَا خَارِجٌ عَن عِلَاجِنَا**" !، أَو كَمَا قَالَ .

قَالَ ابنُ القَيِّم : «فَعِشقُ "**صِـفَاتِ الكَـمَال**" مِـن أَنفَـعِ العِشـقِ، وأَعـلَاهُ؛ وإِنَّـما يَكُـونُ بالمُنَاسَبَة الَّتي بَينَ الرُّوحِ، وتِلكَ الصِّـفَاتِ؛ ولِـهَذا كَـانَ أَعـلَى الأَروَاحِ، وأَشرَفَهَـا أَعلَاهَـا، وأَشرَفُهَا مَعشُوقًا، كَمَا قِيلَ :
=

فكَانَ مَبدَأَ مَرَضِهِ، ومَنشَأَ عَرَضِهِ؛ حتَّى نَزَلَ قِفَارَ المقَابر، وتَرَكَ فِقَارَ المنَـابر؛ فمَاتَ **لا بَل حَيِـيَ** !، وعُرِفَ قَدرُهُ؛ **لأَنَّ مِثلَهُ مَا رُئِـيَ** ! ..» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

= **أنـــتَ القَتِيـــلُ بكُـــلِّ مَـــن أحبَبتَـــهُ   فَاختَرْ لنَفسِكَ في الهَوَى مَن تَصطَفِي**

انظُر: «رَوضَةَ المُحِبِّينَ ونُزهَةَ المُشتَاقِينَ» (ص٧٠) .

(١) انظُر: «مسَالِكَ الأَبصَار في ممَالِـكِ الأَمصَـار» (٥/ ٦٨٧-٦٩١/ النَّـاشر المَجمَـع الثَّقافي- أبو ظَبي)، وعَنهُ في «المُقَفَّى الكَبِيرِ» (١/ ٤٧٠-٥٧٢)، و«الـرَّدِّ الـوافِرِ» (ص١٤٧-١٤٨)، و«غَايَةِ الأَمَاني في الرَّدِّ علَى النَّبهَاني» (٢/ ١٩٨-١٩٩) للعَلَّامَةِ أَبي المَعَـالي الآلُـوسيِّ (ت١٣٤٢)، و«الشَّهَادَةِ الزَّكِيَّة» (ص٥٥-٥٦)، و«الجَامِعِ لسِيرَة شَيخ الإسـلَام ابـن تيميَّـة» (ص٣١١-٣١٣)، وغَيرِهَا .

الفَصْلُ الثَّانِي

[حَاصِلُ مَا جَرَى لابن تَيميَّةَ بسَبَب رُدُودِهِ عَلَى مُخَالِفِيهِ]

الفَصْلُ الثَّانِي

[حَاصِلُ مَا جَرَى لابن تَيميَّةَ بسبَب رُدُودِهِ عَلَى مُخَالِفِيهِ]

أَحسَنَ في شَرح هَذَا المَوضِعِ غَايَةَ الإِحسَانِ، وأَجَادَ فِيهِ :

الحَافِظُ العَلَّامَةُ الأَدِيبُ البَارِعُ فَتحُ الدِّين مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ ابنِ سَيِّدِ النَّاس اليَعمُريُّ[1] (ت٧٣٤) – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – ؛ فَقَالَ – بَعدَ وَصفٍ دَقيقٍ بَارعٍ لـ"**عِلمِ ابنِ تَيميَّةَ**"، ومَجَالسِهِ – :

---

(١) تَرجَمَهُ الذَّهَبيُّ في «المُعجَم المُختَصِّ بالمُحَدِّثين» (ص٢٦١) فَقَالَ : «العَلامَةُ الأَدِيبُ البَارِعُ المُتَفَنِّنُ، فَتحُ الدِّينِ أَبُو الفَتح ابنُ الإِمَامِ أَبِي عَمرٍو ابنِ حَافِظِ المَغرِبِ أَبِي بَكرٍ الأَندَلُسِيُّ اليَعمُرِيُّ المِصرِيُّ الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ أَئمَّةِ هَذَا الشَّأنِ .. وكَتَبَ بِخَطِّهِ المَلِيح كَثِيرًا، وخَرَّجَ، وصَنَّفَ، وعَلَّلَ، وفَرَّعَ، وأَصَّلَ، وقَالَ الشِّعرَ البَدِيعَ، وكَانَ حُلوَ النَّادِرَةِ كَيِّسَ المُحَاضَرَةِ، جَالَستُهُ وسَمِعتُ بِقِرَاءَتِهِ، وأَجَازَ لِي «مَروِيَّاتِهِ»، قَالَ ابنُ حَجَر في «الدُّرَرِ الكَامنَةِ» (٥/ ٤٧٧): «**وشَرَعَ لشَرح التِّرمِذِيِّ؛ ولَو اقتَصَرَ فِيهِ عَلَى فَنِّ الحَدِيثِ مِن الكَلَام عَلَى الأَسَانِيدِ؛ لكَمُلَ لكِنَّهُ قَصَدَ أَن يَتبَعَ شَيخَهُ ابنَ دَقِيق العِيدِ؛ فَوَقَفَ دُونَ مَا يُرِيدُ!**» انتَهى، وانظُر : «المُعجَمَ المُختَصَّ» للذَّهبيِّ (ص٤٥-٤٦)، و«الرَّدَّ الوافِرَ» (ص٥٨)، و«الدُّرَرَ الكَامنَةَ» (٥/ ٤٧٧-٤٨٢)، و«ذَيلَ التَّقييدِ في رُوَاة السُّنَن والأَسَانيد» (١/ ٢٤٧-٢٤٨)، و«مُعجَمَ الشُّيوخ» للسُّبكيِّ (ص٤٥٢-٤٥٤)، و«حُسنَ المُحَاضَرَة في تَاريخ مِصر والقَاهرة» (١/ ٣٥٨) .

«إِلَى أَن دَبَّ إِلَيهِ مِن أَهلِ بِلَادِهِ دَاءُ الحَسَد»[1]، وأَكَبَّ أَهلُ النَّظرِ مِنهُم علَى مَا يُنقَدُ عَلَيهِ مِن أُمُورِ المُعتَقَد؛ فحَفِظُوا عَنهُ في ذَلكَ كَلامًا، أَوسَعُوهُ بسَبَبِهِ مَلامًا، وفوَّقُوا لتَبدِيعِهِ سِهَامًا، وزَعَمُوا أَنَّهُ خَالَفَ طَرِيقَهُم، وفرَّقَ فَرِيقَهُم ! .

فنَازَعَهُم، ونَازَعُوهُ، وقَاطَعَ بَعضَهُم، وقَاطَعُوهُ .

ثُمَّ نَازَعَ طَائفَةً أُخرَى يَنتَسِبُونَ مِن الفَقرِ إِلَى طَرِيقَةٍ، ويَزعُمُونَ أَنَّهُم علَى أَدَقِّ بَاطنٍ مِنهَا، وأَجلَى حَقِيقَةٍ .

فكَشَفَ تِلكَ الطَّرَائقَ، وذَكَرَ لَهَا - علَى مَا زَعَمَ[2] - بَوَائقَ؛ فآضَت إِلَى الطَّائفَةِ الأُولَى مِن مُنَازِعِيهِ، واستَعَانَت بذَوِي الضِّغنِ عَلَيهِ مِن مُقَاطِعِيهِ؛ فوَصَلُوا بالأُمَرَاءِ أَمرَهُ، وأَعمَلَ مِنهُم في "**كُفرِهِ**" فِكرَهُ .

فرَتَّبُوا مَحَاضِرَ، وأَلَّبُوا الرُّوَيبِضَة للسَّعيِ بهَا بَينَ الأَكَابِرِ، وسَعَوا في نَقلِهِ إِلَى حَضرَةِ المَملَكَةِ بالدِّيَارِ المِصريَّةِ؛ فنُقِلَ، وأُودِعَ السِّجنَ سَاعَةَ حُضُورِهِ، واعتُقِلَ،

---

(١) قَالَ العِمَادُ ابنُ كَثيرٍ : «وكَانَ لِلشَّيخِ تَقِيِّ الدِّينِ مِنَ الفُقَهَاءِ جَمَاعَةٌ يَحسُدُونَهُ !؛ لِـ"**تَقَدُّمِهِ عِندَ الدَّولَةِ**"، و"**انفِرَادِهِ بِالأَمرِ بِالمَعرُوفِ، والنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ**"، و"**طَاعَةِ النَّاسِ لَهُ**"، و"**مَحَبَّتِهِم لَهُ**"، و"**كَثرَةِ أَتبَاعِهِ**"، و"**قِيَامِهِ فِي الحَقِّ**"، و"**عِلمِهِ**"، و"**عَمَلِهِ**"» انتَهَى مِن «البدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ٤٢)؛ فَهِيَ ثَمَانيَةُ أَسبَابٍ .

وقَالَ العَلَّامَةُ البَزَّارُ : «**وسَبَبُ عَدَاوَاتِهِم لَهُ: أَنَّ مَقصُودَهُم الأَكبَرَ طَلَبُ الجَاهِ، والرِّئَاسَةِ، وإِقبَالِ الخَلقِ، ورَأَوهُ قَد رَقَّاهُ اللهُ إِلى ذِروَةِ السَّنَامِ مِن ذَلِكَ بِمَا أَوقَعَ لَهُ فِي قُلُوبِ الخَاصَّةِ، والعَامَّةِ مِنَ المَوَاهِبِ الَّتِي مَنَحَهُ [إِيَّاهَا]، وهُم عَنهَا بِمَعزِلٍ؛ فنَصَبُوا عَدَاوَتَهُ، وامتَلَأَت قُلُوبُهُم بِمُحَاسَدَتِهِ**» انتَهَى مِن «الأَعلَامِ العَلِيَّة» (ص٧٥-٧٦) .

(٢) "**عَلَى مَا زَعَمَ**" أَي: **عَلَى مَا ذَكَرَ**، وهُوَ يَقُولُهَا لِمَن لا يَعلَمُ عِلمَ الشَّيخِ، قَالَهُ شَيخُنَا الوَالِدُ عَبدُ الرَّحمَن النَّاصر البَرَّاكُ - عَافَاهُ اللهُ، وجَزَاهُ خَيرًا- عِندَ القِرَاءَةِ عَلَيهِ صَبَاحَ يَومِ الأَربعَاء ٣/ ١٢/ ١٤٤٤ .

وعَقَدُوا لـ"**إِرَاقَةِ دَمِهِ !**" مَجَالِسَ، وحَشَدُوا لذَلكَ قَومًا مِن عُمَّارِ الزَّوَايَـا، وسُكَّانِ المَدَارسِ[1] .

---

(١) سَرَدَ تَفصيلَ ذَلكَ ابنُ عَبدِ الهَادي في «العُقُـودِ الدُّرِيَّـة» (ص٢٦٦-٢٦٧)، وابـنُ رَجَـب في «ذَيـلِ طَبَقَـات الحنابلَـة» (٤/ ٥١١-٥١٢)، وابـنُ كَثـير في «البدَايَـة والنِّهَايَـة» (١٤/ ٤٣)، وغَيرُهُم .

قَالَ الحَافظُ ابنُ رَجَبٍ: «**ثُمَّ إِنَّ المِصريِّينَ دَبَّرُوا الحِيلَةَ في أَمر الشَّيخ، ورَأَوا أَنَّهُ لا يُمكِـنُ البَحثُ مَعَهُ، ولَكن يُعقَدُ لَهُ مَجلسٌ، ويُدَّعى عَلَيهِ !!، وتُقَامُ عَلَيهِ الشَّهَادَاتُ !**، وكَانَ القَـائمُونَ في ذَلِكَ مِنهُم: بيبَرس الجَاشنكِير، الَّذِي تَسلطَنَ بَعدَ ذَلِـكَ، ونَصـرٌ المَنبجـيُّ، وابـنُ مَخلُـوفٍ قَاضِي المَالكيَّةِ» انتَهَى .

وقَالَ ابنُ كَثِيرٍ - بَعدَ ذِكرِ مَنعَهِ مِن الكَلام- : «وانتَدَبَ لَهُ الشَّمسُ ابنُ عَـدلَان خَصـمًا احتِسَابًا، وادَّعَى عَلَيهِ عِندَ ابنِ مَخلُوفٍ المَالِكِيِّ أَنَّهُ يَقُولُ: "**إِنَّ اللهَ فَوقَ العَرشِ حَقِيقَـةً**"، و"**إِنَّ اللهَ يَتكَلَّمُ بِحَرفٍ وَصَوتٍ**"؛ فَسَأَلَهُ القَاضِي جَوابَهُ؛ فَأَخَـذَ الشَّـيخُ في حَمـدِ الله، والثَّنَـاءِ عَلَيـهِ؛ فَقِيلَ لَهُ: **أَجِب مَا جِئنَا بِكَ لِتَخطُبَ !**؛ **فَقَالَ**: ومَنِ **الحَـاكِمُ فِيَّ ؟**؛ فَقِيـلَ لَـهُ: **القَـاضِي المَـالِكِيُّ**؛ **فَقَالَ لَهُ الشَّيخُ: كَيفَ تَحكُمُ فِـيَّ وأَنتَ خَصمِي ؟!**؛ فَغَضِبَ غَضَبًا شَـدِيدًا، وانـزَعَجَ، وأُقِـيمَ مُرَسَّمًا عَلَيهِ، وحُبِسَ في بُرجِ أَيَّامًا، ثُمَّ نُقِلَ مِنهُ لَيلَةَ العِيـدِ إِلَى الحَـبس المَعـرُوفِ بالجُـبِّ، هُـوَ، وأَخَوَاهُ شَرَفُ الدِّينِ عَبدُ الله، وَزَينُ الدِّين عَبدُ الرَّحمَن، [.. وصَمَّمَ على عَدَم الحُضُورِ؛ فَطَالَ عَلَيهِم المجلسُ، وانصَرَفُوا عَن غَيرِ شَيءٍ]» انتَهَى .

قَالَ الحَافظُ ابنُ رَجَبٍ: «ومُرَادُهُ: **أَنِّي وإِيَّاكَ مُتَنازعَـانِ في هَـذِهِ المسَـائل؛ فكَيـفَ يَحكُـمُ أَحَدُ الخَصمَينِ عَلَى الآخَرِ فِيهَا ؟!**» .

قُلتُ: وقَد كَتَبَ رَدًّا نَافعًا مُطَوَّلًا في مُجَلَّدَاتٍ، ومِنهَا كِتَابُهُ الكَبِيرُ النَّافعُ "التِّسعِينِيَّةُ" .

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ الشَّوكَانِيُّ (ت١٢٥٠) في «البَدر الطَّالع» (١/ ٦٧) :

«**ولَقَد أَحسَنَ المُتَرجَمُ لَهُ** - رَحِمَهُ اللهُ- **بالتَّصمِيم علَى عَدَم الإِجَابَـة عِنـدَ ذَلِـكَ القَـاضى الجَرئ الجَاهِلِ الغَبيِّ**؛ ولَو وَقَعَت مِنهُ الإِجَابَةُ، لَـم يَبعُد الحُكمُ بـ"**إِرَاقَةِ دَم**" **هَذَا الإِمَام الَّـذِي سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ، وهُوَ بِمثلِهِ بخِيلٌ !**، ولَا سِيمَا هَذَا القَاضِي مِن المَالِكِيَّـةِ الَّـذِي يُقَـالُ لَـهُ: **ابـنُ**=

مِن مُجَامِلٍ فِي المُنَازَعَةِ، مُخَاتِلٍ فِي المُخَادَعَةِ، ومِن مُجَاهِرٍ بـ"**التَّكفِير**" مُبَارزٍ بالمُقَاطَعَةِ، يَسُومُونَهُ رَيبَ المَنُونِ، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾ [القصص].

ولَيسَ "**المُجَاهِرُ بكُفرِهِ**"، بأَسوَأَ حَالًا مِن "**المُخَاتِلِ**"، وقَد دَبَّت إلَيهِ عَقَارِبُ مَكرِهِ[1].

= مَخلُوف؛ فَإِنَّهُ مِن شَيَاطِينِهِم المُتَجَرِّئِينَ عَلَى سَفكِ دِمَاءِ المُسلِمِينَ بِمُجَرَّدِ أكَاذِيبَ، وكَلِمَاتٍ، لَيسَ المُرَادُ بِهَا مَا يَحمِلُونَهَا عَلَيهِ، ونَاهِيكَ بِقَولِهِ: أَنَّ هَذَا الإمَامَ "**قَد استَحَقَّ القَتلَ**"!، و"**ثَبَتَ لَدَيهِ كُفرُهُ**" !!، **ولَا يُسَاوِي شَعرَةً مِن شَعَرَاتِهِ، بَل لَا يَصلُحُ لأَن يَكُونَ شِسعاً لنَعلِهِ** !، ومَا زَالَ هَذَا القَاضِي الشَّيطَانُ **يتَطَلَّبُ الفُرَصَ الَّتِي يتَوَصَّلُ بِهَا إلَى إرَاقَةِ دَمِ هَذَا الإمَامِ؛ فحَجَبَهُ اللهُ عَنهُ**، وحَالَ بَينَهُ، وبَينَهُ، والحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِينَ» انتَهَى.

قَولُهُ: "**سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ، وهُوَ بِمِثلِهِ بَخِيلٌ**" ! فِي هَذِهِ العِبَارَةِ نَظَرٌ.

(١) ومِمَّن يَدخُلُ فِي مِثلِ هَذَا "**المَكر**": (**خَلِيلُ بنُ أَيبَكَ الصَّفَدِيُّ**) !، وانظُر مَا كَتَبَهُ فِي هَذَا البَحَّاثَةُ الفَاضِلُ أَبُو الفَضلِ القُونَوِيُّ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ - جَزَاهُ اللهُ خَيرًا- فِي كِتَابِهِ «مَوقِفُ خَلِيلِ بنِ أَيبَك الصَّفَدِيِّ مِن شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ» (ص٦٣)، وسَمَّاهُ "**المَكرَ العَقَارِبِيَّ**" !، ويَدخُلُ فِي هَذَا - أَيضًا- : الرَّحَّالَةُ الآقشَهرِيُّ (ت٧٣٩)، وتَقَدَّمَ الرَّدُّ عَلَيهِ.

وفِي النَّفسِ شَيءٌ مِمَّا صَنَعَهُ القَاضِي **عَلاءُ الدِّينِ القُونَوِيُّ الحَنَفِيُّ** (ت٧٢٩) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وفِي تَرجَمَتِهِ أَنَّهُ كَانَ "**يُعَظِّمُ ابنَ تَيمِيَّةَ**"، و"**يَذُبُّ عَنهُ**" !! مَعَ مُخَالَفَتِهِ لَهُ فِي أَشيَاءَ، وتَخطِئَتِهِ لَهُ، ومَعَ هَذَا **فَإِنَّ المَلِكَ النَّاصِرَ قَالَ لَهُ**: "**إِذَا وَصَلتَ إِلَى دِمَشقَ قُل للنَّائِبِ يُفرِجُ عَن ابنِ تَيمِيَّةَ**"؛ فَقَالَ عَلاءُ الدِّينِ هَذَا: "**يَا خُوند لأَيِّ مَعنًى سُجِنَ؟**"، **قَالَ**: "**لأَجلِ الفَتَاوَى**"، قَالَ: "**فَإِن كَانَ رَجَعَ عَنهَا أَفرَجنَا عَنهُ**" !!؛ قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: «**فَيُقَالُ: كَانَ هَذَا الجَوَابُ!! سَبَبًا فِي استِمرَارِ الشَّيخِ ابنِ تَيمِيَّةَ فِي السِّجنِ إِلَى أَن مَاتَ !!؛ لأَنَّهُ كَانَ لَا يُتَصَوَّرُ رُجُوعُهُ**» انتَهَى مِن «الدُّرَرُ الكَامِنَة» (٤/ ٣١)، وانظُر: «الوَافِي بالوَفَيَات» (٢٠/ ١٢٨-١٢٩) للصَّفَدِيِّ (ت٧٦٤) وهُوَ الأَصلُ النَّاقِلُ لِهَذَا الخَبَرِ، وعَنهُ نَقَلَ ابنُ حَجَرٍ، وهُوَ فِي مِثلِ هَذِهِ النُّقُولِ - فِيمَا يَضُرُّ ابنَ تَيمِيَّةَ !- ثِقَةٌ. =

فَرَدَّ اللهُ كَيدَ كُلٍّ فِي نَحرِهِ، ونَجَّاهُ علَى يَدِ مَن اصطَفَاهُ، واللهُ غَالبٌ عَلَى أَمرِهِ .
ثُمَّ لَم يَخلُ بَعدُ ذَلكَ مِن "فِتنَةٍ" بَعدَ "فِتنَةٍ"، ولَم يَنتَقِل طُولَ عُمرِهِ مِن "مِحنَةٍ" إلَّا إلَى "مِحنَةٍ" .
إِلَى أَن فُوِّضَ أَمرُهُ لبَعضِ القُضَاةِ؛ فتَقَلَّدَ مَا تَقَلَّدَ مِن اعتِقَالِهِ، ولَم يَزَل بمَحبَسِهِ ذَلكَ إِلَى حِينِ ذَهَابِهِ إِلَى - رَحمَةِ اللهِ تَعَالى-، وانتِقَالِهِ .
وإِلَى اللهِ تَرجِعُ الأُمُورُ، وهُوَ المُطَّلِعُ عَلَى خَائنَةِ الأَعيُنِ، ومَا تُخفِي الصُّدُورُ» انتَهَى[1] .



= وإِنِّي واللهِ لَمُتَعَجِّبٌ أَسِيفٌ حِينَ أَقرَأُ هَذَا، ولا أَدري هَل هَذَا مِن "المَكرِ"، و"المُخَاتَلَةِ" ؟، أَم مِن "الغَفلَةِ"، و"سُوءِ التَّصَرُّفِ" ؟؛ كَيفَ تَستَحِلُّ يَاقَاضِيَ اليَومِ! سَجنَ "عَالِمٍ مُسلمٍ" فِي "أَحَطِّ السجُّونِ"، و"أَردَئهَا" أَعنِي "القَلعَةَ"، و"جُبَّهَا" !؛ فِي "مَسَائلَ غَايَةُ مَا عِندَكَ فِيهَا مِن حُكمِكَ "أَنَّهُ أَخطَأَ"، وهُوَ "مُجتَهِدٌ فِيهَا" ؟! .
أَفَلَم يَكُن عِندَكَ كَافِيًا فِي التَّعزِيرِ لِمِثلِهِ - إِن أَردتَ التَّعزِيرَ- أَنَّهُ قَد لَبِثَ ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف] ؟ .
أَفَلا رَاعَيتَ كِبَرَ سِنِّهِ؛ فَنَقَلتَهُ إِلَى مَوضعٍ لَائقٍ بمِثلِهِ ؟! .
أَفَلا أَلزَمتَهُ دَارَهُ بَينَ إِخوَتِهِ، وذَوِيهِ ؟ .
وكَأَنِّي بكَ وقَد بَلَغَكَ مَوتُهُ، وقَد سُقِطَ فِي يَدِكَ !، وتَمَنَّيتَ أَن لَو قُطِعَ لسَانُكَ !، ولَم تَنطِق بتِلكَ الكَلِمَاتِ الجَائرَةِ الرَّعنَاءِ .
هَذَا مَا جَرَى وكَانَ ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم/ ٤]، والجَمِيعُ - الآنَ- بَينَ يَدَي اللهِ تَعالى، واللهُ حَكَمٌ عَدلٌ .

(١) «طَبَقَاتِ عُلَماءِ الحَدِيثِ» (٤/ ٢٩٠-٢٩١)، و«ذَيلَ طَبَقَاتِ الحنَابلَةِ» (٤/ ٤٩٩-٥٠٠)، و«شَذَرَاتِ الذَّهَبِ فِي أَخبَارِ مَن ذَهَبَ» (٨/ ١٤٥)، و «الرَّدَّ الوافِرَ» (ص٥٩-٦٠) .

الفَصْلُ الثَّالِث

[إِنصَافُ ابنِ تَيمِيَّةَ لخُصُومِهِ ولُزُومُهُ تَقوَى اللهِ فِيهِم]

الفَصْلُ الثَّالِثُ

[إِنصَافُ ابنِ تَيمِيَّةَ لخُصُومِهِ ولُزُومُهُ تَقوَى اللهِ فِيهِم]

كَانَ لشَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في هَذَا البَابِ القِدحُ المُعلَّى، والسَّبقُ المُفدَّى، في كَلِمَاتٍ نَيِّرَةٍ، ومَوَاقِفَ شَرِيفَةٍ عَاطِرَةٍ، تُغرَسُ أَزهَارًا في رِيَاضِ مَكَارِمِ الأَخلَاقِ، وتُجعَلُ مَنَارًا في صِدقِ التَّدَيُّنِ، وصَفَاءِ القَلبِ .

ومِن ذَلكَ قَولَتُهُ الشَّهِيرَةُ :

«هَذَا وأَنَا في "سَعَةِ صَدرٍ" لِمَن يُخَالِفُني؛ فَإِنَّهُ وإِن تَعَدَّى حُدُودَ اللهِ فِيَّ بِـ"تَكفِيرٍ"، أَو "تَفسِيقٍ"، أَو "افتِرَاءٍ"، أَو "عَصَبِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ" .

فَأَنَا لَا أَتَعَدَّى حُدُودَ اللهِ فِيهِ .

بَل أَضبُطُ مَا أَقُولُهُ، وأَفعَلُهُ، وأَزِنُهُ بِمِيزَانِ العَدلِ، وأَجعَلُهُ مُؤتَمًّا بِالكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَهُ اللهُ، وجَعَلَهُ هُدًى لِلنَّاسِ حَاكِمًا فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [البقرة/ ٢١٣] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء/ ٥٩] الآيَةَ .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ [الحديد/ ٢٥] .

وذَلِكَ أَنَّكَ مَا جَزَيتَ مَن عَصَى اللهَ فِيكَ بِمِثلِ أَن تُطِيعَ اللهَ فِيهِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل] .

وقَـالَ تعَـالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠﴾ [آل عمران]» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

[مِن رَوائعِ المَواقفِ التَّيميَّة]

قَالَ الإمَامُ الحَافِظُ العِمَادُ إِسمَاعيلُ ابنُ كَثير (ت٧٧٤) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى- في حَوَادثِ (سنَةِ ٧٠٩):

«وقَد كَانَ السُّلطَانُ أَعلَمَ بالشَّيخِ مِن جميع الحَاضِرينَ، بـ"**عِلمِهِ**"، و"**دِينِـهِ**"، و"**قِيَامِهِ بِالحَقِّ**"، و"**شَجَاعَتِهِ**".

وسَمِعتُ الشَّيخَ تَقِيَّ الدِّينِ يَذكُرُ مَا كَانَ بَينَهُ، وبَينَ السُّـلطَانِ مِـنَ الكَـلَامِ؛ لَـمَّا انفَرَدَا في ذَلِكَ الشُّبَّاكِ الَّذِي جَلَسَا فِيهِ.

وأَنَّ السُّلطَانَ استَفتَى الشَّيخَ في "**قَتلِ بَعـضِ القُضَـاةِ**"!؛ بِسَـبَبِ مَـا كَـانُوا تَكَلَّمُـوا فِيـهِ، وأَخـرَجَ لَـهُ "**فتَـاوَى بَعضِـهم [في] عَزلِـهِ مِـنَ المُلـكِ**"، و"**مُبَايعَـةِ الجَاشنكِيرِ**"![2].

و**أَنَّهُم قَامُوا عَلَيكَ، وآذَوكَ أَنتَ** - أَيضًا-.

وأَخَذَ يَـحُـثُّـهُ بِذَلِكَ عَلَى أَن "**يُفتِيَهُ في قَتلِ بَعضِهِم**"!.

وإِنَّمَا كَانَ حَنَقُـهُ عَلَـيهِم بِسَـبَبِ مَـا كَـانُوا سَـعَوا فِيـهِ مِـن عَزلِـهِ، ومُبَايَعَـةِ الجَاشنكِيرِ.

---

(١) «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٣/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٢) ومَعَ هَذَا لا يَستَحيُونَ من إِلصَاقِ هَذِهِ التُّهمَةِ بـابن تَيمِيَّـةَ، وقَـديمًا قِيـلَ في المَثَـلِ: "**رَمَتني بِدَائهَا وانسَلَّت**!".

فَفَهِمَ الشَّيخُ مُرَادَ السُّلطَانِ؛ **فَأَخَذَ فِي تَعظِيمِ القُضَاةِ، والعُلَماءِ، و[أَخَذَ] يُنكِرُ أَن يَنَالَ أَحَداً مِنهُم بِسُوءٍ** .

وقَالَ لَهُ: "**إِذَا قَتَلتَ هَؤُلَاءِ لَا تَجِدُ بِعدَهُم مِثلَهُم**" .

فَقَالَ لَهُ: "**إِنَّهُم قَد آذَوكَ، وأَرَادُوا قَتلَكَ مِرَارًا**" !! .

فَقَالَ الشَّيخُ: "**مَن آذَانِي؛ فَهُوَ فِي حِلٍّ، ومَن آذَى اللهَ، ورَسُولَهُ؛ فَاللهُ يَنتَقِمُ مِنهُ، وأَنَا لَا أَنتَصِرُ لِنَفسِي**"[1] .

ومَا زَالَ بِهِ؛ حَتَّى حَلُمَ عَنهُمُ السُّلطَانُ، وصَفَحَ .

قَالَ: وكَانَ قَاضِي المَالِكِيَّةِ ابنُ مَخلُوفٍ[2] يَقُولُ: "**مَا رَأَينَا مِثلَ ابنِ تَيمِيَّةَ**

---

(١) تَأَمَّل بِرَبِّكَ عِنَايَةَ اللهِ تَعَالَى بِهَذَا الإِمَامِ الفَذِّ؛ فَهذِهِ "**الأَخلَاقُ**" **إِنَّمَا هِيَ مِن "مَحضِ الأَرزَاقِ"**؛ لأَنَّهَا خُرُوجٌ عَن حُدُودِ النَّفسِ البَشَرِيَّةِ، نَسأَلُ اللهَ تَعَالَى لَنَا جَمِيعًا مِن فَضلِهِ العَظِيمِ.

(٢) هو: عَلِيُّ بنُ مَخلُوفٍ النُّويرِيُّ المَالِكِيُّ قَاضِي القُضَاةِ زَينُ الدِّين، بَقِيَ علَى القَضَاء (٣٣) سنَةً، ولَهُ فَضلٌ، وإِحسَانٌ للمُحتَاجِينَ، وجَرَت لَهُ أُمورٌ ذُمَّ لأَجلِهَا؛ حتَّى وَصَفَهُ ابنُ كَثِيرٍ فِي بَعضِهَا بالجَهلِ، والجَورِ، وكَانَ مِن أَشَدِّ خُصُومِ ابنِ تَيميَّةَ، وأَكثَرِهِم ظُلمًا؛ ولِهَذَا وصَفَهُ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ فِي ثَنَايَا كَلامِهِ مَعَ الطَّيبَرسِيِّ فِي القَضِيَّةِ الَّتِي خَاصَمَهُ فِيهَا بالكَذِبِ، والفُجُورِ، وقِلَّةِ العِلمِ، والدِّينِ، وأَقَرَّهُ الطَّيبَرسِيُّ كَمَا فِي «مَجمُوعِ الفتَاوى» (٣/ ٢٣٥) .

وانظُر تَرجَمَتَه فِي: «البِدَايَةِ والنِّهَايَةِ» (١٤/ ١٠٣)، و«الدُّرَرِ الكَامِنَةِ» (٤/ ١٥٢)، و«الوَافِي بالوَفَيَاتِ» (٢٢/ ١١٨)، و«حُسنِ المحَاضَرةِ فِي تَارِيخِ مِصرَ والقَاهِرةِ» (١/ ٤٥٨) .

حَرَّضنَا عَلَيهِ؛ فَلَم نَقدِر عَلَيـهِ، وقَـدِرَ عَلَينَـا؛ فَصَـفَحَ عَنَّـا، وحَـاجَجَ عَنَّـا !"[1]»

انتَهَى[2] .

❑ ❑ ❑

ولَيسَ هَذَا الخُلُقُ العَظِيمُ مِن ابـنِ تَيميَّـةَ غَرِيبًـا؛ فَقَـد كَـانَ فِي هَـذَا البَـاب "مَضرِبَ مَثَلٍ"، قَد جَعَلَ "رَسُولَ الله" - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَـلَى آلـهِ]، وسَـلَّمَ- "أُسوَتَهُ"، و"قُدوَتَهُ"؛ فَهُوَ لَهُ "تَابعٌ"[3] .

وكُلُّهُـــم مِـــن رَسُـــولِ الله مُلـــتَمِسٌ

غَرفـاً مِـنَ البَحـرِ أَو رَشـفًا مِـنَ الـدِّيَمِ

---

(١) سَيَأتِي نَقلُ ابن عَبدِ الهَادي، وابنِ رَجَب، ومَا ذَكَرَهُ ابنُ كَثِير هُوَ "نَقـلُ الـبِرزَالِيِّ"، ولا مَانعَ مِن تَكرَارِهِ الكَلامَ أَكثَرَ مِن مَرَّةٍ لِـتَكَرُّر الحَاجَةِ .

(٢) «البدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ٦١)، وابنُ كَثِير يَنقُلُ أَكثَرَ التَّفَاصِيلِ عَن "تَاريخ الحَـافظِ البِرزَالِيِّ" - وهُوَ الآنَ مَفقُودٌ-، وقَد حَكَى الوَاقعَةَ غَيرُ وَاحدٍ بقَرِيبٍ مِن هَذَا؛ فانظُر: «العُقُودَ الدُّرِيَّةَ» (ص٢٩٨-٢٩٩)، و«ذَيلَ طَبَقَات الحنَابلَة» (٤/ ٥١٦-٥١٧) .

(٣) وقَد أَبَانَ هَذِهِ المَقَامَاتِ الجَليلَـةَ، والخِصَـالَ النَّبيلَـةَ فِي شَـيخِ الإِسـلام ابـنِ تَيمِيَّـةَ تِلمِيذُهُ، وصَاحِبُهُ العَلَّامَةُ القُدوَةُ الزَّاهِدُ أَبُو العَبَّـاس أَحمَـدُ بـنُ إِبـرَاهيمَ الوَاسـطِيُّ الشَّـافِعِيُّ المَعرُوفُ بابنِ شَيخِ الحَزَّامِينَ (ت٧١١) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي رِسَـالَتِهِ، ونَصِـيحَتِهِ لِتَلامِيـذِ الشَّيخِ، وطُبِعَت باسمِ "التَّذكِرةُ والاعتِبَارُ والانتِصَارُ للأبـرَارِ" قَـالَ فِيهَـا (ص٣٣-٣٤/ دَار النَّوَادِر) مَا حَرفُهُ :

«مَا رَأَينَا فِي عَصـــرِنَا هَـذَا مَـن تُسـتَجلَى "النُّبُـوَّةُ المُحَمَّدِيَّـةُ"، وسُـنَّتُهَا مِـن "أَقوَالِـهِ"، و"أَفعَالِهِ" إِلَّا هَذَا الرَّجُلَ بِحَيثُ يَشهَدُ القَلبُ الصَّحِيحُ أَنَّ هَذَا هُوَ "الاتِّبَاعُ حَقِيقَةً"» انتَهَـى، وانظُر: «العُقُودَ الدُّرِيَّةَ» (ص٣٢٨) .

جاءَ في «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (٣٤٧٧)، و«مُسلمٍ» (١٧٩٢) عَن عَبدِ الله بـنِ مَسعُودٍ - رَضيَ اللهُ عَنهُ- قَالَ :

«كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَـلَّمَ-، يَحكِـي نَبِيًّـا مِـنَ الأَنبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَومُهُ؛ فَأَدمَوهُ، وهُوَ يَمسَحُ الدَّمَ عَن وَجهِهِ، ويَقُولُ :

«اللهُمَّ اغفِر لِقَومِي؛ فَإِنَّهُم لاَ يَعلَمُونَ» .

❑ ❑ ❑

ولأَجلِ هَذَا المَعنَى الجَلِيلِ قَالَ - ومَا أَحسَنَ مَا قَالَ !- :

«وأَنَا واللهِ مِن أَعظَمِ النَّاسِ مُعَاوَنَةً عَـلَى إطفَـاءِ كُـلِّ شَرٍّ فِيهَـا، وفي غَيرِهَـا، وإِقَامَةِ كُلِّ خَيرٍ، وابنُ مَخلُوفٍ لَو عَمِـلَ مَهـمَا عَمِـلَ، واللهِ مَـا أَقـدِرُ عَـلَى خَـيرٍ إِلَّا وأَعمَلُهُ مَعَهُ، ولَا أُعِينُ عَلَيهِ عَدُوَّهُ قَطُّ، ولَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

هَذِهِ نِيَّتِي، وعَزمِي، مَعَ عِلمِي بِجَمِيعِ الأُمُورِ .

فَإِنِّي أَعلَمُ أَنَّ الشَّيطَانَ يَنزَغُ بَينَ المُؤمِنِينَ، ولَـن أَكُـونَ عَونًـا لِلشَّـيطَانِ عَـلَى إِخوَانِي المُسلِمِينَ» انتَهَى[1] .

تِلــكَ "المَنَاقِــبُ" لا قَعبَــانَ مِــن لَــبَنٍ
شِــــيبَا بِــــمَاءٍ فَعَــــادَا بَعــــدُ أَبـــوَالًا

❑ ❑ ❑

وصَدَقَ تِلمِيذُهُ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تعالى-؛ إِذ قَالَ في كتَابِهِ «مَدارج السَّالكِين بين مَنَازل إيَّاك نَعبدُ وإيَّاك نَستَعين» في شَرحِ :

مَنزِلَةِ (الإحسَان إِلَى مَن أَسَاء إليكَ، ومُعامَلتِه بضِدِّ ما عَامَلَكَ بِهِ) !! .

حَتَّى يَكُونَ (الإِحسَانُ)، و(الإِسَاءَةُ) بَينَكَ وبَينَهُ خُطَّتَينِ .

---

(١) «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٣/ ٢٧١) .

فخُطَّتُكَ: (الإِحسَانُ)، وخُطَّتُهُ: (الإسَاءَةُ) ! .

إِلَى أَن قَالَ :

«**ومَا رَأَيتُ أَحَدًا قَطُّ أَجمعَ لهذهِ الخِصَال مِن شَيخ الإسلَام ابن تيميَّـة**
- قَدَّس اللهُ روحَه- .

وكَان بَعضُ أَصحابهِ الأَكَابر يَقُول :

«**وَدِدتُ أَنِّي لأَصحَابي مِثلَه لأَعدائِه، وخُصُومِهِ**[1]» .

ومَا رَأَيتُه يَدعو علَى أَحَدٍ مِنهُم قطُّ[2] **، وكَان يَدعو لَـهُم** .

وجِئتُ يَومًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوتِ أَكبَرِ أَعدَائِهِ، وأَشَدِّهِم عَدَاوَةً، وأَذًى لَهُ .

فَنَهَرَني !، وتَنكَّرَ لِي !، واستَرجَعَ .

ثُمَّ قَامَ مِن فَورِهِ إِلَى بَيتِ أَهلِهِ؛ فَعَزَّاهُم .

وقَالَ: "**إِنِّي لَكُم مَكَانَهُ، ولَا يَكُونُ لَكُـم أَمـرٌ تَحتَـاجُونَ فِيـهِ إِلَى مُسَـاعَدَةٍ إِلَّا وسَاعَدتُكُم فِيهِ**"، ونَحوَ هَذَا مِنَ الكَلَامِ ! .

---

(١) وتَقَدَّمَ قَريبًا مَا شَهِدَ بِهِ خَصمُهُ، وعَدُوُّهُ اللَّدُودُ (القَاضي زَينُ الدِّينِ ابنُ مَخلُوفٍ قَاضِي المَالكِيَّة (ت٧١٣)؛ حِينَ قَالَ: «**مَا رَأَينَا [أَتقَى] مِن ابن تَيمِيَّةَ، [لَـم نُبقِ مُـمكِنًا في السَّعي] في دَمِهِ؛ فَلَمَّا قَدِرَ عَلَينَا عَفَا عَنَّا**» انتَهى، وانظُر: «العُقُودَ الدُّرِيَّةَ» (ص٢٩٩)، و«ذَيلَ طَبَقَات الحَنَابلَة» (٤/ ٥١٧) .

(٢) ومِن جَليلِ المَوَاقفِ الَّتي تُعَدُّ مِن المَنَاقبِ مَا جَرَى حِينَ أُخِذَ الشَّيخُ للمُحَاكَمَةِ، وهُوَ بِمِصرَ؛ ثُمَّ مُنعَ مِن حُضُور المَجلسِ في قِصَّةٍ مَعرُوفَةٍ، حَكَاهَا الحَافظُ ابنُ رَجَب في «ذَيل طَبَقَات الحَنابلَة» (٤/ ٥١٢)، فقَالَ: «ثُمَّ رُدَّ الشَّيخُ، وقَالَ: رَضِيتُ أَن تَحكُمَ فيَّ؛ فَلَم يُمَكَّن مِن الجُلُوس، ويُقَالُ: **إنَّ أَخَاهُ الشَّيخَ شَرَفَ الدِّينِ ابتَهَلَ، ودَعَا اللهَ عَلَيهِم في حَالِ خُرُوجِهِم؛ فمَنَعَهُ الشَّيخُ، وقَالَ لَهُ: بَل قُل: "اللَّهُمَّ هَب لَـهُم نُورًا يَهتَدُونَ بِهِ إِلَى الحَقِّ"**» انتَهى .

فَسُرُّوا بِهِ، ودَعَوا لَـهُ، وعَظَّمُـوا هَـذِهِ الحَـالَ مِنـهُ؛ فَرَحِمَـهُ اللهُ، ورَضِيَ عَنـهُ» انتهى[1] .

❑ ❑ ❑

فَائدَةٌ مُهِـمَّةٌ، واستِطرَادٌ تَدعُو إِلَيهِ الحَاجَةُ :

هَذِهِ الوَاقعَةُ لا بُدَّ مِن الإِحسَانِ في فَهمِهَا؛ فَقَد أَشكَلَت عَلَى أُنَاس؛ فَخَرَجُوا بأَفهَامٍ مَغلُوطَةٍ، ومِن جَزيلِ نِعَمِ الله تَعَالى عَلَى الضَّعِيفِ كَاتبِ السُّطُور - عَفَـا اللهُ عَنهُ، وأَصلَحَ سَريرَتَهُ- أَن يَسَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعالى لَهُ البَحثَ في تَحريرِ المَقَالِ في هَـذِهِ الوَاقعَةِ، وبَيَانَ سَبرِهَا، وتَقسيمِهَا في كَلامٍ نَـافعٍ - إِن شَـاءَ اللهُ تَعَـالى- في أَورَاقٍ، ورسَالَةٍ نُشِـرَت بعُنوَان **"مَنهَجُ سَلَفِ الأُمَّةِ عِنـدَ مَـوتِ رُؤوسِ البِـدَعِ والمَذَمَّـةِ"**؛ ولأَهمِيَّةِ البَحثُ أَورِدُهُ، وأُعِيدُهُ - هُنَا-؛ فَأَقُولُ :

لَـم يُسَمِّ الإِمَامُ ابنُ القيِّم - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- لنَـا هـذَا العـدُوَّ، ولا وَقَفـتُ - الآنَ- علَى مَا يَدُلُّ على تَعيينِهِ؛ وعلَيه فسَبرُ، وتَقسيمُ هَذهِ القِصَّـة يَحتَمـلُ أُمُـورًا ثَلاثَةً :

الأَوَّلُ: أَن يَكُون هذا الرَّجُل، لَيس مُبتدعًا، بَل ممَّن غَلَبه الحَسَدُ .

الثَّاني: أَن يَكُون ذَا بدَعٍ، لكنَّهُ لَيس مِن رُؤُوس البِدعَة، ولا دُعَاتهَا .

---

(١) «مَدارجَ السَّالكِين» (٢/ ٣٢٨-٣٢٩) .

وقَد ذَكَرتُ هَذَا النَّقلَ في الجُزءِ الأَوَّل مِن هَذِهِ السِّلسلَةِ المُبَارَكَةِ - إِن شَاءَ اللهُ تَعالى- **"مَعَالِـمُ تَيمِيَّةٌ"**، وعُنوَانهُ: «**صَفحَةٌ مُضِيئَةٌ في الحِرصِ عَلَى التَّآلفِ، وبَذلِ أَسبَاب الإِخَاءِ، ونَبذِ أَسـبَاب الفُرقَةِ، والاختِلَافِ، وإِشَاعَةِ رُوحِ التَّسَامُح بَينَ أَهل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ عِنـدَ شَـيخ الإِسـلَامِ ابـنِ تَيمِيَّةَ**» .

الثَّالثُ: أَن يَكون رَأسًا في البدعَة، والضَّلالَة، دَاعيًا إليهَا، مُحَاربًا للسُّنَّة .

ولا رَابعَ .

وعَلى الاحتِمَال الأوَّل، والثَّاني يمكنُ أن يُقالَ :

مَذهبُ السَّلَف الصَّالح، والأئمَّة المَهديِّين[1] كانَ في حقِّ رُؤُوس أَهل البدَع، والأَهوَاء؛ فأَمَّا مَن لَـم يَكُن كذَلك فَلا يُعَامَل مُعَاملَة رُؤُوس الضَّلالِ .

فهَذا الخَصمُ عَدَاوتُه، وبَغيُه لجهلِه بحَقيقَةِ الحَالِ، أَو لغَلَبة الحَسَد عَليهِ .

وقَد يَصلُ الحسَدُ بأُنَاس إلى السَّعي في قَتل محسُودهم، كَمَا جرَى في قصَّة ابنَي آدمَ - عَليه السَّلام-، وفي قصَّة يُوسف - عليه السَّلام- مع إخوتِـه؛ فـالعَفو عَـن هَؤلاء درَجةٌ عَظيمةٌ، ومَنزلةٌ جَليلةٌ .

كَيفَ بالإحسَان إلَيهم، والبرِّ بهم بَعدَ مَوتهم ؟ .

وقَد كانَ لشَيخ الإسلام مِن تَحقيق معَاني الرِّفق **مَا يُعَدُّ به إمَامًا في هذا البَاب.**

فمِن جَميل كَلامهِ في عُتَاة خُصُومهِ؛ حِينَ تَكَالبُوا علَيه بمِصـرَ، ومَنَعُـوه مِـن حَقِّه في الجُلُـوس في مَجَـالس الحُكـم عَلَيـه، ودِفَاعـهِ عَـن نَفسـهِ!؛ ليَتَمَكَّنُـوا مِـن استِصدَار حُكمٍ بقَتلهِ!؛ **حتَّى إنَّ أخَاه الشَّيخَ شَرَف الدِّين ابتَهَلَ، ودَعَا اللهَ علَـيهم عندَ خُرُوجهم؛ فمَنَعَهُ الشَّيخ ! .**

وقالَ له: **بَل قُل "اللَّهمَّ هَب لـهُم نُورًا يهتَدون به إلى الحقِّ"**»[2] ! .

---

(١) تَقَدَّم شَرحُهُ بنُقُولهِ في أَصلِ الرِّسَالَةِ: **"مَنهَجُ سَلَفِ الأُمَّةِ عِندَ موتِ رُؤوسِ البِدَعِ والمَذَمَّةِ"** .

(٢) «ذَيلَ طَبَقاتِ الحنَابلَة» (٤/ ٥١٢) .

وكَان يَقولُ:

«لا أُحبُّ أن يُنتَصَـر مِن أَحَد بسَبب كَذبه عَليَّ، أَو ظُلمهِ، وعُدوَانه؛ فَإنِّي قَـد أَحلَلت كُلَّ مُسلم، وأنا أُحبُّ الخَير لكُلِّ المسلمِين، وأُريدُ لكُلِّ مُؤمنٍ مِن الخَير مَـا أُحِبُّه لنفسي، والَّذِين كَذَبُوا، وظَلمُوا؛ فهُم في حِلٍّ مِـن جِهَتـي!، وأمَّـا مَـا يتعَلَّـق بحقُوق الله؛ فَإن تَابوا تَاب الله عليهم، وإلَّا فحُكم الله نَافذٌ فِيهم»[1].

❑ ❑ ❑

وبَقي الاحتِمالُ الثَّالث، وهو: أَن يَكُون هَذا المَيتُ رَأسًا في البِدعَة، والضَّلَالة، دَاعيًا إلَيها، مُحاربًا للتَّوحيدِ، والسُّنَّة.

فيُمكن أن يُجاب بثَلاثة أَوجُهٍ:

الوَجهُ الأوَّل:

أن يَكُونَ هذا الرَّجُل رَأسًـا مـن رُؤُوس البـدَع، والضَّـلَالات، لكـنَّ شـيخَ الإسلام ابنَ تيميَّة - رَحمَه اللهُ تعالى- رَأى في تبَشير تِلميذِه ابن القَيِّم بمَوتـهِ عَـدَم وُجُود ما تَقدَّمت الإشَارَة إليهِ مِن المَقاصدِ الشَّـرعيَّة[2]!.

فلمَّا لَـم تتَحقَّق عندَه هذه المَقاصد الَّتي كَان يَقصدُها السَّلَف الصَّـالحُ زَجَـرَ ابنَ القَيِّم، ونَهَرَه!.

وهَذَا فيه نظرٌ!؛ إذ فِيه سُـوء الظَّـنِّ بهَـؤُلاء الفُضَـلاء، وأنَّهـم غَلَـبَهم حَـظُّ نُفُوسهم علَى رعَايَة المَقصَد الشَّرعيِّ!.

---

(١) «مَجمُوعَ الفتَاوَى» (٢٨/ ٥٥).

(٢) انظُر: بَيَانَ ذَلك في رِسَالَةِ: "**مَنهَجُ سَلَفِ الأُمَّةِ عِندَ مَوتِ رُؤوسِ البِدَعِ والمَذَمَّةِ**".

وفي هَذا بُعدٌ؛ إذ لو كَان كذلك لكَان جوَاب شَيخ الإسلام ببيَان المَقصَد الشَّرعيِّ من الفَرح بمَوتِ رُؤُوس أَهل البدَع .

❏ ❏ ❏

الوَجهُ الثَّاني :

أنَّه قَد جرَى بَينَه وبَين هذَا المُبتَدع الدَّاعي مِن الخُصُومةِ الدِّينيَّة، والمُلاحَات مَا خَشي أَن يَكونَ سَببًا لصَدِّ الجهَّال من أَتبَاعهِ عِند بيَان الحقِّ لـهم، أَو دَعوَتهم إلى تَرك بدَعِهم؛ فقَدَّم مَصلحَةَ تَأليفِهم، وهِي مَصلَحةٌ كُبرَى علَى المَصلحَةِ الصُّغرَى .

وهَذا لا يُعارض مَا تقَدَّم عن الصَّحَابَة، والتَّابعين، والأئمَّة المَهدِيِّين في مَوقفِهم مِن مَوت رُؤُوس المُبتَدعَة .

❏ ❏ ❏

الوَجهُ الثَّالثُ :

أنَّ شيخَ الإسلام - رَحمَه اللهُ تعالى - **نظَرَ إلى ضَعف أَحوَالِه، وأَحوَال أصحَابه، وقِلَّة حِيلَتِهم، وغَلَبَة أهل البَاطل، واستِطَالتهم بالسُّلطَان، وكَثرَة اغترَار الجُهَّال بهم؛ فَرَأى أنَّ مَصلحَةَ تَأليفِ القُلُوب بشيءٍ مِن اللُّطفِ معَ الاستِضعَاف أَعظَم نَفعًا، وأَكثَر نَصرًا لدَعوةِ الحَقِّ مِن إظهَار الفَرَح، ونَحو ذَلكَ ممَّا ثبَت فِعلُهُ عن السَّلَف الصَّالح .**

ولا شكَّ أنَّ لحَال القُوَّة أَحكامًا، قد لا يُقدَرُ عليها حالَ الضَّعف، كـ(هَجر المبتَدعَة) الَّذي يَتبَع المصلحة الشرعيَّة، كما قال الإمَام أحمَدُ في أهل خُراسَان .

جاءَ في «مسائل إسحاق بن منصور» (٩/ ٤٧٦٥-٤٧٦٦) عن إسحَاق أنَّـه قال لأَبي عبد الله: **من قال: القرآن مخلوق ؟** .

قال: **أَلـحِق به كلَّ بليَّة** .

قلتُ: **فيُظهِرُ العَدَاوةَ لـهُم، أَم يُداريهم ؟** .

قال: **أهلُ خرَاسَانَ لا يَقوَونَ بهم»** .

قال شيخُ الإسلام معلِّقًا :

«فإذا لَـم يكن في هُجرانه انزجارُ أحد، ولا انتهاءُ أحدٍ؛ بل بطلان كثـيرٍ مِـن الحسَنات المَأمُور بها لَـم تَكُن هِجرةً مأمورًا بها كما ذكره أَحمدُ عـن أهـل خُرَاسـان - إذ ذَاك- أنَّهم لَـم يكونُوا يَقوَون بالجهميَّة .

فإذَا عَجَزوا عن إظهَار العَدَاوةِ لَـهُم، سَقَط الأمر بِفِعل هذهِ الحسَـنَة، وكـانَ مُدَاراتُهم فيه دَفع الضَّرر عَن المؤمن الضَّعيف، ولعَلَّه أن يَكُون فيهِ تَـأليفُ الفَـاجر القَويِّ .

وكَذلكَ لَـمَّا كَثُرَ القَدَر في أَهل البَصـرَة؛ فَلَـو تُـركَ روَايَـة الحَـديث عَـنهُم، لاندَرَس العِلمُ، والسُّنَنُ، والآثارُ المَحفوظَة فيهم .

فإذَا تَعذَّر "إقامَة الوَاجبَات" مِن العِلم، والجهَـاد، وغَـير ذَلـكَ إلَّا بمَـن فيـهِ بدعَةٌ مَضرَّتُها دون مَضرَّةِ تَرك ذلكَ الوَاجب :

كَـان تَحصـيلُ "مَصـلحَةِ الوَاجـب" مـعَ مَفسَـدةٍ مَرجُوحـةٍ مَعـه خَـيرًا مِـن العَكس»[1] .

---

(١) «مجمُوعَ الفتَاوى» (٢٨/ ٢١٠و٢١٢) .

ومَعَ هذَا كُلِّهِ :

فإنَّ شيخَ الإسلام – رحمَه اللهُ تعالى – **غَايةُ مَا كانَ مِنهُ هُـوَ الإحسَـانُ إلى هَـذا الرَّجل بَعدَ مَوته، والإحسَان إلَى ذَويهِ، وتَعزيتُهم، ومُوَاسَاتُهُم في فَقدِهم لأَبيهم .**

ولَـم يَكُن مِنه – رحمَه اللهُ تعالى – **تَزكيةٌ لهذا المبتَدع، أَو ثنَاءٌ عَليـه، أَو مبَالغـةٌ في الإطرَاء لهُ، ومَدحهِ، أَو تَعزيةٌ للأُمَّة في فَقدِهِ ! .**

كَمَا يَجري – اليَومَ – مِن بَعض مَن تربَّى عـلى غَـير مَـنهَج أَهـل السـنَّة؛ فهُـم يُحوقِلُون !، ويَستَرجعُون !، ويُظهرُون الحُزنَ، والأَلَـم، والتَّحَسُّر !؛ لفَقـدِ ذاكَ الدَّاعيَة المُبتَدع الضَّالِّ !، ويُبَالغُون في الثَّنَاء علَيه !، والتَّأَسُّف لفقـدِه !، والتَّوجُّع لموتِه !! .

وهذا تَغريرٌ للجُهَّال بحُسن طَريقَة هذا المُبتَدع الضَّالِّ، وتَهـوينٌ مِـن بدَعِـهِ، ومَا كانَ عَليهِ من الضَّلال، ونَشرهِ، والدَّعوَة إلَيه» انتَهى[(١)] .

❑ ❑ ❑

---

(١) مِن رسَالَتي: "**مَنهَجُ سَلَفِ الأُمَّةِ عِندَ مَوتِ رُؤوسِ البِدَعِ والمَذَمَّةِ**" .

الفَصْلُ الرَّابِعُ

[ثِقَةُ ابنِ تَيميَّةَ - رَحمَهُ اللهُ- بربِّهِ،
وأَنَّ اللهَ نَاصرٌ حِزبَهُ، ويَقينُهُ أَنَّ
هَذَا البَلاءَ نِعمَةٌ يُعرَفُ بهَا الحَقُّ،
وأَنَّ ذَلكَ لا يَكُونُ إلا بإِقَامَةِ المُعَارِضِ،
وأَنَّ مُدَافَعَتَهُم مِن أَعظَمِ الجهَادِ]

الفصل الرابع

[ثِقَةُ ابن تَيميَّةَ – رَحمَهُ اللهُ– بربِّهِ، وأَنَّ اللهَ نَاصرٌ حِزبَهُ، ويَقينُهُ أَنَّ هذَا البَلاءَ نِعمَةٌ يُعرَفُ بهَا الحَقُّ، وأَنَّ ذَلكَ لا يَكونُ إلا بإِقَامَةِ المُعَارضِ، وأَنَّ مُدَافعَتَهُم مِن أَعظَمِ الجهَاد]

كَتَبَ مِن سِجنِهِ بالقَلعَةِ قَبلَ مَوتِهِ بِيَسِيرٍ بِـ(**الفَحمِ**)!![1] لأَصحَابِهِ هَذِهِ الوَرَقَةَ :

بسم الله الرحمن الرحيم

سَلَامُ الله عَلَيكُم، ورَحمَةُ الله، وبَرَكَاتُهُ .

ونَحنُ لله الحَمدُ، والشُّكرُ في **نِعَمٍ مُتَزَايِدَةٍ مُتَوَافِرَةٍ، وجَمِيعُ مَا يَفعَلُهُ اللهُ فِيهِ نَصرُ الإِسلَامِ**، وهُوَ مِن نِعَمِ الله العِظَام .

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٢٨ ﴾ [الفتح] .

---

(١) قَالَ ابنُ عَبدِ الهَادي : «فَلَمَّا كَانَ قَبلَ وَفَاتِهِ بأَشهُرٍ وَرَدَ مَرسُومُ السُّلطَان بإِخرَاج مَا عِندَهُ كُلِّهُ، ولَم يَبقَ عِندَهُ كتَابٌ، ولَا ورَقَةٌ، ولَا دَوَاةٌ، ولَا قَلَمٌ، وكَانَ بَعدَ ذَلِكَ إِذَا كَتَبَ ورَقَةً إِلَى بَعض أَصحَابهِ **يَكتُبُهَا بفَحم!**، وقد رَأَيتُ أَورَاقًا عِدَّةً بعَثَهَا إِلَى أَصحَابهِ، وبَعضُهَا مَكتُوبٌ بفَحمٍ، مِنهَا ورَقَةٌ يَقُولُ» ثُمَّ أَورَدَهَا .

فَإِنَّ الشَّيطَانَ استَعمَلَ حِزبَهُ فِي إفسَادِ دِينِ الله، الَّذي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وأَنزَلَ بِهِ كُتُبَهُ .

ومِن سُنَّةِ الله: أَنَّهُ إذَا أَرَادَ إظهَارَ دِينِهِ أَقَامَ مَن يُعَارِضُهُ؛ فَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، ويَقذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ؛ فَيَدمَغُهُ؛ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ .

والَّذي سَعَى فِيهِ حِزبُ الشَّيطَانِ لَم يَكُن مُخَالَفَةً لِشَرعِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ- وَحدَهُ؛ بَل مُخَالَفَةً لِدينِ جَمِيعِ المُرسَلِينَ: إبرَاهِيمَ، ومُوسَى، والمَسِيحِ، ومُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِم أَجمَعِينَ- .

وكَانُوا قَد سَعَوا فِي أَن لَا يَظهَرَ مِن جِهَةِ حِزبِ الله، ورَسُولِهِ خِطَابٌ، ولَا كِتَابٌ، وجَزِعُوا مِن ظُهُورِ "الأَخنَائِيَّةِ" ! .

فَاستَعمَلَهُم اللهُ تَعَالَى؛ حَتَّى أَظهَرُوا أَضعَافَ ذَلِكَ !، وأَعظَمَ ! .

وأَلزَمَهُم بِتَفتِيشِهِ، ومُطَالَعَتِهِ، ومَقصُودُهُم إظهَارُ عُيُوبِهِ، ومَا يَحتَجُّونَ بِهِ؛ فَلَم يَجِدُوا فِيهِ إلَّا مَا هُوَ حُجَّةٌ عَلَيهِم، وظَهَرَ لَهُم جَهلُهُم، وكَذِبُهُم، وعَجزُهُم، وشَاعَ هَذَا فِي الأَرضِ، وأَنَّ هَذَا مِمَّا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إلَّا اللهُ .

ولَم يُمكِنهُم أَن يُظهِرُوا عَلَينَا فِيهِ عَيبًا فِي الشَّرعِ، والدِّينِ .

بَل غَايَةُ مَا عِندَهُم: أَنَّهُ خُولِفَ مَرسُومُ بَعضِ المَخلُوقِينَ ! .

والمَخلُوقُ كَائِنًا مَن كَانَ إذَا خَالَفَ أَمرَ الله تَعَالَى، ورَسُولِهِ لَم يَجِب، بَل ولَا يَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي مُخَالَفَةِ أَمرِ الله، ورَسُولِهِ بِاتِّفَاقِ المُسلِمِينَ .

وقَولُ القَائِلِ: إنَّهُ "يُظهِرُ البِدَعَ" كَلَامٌ يَظهَرُ فَسَادُهُ لِكُلِّ مُستَبصِرٍ، ويَعلَمُ أَنَّ الأَمرَ بِالعَكسِ .

فَإِنَّ الَّذِي يُظهِرُ البِدعَةَ :

إِمَّا أَن يَكُونَ لِعَدَمِ عِلمِهِ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ .

أَو لِكَونِهِ لَهُ غَرَضٌ، وهَوًى يُخَالِفُ ذَلِكَ .

و[هُم] أَولَى بِالجَهلِ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ، واتِّبَاعِ هَوَاهُم بِغَيرِ هُدًى مِن الله ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص/ ٥٠] مِمَّن هُوَ أَعلَمُ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ مِنهُم، وأَبعَدُ عَن الهَوَى، والغَرَضِ فِي مُخَالَفَتِهَا .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية] .

وهَذِهِ قَضِيَّةٌ كَبِيرَةٌ، لَهَا شَأنٌ عَظِيمٌ؛ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ۝٨٨﴾[ص][1] .

ثُمَّ قَالَ بَعدَهُ :

وكَانُوا يَطلُبُونَ تَمَامَ "الأَخنَائيَّةِ"؛ فَعِندَهُم مَا يَطُمُّهُم أَضعَافَهَا، وأَقوَى فِقهًا مِنهَا، وأَشَدَّ مُخَالَفَةً لِأَغرَاضِهِم .

فَإِنَّ "الزَّمَلكَانيَّةَ"[2] قَد بُيِّنَ فِيهَا مِن نَحوِ خَمسِينَ وَجهًا :

---

(١) وهَذَا مِن **"الفِرَاسَةِ التَّيمِيَّةِ"**، والنَّظَرِ فِي **"مَآلَاتِ الأُمُور"**؛ وقَد جَرَى بَعدَ هَذِهِ المِحنَةِ الأَلِيمَةِ مِن **"نَصرِ دِينِ الله تَعَالَى"**، وظُهُورِهِ، وكَثرَةِ أَتبَاعِهِ مِن أَفَاضِلِ العُلَمَاءِ، والصَّالِحِينَ إِلَى يَومِنَا – مَعَ سَعيِ الأَعدَاءِ المُبتَدِعَةِ فِي إِطفَائِهِ بِكُلِّ سَبِيلٍ – **مَا هُوَ مِن أَعظَمِ النِّعَمِ، وأَجزَلِهَا** . وأعظم الآيات .

(٢) لا أَعلَمُ – الآنَ – عَن هَذَا الكِتَاب شَيئًا، ولَم يُذكَر فِي قَائمَةِ مُؤَلَّفَاتِهِ، ونَسأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَن يُيسِّرَ الوُقُوفَ عَلَيهِ .

وقَد كَتَبَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فِي المِحنَةِ الأَخِيرَةِ **"مُجَلَّداتٍ"**، قَالَ ابنُ عَبدِ الهَادِي فِي «العُقُودِ الدُّرِّيَةِ» (ص٥٤): «**ولَهُ فِي "مَسأَلَةِ شَدِّ الرِّحَالِ"، ولَوَازِمِهَا الَّتِي حُبِسَ، ومَاتَ فِي السِّجنِ بِسَبَبِهَا شَيءٌ كَثِيرٌ بُيِّضَ مِنهُ مُجَلَّدَاتٌ عَدِيدَةٌ**»، وقَالَ – أَيضًا – =

أَنَّ مَا حُكِمَ بِهِ، ورُسِمَ بِهِ مُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ المُسلِمِينَ .

ومَا فَعَلُوهُ لَو كَانَ مِـمَّن يَعرِفُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، ويَتَعَمَّـدُ مُخَالَفَتَـهُ؛ لَكَـانَ كُفرًا، ورِدَّةً عَنِ الإِسلَامِ؛ لَكِنَّهُم جُهَّالٌ دَخَلُوا فِي شَيءٍ مَا كَانُوا يَعرِفُونَهُ، ولَا ظَنُّوا أَنَّهُ يَظهَرُ مِنهُ أَنَّ السَّلطَنَةَ[1] تُخَالِفُ مُرَادَهُم، والأَمرُ أَعظَمُ مِـمَّا ظَهَرَ لَكُم .

ونَحنُ ولله الحَمدُ عَلَى عَظِيمِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا، وقَالَ :

بَل جِهَادُنَا فِي هَـذَا مِثـلُ جِهَادِنَـا "يَـومَ قَـازان"، و"الجَبَلِيَّـة"، و"الجَهمِيَّـة"، و"الاتِّحادِيِّةِ"، وأَمثَالِ ذَلِكَ .

وذَلِكَ مِن أَعظَمِ نِعَمِ الله عَلَينَا، وعَلَى النَّاسِ، ولَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ» انتهى[2] .

وقَالَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- فِي خَاتِمَةِ رِسَالَةٍ أُخرَى :

«واللهُ نَاصِرٌ دِينَهُ، ونَاصِرٌ عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ عَلَى مُنَاوِئيهِم بِالبَاطِـلِ، لَكِـن لَـيسَ هَذَا مَوضِعُ الإِخبَارِ بِتَفَاصِيلَ سَارَّةٍ .

والحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ، وصَـحبِهِ، وسَـلَّمَ» انتهى[3] .

❑ ❑ ❑

=(ص٣٧٧): «وكَتَبَ فِي المَسأَلَةِ الَّتِي حُبسَ بِسَبَبِهَا عِدَّةَ مُجَلَّدَاتٍ، مِنهَا كِتَابٌ فِي الـرَّدِّ عـلَى ابـن الأَخنَائيِّ قَاضِي المَالِكيَّةِ بِمِصـرَ، تُعرَفُ بـ"الأَخنَائيَّة"، ومِنهَا: "كتَابٌ كَبِيرٌ حَافِلٌ فِي الرَّدِّ عـلَى بَعض قُضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ"، وأَشيَاءَ كَثِيرَةً فِي هَذَا المَعنى - أَيضًا-» انتَهَى .

(١) هَكَذَا فِي المَطبُوعِ: ولَعَلَّهَا: [السُّنَّةَ] .

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٢٨/ ٥٧-٥٩)، و «العُقُودَ الدُّرِيَّة» (ص٣٧٩-٣٨٠) .

(٣) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٣/ ٢٤٧) .

وكَتَبَ سنَةَ ٧٠٩ بَعدَ خُرُوجهِ مِن السِّجن، ومَا صَرَفَهُ اللهُ عَنـهُ مِـن مَكَائـدِ "غُلَاةِ الصُّوفيَّةِ"، و"نَصرِ المَنبَجيِّ "، و"الأَمير الجَاشـنكِير"، وقَـد أَعَـادَ اللهُ تَعَـالَى المَلكَ النَّاصرَ إِلَى السُّلطَةِ؛ فقَتَلَ الجَاشنكِير، ونَفَي المَنبَجيَّ فِي زَاويتِهِ؛ حتَّى مَاتَ[١]، واحتَفَى بابنِ تَيميَّةَ غَايَةَ الاحتِفَاءِ، ونَصَرَهُ :

«فكَتَبَ إلى إخوَانِهِ فِي دِمَشقَ:

والحَقُّ كُلَّ مَالَهُ فِي عُلُوٍّ، وازدِيَادٍ، وانتِصَارٍ، والبَاطِلُ فِي انخِفَاضٍ، وسُـفُول، واضمِحلَالٍ[٢] .

---

(١) مِن عَجَائبِ "**الفِرَاسَةِ التَّيمِيَّـةِ**" مَا تَقَدَّمَ مِن قَولِ الحَافظِ ابنِ كَثيرٍ فِي بَيَانِهِ سَبَبًا مِـن أَسبَابِ عَدَاوَةِ المَذكُورينَ لَهُ، ومَا كَانَ يَقُولُهُ ابـنُ تَيميَّـةَ فِي السِّـجنِ جَازمًـا !: «**وكَـانَ سَـبَبَ عَدَاوتِهِ لَه: أَنَّ الشَّيخَ تَقِيَّ الدِّين كَانَ يَنَالُ مِنَ الجَاشنكِيرِ، ومِن شَيخِهِ نَصـرِ المَنبِجِيِّ**، ويَقُـولُ: **زَالَت أَيَّامُهُ، وانتَهَت رِيَاسَتُهُ، وقَرُبَ انقِضَاءُ أَجلِهِ**» انتَهى مِن «البِدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ٥٦) .

فَسُبحَانَ الله العَظيم ! **كَيفَ تَحَقَّـقَ كُـلُّ حَـرفٍ مِمَّـا** قَالَـهُ ابـنُ تَيمِيَّـةَ، وهُـوَ مَحبُـوسٌ فِي سِجنِهِم، وهُم فِي **أَوجِ قُوَّتِهِم، وعُنفُوَانِ نَشَاطِهِم**، وهُوَ يُرَدِّدُ هَذَا الكَلامَ كَالجَـازِمِ بِـهِ: «**زَالَـت أَيَّامُهُ !، وانتَهَت رِيَاسَتُهُ !، وقَرُبَ انقِضَاءُ أَجلِهِ !**»؛ هَذَا واللهِ مِـمَّا يُقضَى مِنهُ العَجَبُ؛ فَتَأَمَّل .

(٢) وهَذِهِ المَصَالحُ الكَبيرَةُ، والكَثيرَةُ؛ هِيَ الَّتي أَشَارَ إِلَيهَا شَـيخُ الإِسـلَامِ ابـنُ تَيمِيَّـةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- قَبلَ أَربَعِ سَنَواتٍ؛ لَـمَّا طُلِبَ إِلَى مِصرَ بَعدَ نَصـرِ الله تَعالَى لَهُ فِي "**مَجَـالس الوَاسطِيَّةِ**"؛ فَطَلَبَهُ المِصـريُّون فِي سَنَة (٧٠٥) - والقَصدُ قَتلُهُ- بحِيلَةِ إِصدَارِ الحُكمِ المُوجِـبِ لذَلكَ بَعدُ، ورَفعِ الدَّعوَى، وإِقامَة الشُّـهُودِ؛ فَخَـافَ مُحِبُّـوه، وخَـرَجَ مـعَ الشَّـيخ خَلـقٌ مِـن أَصحَابِهِ، وبَكَوا، وخَافُوا عَلَيهِ مِن أَعدَائهِ، وأَشَارَ عَلَيه نَائبُ السَّلطنَةِ الأَفرَمُ بتَركِ الذَّهَاب إِلَى مِصـرَ، وقَالَ لَهُ: "**أَنَا أُكَاتِبُ السُّلطَانَ فِي ذَلك، وأُصلِحُ القَضَـايَا**"؛ قَـالَ ابـنُ كَـثيرٍ: "**فَـامتَنَعَ الشَّيخُ مِن ذَلكَ، وذَكَرَ لَهُ أَنَّ فِي تَوجُّهِهِ لِمِصـرَ مَصلَحَةً كَبيرَةً !، ومَصَالحَ كَثيرَةً !**"» انتَهى مِـن «البدَايَةِ والنِّهَايَةِ» (١٤/ ٤٣).

وفي مِثلِ هَذَا يَصدُقُ قَولُ البُحتُرِيِّ :

=

وقد أَذَلَّ اللهُ رِقَابَ الخُصُوم، وطَلَبَ أَكَابِرُهُم مِنَ السِّلمِ مَا يَطُولُ وَصفُهُ .

وقَد اشتَرَطنَا عَلَيهِم مِنَ الشُّرُوطِ مَا فِيهِ عِزُّ الإِسلَامِ، والسُّنَّةِ، ومَا فِيهِ قَمعُ البَاطِلِ، والبِدعَةِ، وقَد دَخَلُوا تَحتَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وامتَنَعنَا مِن قَبُولِ ذَلِكَ مِنهُم؛ حَتَّى يَظهَرَ إِلَى الفِعلِ[1] .

فَلَم نَثِق لَهُم بِقَولٍ، ولَا عَهدٍ، ولَم نُجِبهُم إِلَى مَطلُوبِهِم؛ حَتَّى يَصِيرَ المَشرُوطُ مَعمُولًا، والمَذكُورُ مَفعُولًا[2] .

ويَظهَرَ مَن عَزِّ الإِسلَامِ، والسُّنَّةِ لِلخَاصَّةِ، والعَامَّةِ مَا يَكُونُ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمحُو سَيِّئَاتِهِم .

= وإِذَا صَحَّتِ الرَوِيَّةُ يَوماً فَسَواءٌ "ظَنُّ" امرِئٍ و"عِيَانُه"!

(١) وهَذَا هُوَ مِيزَانُ الصِّدقِ، والكَذِبِ: **أَلَا وهُوَ العَمَلُ، لا مُجَرَّدُ القَولِ باللِّسَانِ** .

وهُوَ دَرسٌ عَظِيمٌ لأَهلِ السُّنَّةِ عِندَ مُنَاصَرَةِ السُّلطَانِ لـ"**السُّنَّةِ**"، و"**انقِمَاعِ البِدعَةِ**"؛ فَإِنَّ مَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِن أَهلِ تِيكَ البِدَعِ المَذمُومَةِ مِن "**التَّظَاهُرِ بالسُّنَّةِ**"، لا يَنبَغِي أَن يُوثَقَ بِهِ؛ حَتَّى يَكُونَ "**الفِعلُ**" **ظَاهِرًا فِي ذَلِكَ، شَاهِدًا لَهُ، نَاطِقًا بِهِ** .

واعتَبِر – اليَومَ– بِمَا يُظهِرُهُ كَثِيرُونَ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ مِن "**طَاعَةِ وُلاةِ الأَمرِ**" مِمَّن كَانُوا أَمسِ مِن "**دُعَاةِ الثَّوَرَاتِ، والفِتَنِ**"، وقَد هَلَكَ بِسَبب فَتَاوِيهِم، ومَوَاقِفِهِم فِي الفِتَنِ شَبَابٌ أَغرَارٌ فِي مُختَلَفِ دِيَارِ المُسلِمِينَ؛ ولا يَعنِي هَذَا تَكذِيبَهُم !، ورَدَّ مَا تَنطِقُ بِهِ – اليَومَ– أَلسِنَتُهُم، ولَكِن يُدعَونَ إِلَى تَصدِيقِ هَذِهِ "الأَقوَالِ" بـ"**الأَفعَالِ**"، واللهُ المُوَفِّقُ والهَادِي .

(٢) تَأَمَّل هَذَا .

وذَكَرَ كَلَامًا طَوِيلًا يَتَضَـمَّنُ مَـا جَـرَى لَـهُ مَـعَ السُّـلطَانِ في قَمـعِ اليَهُـودِ، والنَّصَارَى، وذُلِّـهِم، وتَركِهِم عَـلَى مَـا هُـم عَلَيـهِ مِـنَ الذِّلَّـةِ، والصَّـغَارِ (١)، واللهُ سُبحَانَهُ أَعلَمُ» انتَهَى (١).

---

(١) حَكَى الحَافظُ ابنُ كَثير هَذِهِ الوَاقعَةَ فقَالَ: «**قُلتُ**: وقَد أَخبَرَني القَاضِي جَمَالُ الدِّينِ ابنُ القَلَانِسِيِّ بِتَفَاصِيلِ هَذَا المَجلِسِ، ومَا وقَعَ فيهِ مِن تَعظِيمِـهِ، وإكرَامِـهِ ممَّـا حَصَـلَ لَـهُ مِـنَ الشُّكرِ، والمَدحِ مِنَ السُّلطَانِ، والحَاضِرينَ مِن الأُمَرَاءِ، وكَذلكَ أَخبَرَني بذَلكَ قَـاضِي القُضَـاةِ مَنصُورُ الدِّينِ الحَنَفِيُّ .. إلَى أَن قَالَ: وجَلَسَ الشَّيخُ تَقِيُّ الدِّينِ بَينَ يَدَي السُّلطَانِ عَـلَى طَـرَفِ طُرَّاحَتِهِ، وتَكَلَّمَ الوَزِيرُ **في إعَادَةِ أَهلِ الذِّمَّةِ إِلَى لُبسِ العَمَائِمِ البِيضِ بِالعَلَائِمِ، وأَنَّهُم قَدِ التَزَمُوا لِلدِّيوَانِ بِسَبعِ مِائَةِ ألفٍ في كُلِّ سَنَةٍ، زِيَادَةً على الحَاليَّـةِ؛ فَسَكَتَ النَّـاسُ، وكَـانَ فِـيهِم قُضَـاةُ مِصرَ، والشَّام، وكبَار العُلَمَاءِ مَن أَهلِ مِصرَ، والشَّـامِ مِـن جُملَـتِهِمُ: ابـنُ الزَّمَلكَـانِيِّ**، قَـالَ ابـنُ القَلَانِسِيِّ: وأَنَا في مَجلِسِ السُّلطَانِ إِلَى جَنبِ ابنِ الزَّمَلكَانِيِّ؛ فَلَم يَتَكَلَّم أَحَـدٌ مِـنَ العُلَـمَاءِ، ولَا مِنَ القُضَاةِ؛ **فَقَالَ لَـهُمُ السُّلطَانُ: مَا تَقُولُونَ ؟**، يَستَفتِيهِم في ذَلكَ؛ فَلَـم يَـتَكَلَّم أَحَـدٌ؛ **فَجَثَـى الشَّيخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلَى رُكبَتَيهِ !، وتَكَلَّمَ مَعَ السُّلطَانِ في ذَلكَ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ!، وَرَدَّ عَلَى الوَزِيرِ مَـا قَالَهُ رَدًّا عَنِيفًا، وجَعلَ يَرفَعُ صَوتَهُ !، والسُّلطَانُ يَتَلَافَاهُ، ويُسَكِّتُهُ بِتَرَفُّقٍ، وتُؤَدَةٍ، وتَوقِيرٍ .**

وبَالَغَ الشَّيخُ فِي الكَلَامِ، وقَالَ مَا لَا يَستَطِيعُ أَحَدٌ أَن يَقُومَ بمِثلِهِ، ولا بقَرِيبٍ مِنهُ، وبَـالَغَ في التَّشنِيعِ عَلَى مَن يُوَافِقُ فِي ذَلِكَ .

وقَالَ للسُّلطَانِ: **حَاشَاكَ أَن يَكُونَ أَوَّلُ مَجلِسٍ جَلَستَهُ في أُبَّهَـةِ المُلـكِ تَنصُـرُ فِيـهِ أَهـلَ الذِّمَّةِ!؛ لأَجلِ حُطَامِ الدُّنيَا الفَانِيَةِ؛ فَاذكُر نِعمَةَ الله عَلَيكَ؛ إِذ رَدَّ مُلكَكَ إِلَيكَ؛ وكَبَتَ عَـدُوَّكَ، ونَصَرَكَ عَلَى أَعدَائِكَ .**

فَذَكَرَ أَنَّ الجَاشنكِيرَ هُوَ الَّذِي جَدَّدَ عَلَيهِم ذَلِكَ .

فَقَالَ: والَّذِي فَعَلَهُ الجَاشنكِيرُ كَانَ مِن مَرَاسِيمِكَ؛ لأَنَّهُ إِنَّـمَا كَـانَ نَائِبًـا لَـكَ؛ فَأَعجَـبَ السُّلطَانَ ذَلكَ، واستَمَرَّ بِهِم عَلَى ذَلكَ» انتَهَى مِن «البِدَايَةِ والنِّهَايَةِ» (١٤/ ٦٠-٦١) .

وذَكَرَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم هَذِهِ الوَاقِعَةَ مِثَالًا لِـ"**فِطنَةِ المُفتِي**"، وأَن يَعتَنـي بِــ"**تَفصـيل مَـا يُحتَاجُ إِلَى تَفصيلٍ**"، وأَنَّ شَيخَ الإِسلَامِ ابنَ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- قَد عُرِضَت عَلَيهِ أَسئلَةٌ =

وكَتَبَ في سِجنِهِ هَذِه الورَقَةَ – أَيضًا– :

«ونَحنُ ولله الحَمدُ، والشُّكرُ في نِعَمٍ عَظِيمَةٍ تَتَزَايدُ كُلَّ يَومٍ، ويُجَدِّدُ اللهُ تَعَالَى مِن نِعَمِهِ نِعَمًا أُخرَى .

و"**خُرُوجُ الكُتُبِ" كَانَ مِن أَعظَمِ النِّعَم**[2] **؛ فَإِنِّي كُنتُ حَرِيصًا علَى خُرُوجِ شَيءٍ مِنهَا لتَقِفُوا عَلَيهِ، وهُم كَرِهُوا خُرُوجَ "الأَخنَائِيَّةِ"؛ فَاستَعمَلَهُم اللهُ تَعَالَى فِي إِخرَاجِ الجَمِيعِ !، وإِلزَامِ المُنَازِعِينَ بِالوُقُوفِ عَلَيهِ**[3] **، وبِهَذَا يَظهَرُ مَا أَرسَلَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الهُدَى، ودِينِ الحَقِّ .**

= المَقصُودُ مِنهَا إِزَالَةُ مَا يُمَيِّزُ أَهلَ الذِّمَّةِ، والتَّحَيُّل عَلَى تَخفِيفِهِ؛ فَانظُر: «أَعلَامَ المُوقِّعِين عَن رَبِّ العَالمين» (٦/ ٩٨) .

(١) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيَة» (ص٣٠٠-٣٠١)، و«البدَايَةَ والنِّهَايَةَ» (١٤/ ١٠٣) .

(٢) قَالَ ابنُ عَبدِ الهَادي: «ولَـمَّا أُخرِجَ مَا عِندَهُ مِن الكُتُبِ، والأَورَاقِ حُمِلَ إِلَى القَاضِي عَلَاءِ الدِّينِ القُونَوِيِّ، وجُعِلَ تَحتَ يَدِهِ في المَدرَسَةِ العَادِلِيَّةِ» انتَهَى مِن «العُقُودِ الدُّرِّيةِ» (ص٣٨٤)، وأَبَانَ الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ أَنَّ إِخرَاجَ الكُتُبِ كَانَ في يَومِ الاثنَينِ تَاسِعِ جُمَادَى الآخِرَةِ، وأَنَّهَا حُمِلَت في مُستَهَلِّ رَجَبٍ إِلَى خِزَانَةِ الكُتُبِ بِالعَادِلِيَّةِ الكَبِيرَةِ، وانظُر: «البدَايَةَ والنِّهَايَةَ» (١٤/ ١٥٥) .

(٣) قَالَ الحَافظُ ابنُ كَثِيرٍ: «قَالَ البِرزَالِيُّ: **وكَانَت نَحوَ سِتِّينَ مُجَلَّدًا، وأَربَعَ عَشرَةَ رَبطَةَ كَرَارِيسَ؛ فنَظَرَ القُضَاةُ، والفُقَهَاءُ فِيهَا، وتَفَوَّقُوهَا بَينَهُم، وكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَجَابَ لِـمَا كَانَ رَدَّ عَلَيهِ التَّقيُّ ابنُ الأَخنَائِيِّ المَالِكِيُّ في "مَسأَلَةِ الزِّيَارَةِ"؛ فَرَدَّ عَلَيهِ الشَّيخُ تَقِيُّ الدِّينِ، واستَجهَلَهُ، وأَعلَمَهُ أَنَّهُ قَلِيلُ البِضَاعَةِ فِي العِلمِ !؛ فَطَلَعَ الأَخنَائِيُّ إِلَى السُّلطَانِ، وشَكَاهُ؛ فَرَسَمَ السُّلطَانُ عِندَ ذَلِكَ بِإِخرَاجِ مَا عِندَهُ مِن ذَلِكَ، وكَانَ مَا كَانَ**، كَمَا ذَكَرنَا» انتَهَى مِن «البدَايَةِ والنِّهَايَةِ» (١٤/ ١٥٥) .

فَإِنَّ هَذِه المَسَائِلَ كَانَت خَفِيَّةً علَى أَكثَر النَّاسِ؛ فَإِذَا ظَهَرَت فَمَن كَانَ قَصدُهُ الحَقَّ هَدَاهُ اللهُ، ومَن كَانَ قَصدُهُ البَاطِلَ قَامَت عَلَيهِ حُجَّةُ الله، واستَحَقَّ أَن يُذِلَّهُ اللهُ، ويُخزِيهِ .

ومَا كَتَبتُ شَيئًا مِن هَذَا ليُكتَمَ عَن أَحَدٍ، ولَو كَانَ مُبغِضًا[1] .

والأَورَاقُ الَّتِي فِيهَا جَوَابَاتُكم غُسِلَت، وأَنَا طَيِّبٌ، وعَينَايَ طَيِّبَتَانِ أَطيَبَ مَا كَانَتَا .

ونَحنُ فِي نِعَمٍ عَظِيمَةٍ لَا تُحصَى، ولَا تُعَدُّ، والحَمدُ لله حَمدًا كَثيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ كلَامًا، وقَالَ :

وكُلُّ مَا يَقضِيهِ اللهُ تَعَالَى فِيهِ الخَيرُ، والرَّحمَةُ، والحِكمَةُ ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف] .

ولَا يَدخُلُ علَى أَحَدٍ ضَرَرٌ إِلَّا مِن ذنُوبِهِ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء/ ٧٩] .

فَالعَبدُ عَلَيهِ أَن يَشكُرَ اللهَ، ويَحمَدهُ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ، ويَستَغفِرَ مِن ذنُوبِهِ.

فالشُّكرُ يُوجِبُ المَزِيدَ مِن النِّعَمِ، والاستِغفَارُ يَدفَعُ النِّقَمَ، ولَا يَقضِي اللهُ لِلمُؤمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيرًا لَهُ إِن أَصَابَتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وإِن أَصَابَتهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيرًا لَهُ .

❑ ❑ ❑

---

(١) اللهُ أَكبَرُ .

قَالَ تِلمِيذُهُ الإِمَامُ الحَافِظُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَد ابن عَبدِ الهَادِي (ت٧٤٤) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- : «وهَذِهِ "**الوَرَقَةُ**" كَتَبَهَا الشَّيخُ، وأَرسَلَهَا بَعدَ خُرُوج الكُتُبِ مِن عِندِهِ بِأَكثَرَ مِن ثَلاثَةِ أَشهُرٍ في شَهر شَوَّالٍ قَبلَ وَفَاتِهِ بِنَحوِ شَهرٍ ونِصفٍ» انتَهَى[1] .

قُلتُ : هَذَا حَالُهُ في آخِرِ أَيَّامِهِ "**شَاكِرًا نِعَمَ اللهِ تَعَالى عَلَيهِ**" وهُوَ في غَيَابَةِ جُبِّ السِّجنِ، "**مُستَغفِرًا مِن ذُنُوبِهِ، وتَقصِيرِهِ**"، "**رَاضِيًا بقَضَاءِ اللهِ وقَدَرِهِ**"، "**جَازِمًا أَنَّ مَا قَضَاهُ اللهُ هُوَ الخَيرُ المَحضُ الَّذِي يَجِبُ شُكرُهُ**" .

وكَانَ في تِلكَ الحَالِ "**مُقبلًا عَلَى قِرَاءَةِ القُرآنِ**" ، مُنشَغِلًا بالعِبَادَةِ، والتَّهَجُّدِ، والذِّكرِ، لَيلَ نَهَارٍ .

قَالَ تِلمِيذُهُ ابنِ عَبدِ الهَادِي (ت٧٤٤) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«وأَقبلَ الشَّيخ بَعدَ إخرَاجها علَى العِبَادَةِ، والتِّلاوَةِ، والتَّذَكُّرِ، والتَّهَجُّدِ؛ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ .

وخَتَمَ القُرآنَ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بالقَلعَةِ ثَمَانِينَ، أَو إِحدَى وثَمَانِينَ[2] خَتمَةً انتهى في آخِرِ خَتمَةٍ إِلَى آخِر ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر] .

ثُمَّ كُمِّلَت عَلَيهِ بَعدَ وفَاتِهِ، وهُوَ مُسَجًّى[3] .

---

(١) «العُقُودَ الدُّرِّيَةَ» (ص٣٨٢-٣٨٤) .

(٢) ذكَرَ ابنُ كَثيرٍ - وكَانَ حَاضرًا- أَنَّ أَخَاهُ قَالَ: «.. **ثَمَانِينَ خَتمَةً، وشَرَعَا في الحَادِيَةِ والثَّمَانِينَ، فانتَهَينَا فِيهَا إِلَى** ..» انتَهَى المَقصُودُ، وانظُر: «البدَايَةَ والنِّهَايَةَ» (١٤/ ١٥٥) .

(٣) قَالَ الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ : «فشَرَعَ عِندَ ذَلكَ الشَّيخَانِ الصَّالحَانِ الخَيِّرَانِ عَبدُ الله ابنُ المُحِبِّ، وعَبدُ الله الزُّرَعِيُّ الضَّريرُ - وكَانَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ يُحِبُّ قِرَاءَتَهُمَا-؛ فَابتَدَآ مِن أَوَّلِ=

كَانَ كُلَّ يومٍ يَقرَأُ ثَلَاثَةَ أَجزَاءٍ، يَختِمُ فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ، هَكَذَا أَخبرَنِي أَخُوهُ زَيـنُ الدِّينِ .

وكَانَت مُدَّةُ مَرَضِهِ بِضعَةً وعِشرِينَ يَومًا، وأَكثَرُ النَّاس مَـا عَلِمُـوا بمَرَضِـهِ؛ فَلَم يَفجَإِ الخَلقَ إِلَّا نَعيُهُ !؛ فَاشتَدَّ التَّأَسُّفُ عَلَيهِ، وكَثُرَ البُكَاءُ، والحُزنُ، ودَخَلَ إِلَيهِ أَقَارِبُهُ، وأَصحَابُهُ، وازدَحَمَ الخَلقُ عَلَى بَـاب القَلعَـةِ، والطُّرُقَـاتِ، وامـتَلَأَ جَـامِعُ دِمَشقَ، وصَلَّوا عَلَيهِ، وحُمِلَ عَلَى الرُّؤُوسِ - رَحِمَهُ اللهُ، ورَضِيَ عَنهُ-» انتَهَى[1] .



= سُورَةِ الرَّحمَنِ؛ حَتَّى خَتَمُوا القُرآنَ، **وأَنَا حَاضِرٌ أَسمَعُ، وأَرَى**» انتَهَى مِـن «البِدَايَـةِ والنِّهَايَـةِ» (١٤/ ١٥٩) .

قُلتُ: والظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الفِعلَ مِن بَابِ إِكمَالِ عَمَلِ الخَيرِ؛ إِذَا مَاتَ الصَّالِحُ دُونَ إِكمَالِـهِ، لا أَنَّهُ بقَصدِ فَضلِ القِرَاءَةِ عِندَ المَيتِ؛ وإِلَّا لقَرَؤُوا غيرَ هَذَا، أَو مَا يُنَاسِـبُهُ؛ ولَعَلَّهُـم رَجَـوا أَن يَكتُبَ اللهُ تَعَالَى الخَتمَةَ لشَيخِ الإِسلامِ كَامِلَـةً دُونَ نَقـصٍ، ولِــهَذَا نَظَـائِرُ قَـد يُقَـاسُ عَلَيهَـا، والمَسأَلَةُ مَـحَلُّ اجتِهَادٍ .

إِذَا فُهِمَ هَذَا؛ فَقَولُ بَعضِ المُعلِّقِينَ عَلَى طَبعَةِ عَالَــم الفَوائِـدِ (١/ ٤٤٣) مِـن «العُقُـودِ الدُّرِّيةِ»: «الَّذِي فِي «اختِيَارَاتِ شَيخ الإِسلَام» (ص ١٤٦) أَنَّ القِرَاءَةَ عـلَى المَيِّـت بدعَـةٌ، ولا يَنتفعُ بهَا بَعدَ موتِهِ، بخِلَافِ القِراءَةِ على المُحتَضِر» انتَهَى، كَلامٌ فِي غَـيرِ مَوضـعِ المَسـأَلَةِ، واللهُ أَعلَمُ .

(١) «العُقُودَ الدُّرِّيَةَ» (ص٣٨٤) .

الفَصلُ الخَامِسُ

[مَا كَانَ عَلَيهِ مِن طِيبِ العَيشِ، وبَحبُوحَةِ السَّعَادَةِ مَعَ مَا يَنَالُهُ مِن شِدَّةِ البَلاءِ، والمِحَنِ، وأَنوَاعِ الأَذَى]

الفَصْلُ الخَامِسُ

[مَا كَانَ عَلَيهِ مِن طِيبِ العَيشِ، وبَحبُوحَةِ السَّعَادَةِ مَعَ مَا يَنَالُهُ مِن شِدَّةِ البَلاءِ، والمِحَنِ، وأَنوَاعِ الأَذَى]

قَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ عَبدُ الرَّحمَن ابنُ رَجَب (ت٧٩٥) – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

«قَالَ شَيخُنَا أَبُو عَبدِ الله ابنُ القَيِّم :

«سَمِعتُ شَيخَنَا شَيخَ الإِسلَامِ ابنَ تَيمِيَّةَ – قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ، ونَوَّرَ ضَرِيحَهُ– يَقُولُ: "**إِنَّ فِي الدُّنيَا جَنَّةً مَن لَم يَدخُلهَا لَم يَدخُل جَنَّةَ الآخِرَةِ**" .

قَالَ: وقَالَ لِي مَرَّةً: **مَا يَصنَعُ أَعدَائِي بِي ؟** .

"**أَنَا جَنَّتِي، وبُستَانِي فِي صَدرِي، أَينَ رُحتُ؛ فَهِيَ مَعِي، لا تُفَارِقُنِي** .

أَنَا حَبسِي خَلوَةٌ، وقَتلِي شَهَادَةٌ، وإِخرَاجِي مِن بَلَدِي سِيَاحَةٌ"[(١)] .

وكَانَ فِي حَبسِهِ فِي القَلعَةِ يَقُولُ:

---

(١) وقَالَ هَذِهِ الكَلِمَةَ – أَيضًا– حِينَ أَخبَرَه المَشَايِخُ التَّدَامُرَةُ أَنَّ القَومَ إِن لَم تُوَافِقهُم؛ فَهُم عَامِلُونَ عَلَى "قَتلِكَ"، أَو "نَفيِكَ"، أَو "حَبسِكَ"، فَقَالَ لَهُم: «**أَنَا إِن قُتِلتُ كَانَت لِي شَهَادَةً، وإِن نَفَونِي كَانَت لِي هِجرَةً، ولَو نَفَونِي إِلَى قُبرص لَدَعَوتُ أَهلَهَا إِلَى الله، وأَجَابُونِي، وإِن حَبَسُونِي كَانَ لِي مَعبَدًا، وأَنَا مَثَلُ الغَنَمَةِ كَيفَمَا تَقَلَّبَت، تَقَلَّبَت عَلَى صُوفٍ**»؛ فَيَئِسُوا مِنهُ، وانصَرَفُوا» انتَهَى مِن «نُبذَةٌ عَن آخِرِ حَيَاة شَيخِ الإِسلَام ابنِ تَيمِيَّة» لِلغَيَانِيِّ (ص٣٠/ ت محبِّ الدِّين الخَطِيب/ ط المَكتَب الإِسلَامِي/ ١٤٢٥) .

"لَو بَذَلتُ مِلءَ هَذِهِ القَلعَةِ ذَهَبًا مَا عَدَلَ عِندِي شُكرَ هَذِهِ النِّعمَةِ"، أَو قَالَ: "مَا جَزَيتُهُم علَى مَا تَسَبَّبُوا فِيهِ مِن الخَيرِ" - ونَحو هَذَا-[(١)] .

وكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ، وهُوَ مَحبُوسٌ: "اللهُمَّ أَعنِّي عَلَى ذِكرِكَ، وشُكرِكَ، وحُسنِ عِبَادَتِكَ"، مَا شَاءَ اللهُ .

وقَالَ [لِي] مَرَّةً: "المَحبُوسُ مَن حُبِسَ قَلبُهُ عَن رَبِّهِ !، والمَأسُورُ مَن أَسَرَهُ هَوَاهُ" .

ولَمَّا دَخَلَ إِلَى القَلعَةِ، وصَارَ دَاخِلَ سُورِهَا نَظَرَ إِلَيهِ، وقَالَ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ١٣﴾ [الحديد] .

قَالَ شَيخُنَا: «وعَلِمَ اللهُ مَا رَأَيتُ أَحَدًا أَطيَبَ عَيشًا مِنهُ قَطُّ !، مَعَ ما كَانَ فِيهِ مِن [ضِيقِ العَيشِ، وخِلَافِ الرَّفَاهِيَّةِ، والنَّعِيمِ؛ بَل ضِدِّهَا، ومَعَ مَا كَانَ فِيهِ مِن] "الحَبسِ"، و"التَّهدِيدِ"، و"الإِرجَافِ"، وهُوَ مَعَ ذَلِكَ "أَطيَبُ النَّاسِ عَيشًا"، و"أَشرَحُهُم صَدرًا"، و"أَقوَاهُم قَلبًا"، و"أَسَرُّهُم نَفسًا" !! .

تَلُوحُ "نَضرَةُ النَّعِيمِ" عَلَى وَجهِهِ .

---

(١) وحَكَى مِثلَهُ تِلمِيذُهُ، وخَادِمُهُ الشَّيخُ إبرَاهِيمُ بنُ أَحمَدَ الغيَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مَا جَرَى فِي مَحبَسِهِ - وكَانَ مَعَهُ- إِلَى أَن قَالَ : « .. ورَكِبَ علَى بَابِ الحَبسِ؛ فَقَالَ لَهُ إِنسَانٌ: (يَا سَيِّدِي هَذَا مَقَامُ الصَّبرِ !)؛ فَقَالَ لَهُ: "بَل هَذَا "مَقَامُ الحَمدِ، والشُّكرِ" !، واللهِ إِنَّهُ نَازِلٌ علَى قَلبِي مِن الفَرَحِ، والسُّرُورِ شَيءٌ؛ لَو قُسِمَ علَى أَهلِ الشَّامِ، ومِصرَ لفَضُلَ عَنهُم !، ولَو أَنَّ مَعِي فِي هَذَا المَوضِعِ ذَهَبًا، وأَنفَقتُهُ مَا أَدَّيتُ عُشرَ هَذِهِ النِّعمَةِ، الَّتِي أَنَا فِيهَا" !!» انتهى مِن «نُبذَةٌ عَن آخِرِ حيَاة شَيخ الإِسلَام ابنِ تَيميَّة» (ص٣١-٣٢) .

وكُنَّا إِذَا اشتَدَّ بنَا الخَوفُ، وسَاءَت بنَا الظُّنُونُ، وضَاقَت بنَا الأَرضُ: أَتَينَاهُ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا أَن نَرَاهُ، ونَسمَعُ كَلَامَهُ؛ فيَذهَبُ عَنَّا ذَلِكَ كُلُّهُ، ويَنقَلِبُ "انشِرَاحًا"، و"قُوَّةً"، و"يَقِينًا"، و"طُمَأنِينَةً".

فسُبحَانَ مَن أَشهَدَ عِبَادَهُ "جَنَّتَهُ" قَبلَ لِقَائِهِ، وفَتَحَ لَهُم أَبوَابَهَا في دَارِ العَمَلِ؛ فَأَتَاهُم مِن "رَوحِهَا"، و"نَسِيمِهَا"، و"طِيبِهَا" مَا استَفرَغَ قُوَاهُم لطَلَبِهَا، والمُسَابَقَةِ إِلَيهَا» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «ذَيلِ طَبَقَاتِ الحنَابلَة» (٤/ ٥١٩-٥٢٠)، والكَلامُ في كتَاب «الوَابلِ الصَّيِّب» (ص٦٧)، ومَا بَينَ المَعقُوفتَينِ زِيَادَةٌ مِنهُ.

الفصل السادس

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ [الحجر]

[الفِرَاسَةُ التَّيمِيَّةُ]

الفصل السادس

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر]

[الفِرَاسَةُ التَّيمِيَّةُ]

كَانَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - مِمَّن نَوَّرَ اللهُ بَصِيرَتَهُ، حَتَّى لا تَكَادُ تُخطِئُ لَهُ فِرَاسَةٌ، ولَهُ في ذَلكَ مِن الأَخبَار مَا يُقضَى مِنهُ العَجَبُ .

قَالَ الزَّاهِدُ شَاهُ بنُ شُجَاعٍ الكَرمَانيُّ (ت٢٧١) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

«مَن عَمَّرَ ظَاهِرَهُ بـ"اتِّبَاعِ السُّنَّةِ"، وبَاطِنَهُ بـ"دَوَامِ المُرَاقَبَةِ"، و"كَفَّ نَفسَهُ عَن الشَّهَوَاتِ"، و"غَضَّ بَصَرَهُ عَن المَحَارِمِ"، و"اعتَادَ أَكلَ الحَلَالِ" لَم تُخطِئ لَهُ فِرَاسَةٌ» انتَهَى[1] .

---

(١) انظُر: «الاعتِصَامَ» للشَّاطبيِّ (١/ ١٦٦)، و«إغَاثَةَ اللَّهفَانِ مِن مَصَايد الشَّيطَان» (١/ ٤٨)، ووقَعَ فِيهِ: [أَبو شُجاع الكَرمانيُّ]، وهُوَ تَحريفٌ .

قَالَ ابنُ القَيِّم مُبَيِّنًا سِرَّ ذَلكَ في كَلام جَليلٍ: **«وسِرُّ هَذَا: أَنَّ "الجَزَاءَ مِن جِنسِ العَمَل"؛ فمَن غَضَّ بَصَرَهُ عمَّا حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَيهِ عَوَّضَهُ اللهُ تعَالى مِن جِنسِه مَا هُو خَيرٌ مِنهُ، فكَمَا أَمسَكَ "نُورَ بَصَرِهِ" عَن المُحرَّمَات أَطلَقَ اللهُ "نُورَ بَصِيرَتِهِ"، وقَلبِهِ؛ فرَأَى بِهِ مَا لَم يَرَهُ مَن أَطلَقَ بَصَرَهُ، ولَم يَغُضَّهُ عَن محَارم الله تَعَالى، وهَذَا أَمرٌ يُحِسُّهُ الإنسَانُ مِن نَفسِهِ؛ فإنَّ القَلبَ كالمِرآةِ، والهَوَى كَالصَدَإ فِيهَا؛ فَإذا خَلُصَت المِرآةُ مِن الصَّدَإ انطَبَعَت فِيهَا صُورَةُ الحَقَائقِ كمَا هِيَ عَلَيهِ، وإذَا صَدِئت لَم يَنطَبِع فِيهَا صُورةُ المَعلومَات؛ فيَكُونُ عِلمُهُ، وكَلامُهُ مِن بَاب** =

وقد ذَكَرَ طَرَفًا عَجِيبًا مِن "**فِرَاسَةِ شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ**" تِلمِيذُهُ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ (ت٧٥١) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى -؛ فَقَالَ:

«ولَقَد شَاهَدتُ مِن "**فِرَاسَةِ شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ**" - رَحِمَهُ اللهُ - أُمُورًا عَجِيبَةً، ومَا لَم أُشَاهِدهُ مِنهَا أَعظَمُ، وأَعظَمُ.

ووَقَائِعُ فِرَاسَتِهِ تَستَدعِي سِفرًا ضَخمًا!.

/ ١/ أَخبَرَ أَصحَابَهُ بِدُخُولِ التَّتَارِ الشَّامَ سَنَةَ تِسعٍ وتِسعِينَ وسِتِّمِائَةٍ!.

/ ٢/ وأَنَّ جُيُوشَ المُسلِمِينَ تُكسَرُ.

/ ٣/ وأَنَّ دِمَشقَ لَا يَكُونُ بِهَا قَتلٌ عَامٌّ، ولَا سَبيٌ عَامٌّ.

/ ٤/ وأَنَّ كَلَبَ الجَيشِ، وحِدَّتَهُ فِي الأَموَالِ.

وهَذَا قَبلَ أَن يَهُمَّ التَّتَارُ بِالحَرَكَةِ!![١].

/ ٥/ ثُمَّ أَخبَرَ النَّاسَ، والأُمَرَاءَ سَنَةَ اثنَتَينِ وسَبعِمِائَةٍ؛ لَمَّا تَحَرَّكَ التَّتَارُ، وقَصَدُوا الشَّامَ: أَنَّ الدَّائِرَةَ، والهَزِيمَةَ عَلَيهِم.

/ ٦/ وأَنَّ الظَّفَرَ، والنَّصرَ لِلمُسلِمِينَ.

وأَقسَمَ عَلَى ذَلِكَ أَكثَرَ مِن سَبعِينَ يَمِينًا!![٢]».

= **الخَرصِ، والظُّنُونِ**» انتَهَى مِن «إِغَاثَةِ اللَّهفَانِ» (١/ ٤٨)، وانظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (١٦/ ٦٨)، و(٩/ ٢٤٦)، و«أَعلَامَ المُوَقِّعِين» (٢/ ٣٠٦-٣٩٧).

(١) اللهُ أَكبَرُ!.

(٢) سُبحَانَ اللهِ!.

وَجَرَى قَرِيبٌ مِن هَذَا حِينَ نَاظَرَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - الاتِّحَادِيَّةَ فِي أَمرِ شَيخِهِم (ابنِ هُودٍ) قَالَ: «.. وبَيَّنتُ لَهُم فَسَادَ مَا دَخَلُوا فِيهِ مِنَ القَرمَطَةِ؛ حَتَّى أَظهَرتُ مُبَاهَلَتَهُم، وحَلَفتُ لَهُم **أَنَّ مَا يَنتَظِرُونَهُ مِن هَذَا الرَّجُلِ، لا يَكُونُ، ولَا يَتِمُّ**، =

فَيُقَالُ لَهُ: قُل "إِن شَاءَ اللهُ !" .

فَيَقُولُ: "إِن شَاءَ اللهُ تَحقِيقًا !، لَا تَعلِيقًا"[(١)] .

وسَمِعتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ .

قَالَ: فَـلَـمَّا أَكثَرُوا عَلَيَّ ! .

قُلتُ: "لَا تُكثِرُوا؛ كَتَبَ اللهُ تَعَالَى فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ؛ أَنَّهُم مَهزُومُونَ فِي هَذِهِ الكَرَّةِ !!، وأَنَّ النَّصرَ لِجُيُوشِ الإِسلَامِ"[(٢)] .

قَالَ: وأَطعَمتُ بَعضَ الأُمَرَاءِ، والعَسكَرِ حَلَاوَةَ النَّصرِ، قَبلَ خُرُوجِهِم إِلَى لِقَاءِ العَدُوِّ .

وكَانَت فِرَاسَتُهُ الجُزئِيَّةُ فِي خِلَالِ هَاتَينِ الوَاقِعَتَينِ مِثلَ المَطَرِ !!"[(٣)] .

/ ٧/ ولَـمَّا طُلِبَ إِلَى الدِّيَارِ المِصرِيَّةِ، وأُرِيدَ قَتلُهُ[(٤)] - بَعدَمَا أُنضِجَت لَهُ القُدُورُ، وقُلِّبَت لَهُ الأُمُورُ - اجتَمَعَ أَصحَابُهُ لِوَدَاعِهِ .

وقَالُوا: قَد تَوَاتَرَتِ الكُتُبُ بِأَنَّ القَومَ عَامِلُونَ عَلَى قَتلِكَ .

/ ٨/ فَقَالَ: "واللهِ لَا يَصِلُونَ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا" ! .

قَالُوا: أَفَتُحبَسُ ؟ .

/ ٩/ قَالَ: "نَعَم، ويَطُولُ حَبسِي" .

= وأَنَّ اللهَ لا يُتِمُّ أَمرَ هَذَا الشَّيخِ !؛ فَأَبَرَّ اللهُ تِلكَ الأَقسَامَ، والحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ» انتَهَى مِن «بُغيَةِ المرتَادِ فِي الرَّدِّ على المتفَلسِفَةِ والقَرامِطَةِ والبَاطنيَّةِ» (ص٥٢٠) .

(١) اللهُ أَكبَرُ ! .

(٢) سُبحَانَ الله ! .

(٣) اللهُ أَكبَرُ ! .

(٤) وقَالَ فِي «الصَّوَاعِقِ المُرسَلَة» (١/ ٣٨١): «وطُلِبَ قَتلُهُ أَكثَرَ مِن عِشرِينَ مَرَّةً !» انتَهى .

/ ١٠ / "ثُمَّ أَخرُجُ، وأَتَكَلَّمُ بِالسُّنَّةِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ"[١] .

سَمِعتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ .

/ ١١ / ولَـمَّا تَوَلَّى عَدُوُّهُ المُلَقَّبُ بِالجَاشِنكِيرِ المُلكَ أَخبَرُوهُ بِذَلِكَ .

وقَالُوا: "الآنَ بَلَغَ مُرَادَهُ مِنكَ !" .

فَسَجَدَ للهِ شُكرًا !!، وأَطَالَ ! .

فَقِيلَ لَهُ: "مَا سَبَبُ هَذِهِ السَّجدَةِ ؟" .

/ ١٢ / فَقَالَ: "هَذَا بِدَايَةُ ذُلِّـهِ، ومُفَارَقَـةُ عِـزِّهِ مِـنَ - الآنَ -، وَقُـربُ زَوَالِ أَمرِهِ"[٢] .

فَقِيلَ: "مَتَى هَذَا ؟" .

/ ١٣ / فَقَالَ: "لَا تُربَطُ خُيُولُ الجُندِ عَلَى القُرطِ؛ حَتَّى تُغلَبَ دَولَتُهُ !" .

فَوَقَعَ الأَمرُ مِثلَ مَا أَخبَرَ بِهِ .

سَمِعتُ ذَلِكَ مِنهُ .

/ ١٤ / وَقَالَ مَرَّةً: "يَدخُلُ عَلَيَّ أَصحَابِي، وغَـيرُهُم؛ فَـأَرَى فِي وُجُـوهِهِم، وأَعيُنِهِم أُمُورًا لَا أَذكُرُهَا لَـهُم" .

فَقُلتُ لَهُ - أَو غَيرِي -: "لَو أَخبَرتَهُم ؟" .

فَقَالَ: "أَتُرِيدُونَ أَن أَكُونَ مُعَرِّفًا كَمُعَرِّفِ الوُلَاةِ ؟" .

وقُلتُ لَهُ يَومًا: "لَو عَامَلتَنَا بِذَلِكَ؛ لَكَانَ أَدعَى إِلَى الاستِقَامَةِ، والصَّلَاحِ" .

فَقَالَ: "لَا تَصبِرُونَ مَعِي عَلَى ذَلِكَ جُمُعَةً"، أَو قَالَ: "شَهرًا" .

---

(١) اللهُ أَكبَرُ ! .

(٢) سُبحَانَ اللهِ ! .

وقَد سَبَقَ فِي الفَصلِ السَّابِقِ الإِشَارَةُ إِلَى هَذه الوَاقعَةِ .

/ ١٥/ وأَخبَرَني غَيرَ مَرَّةٍ بِأُمُورٍ بَاطِنَةٍ تَختَصُّ بِي مِـمَّا عَزَمتُ عَلَيهِ، ولَـم يَنطِق بِهِ لِسَانِي .

/ ١٦/ وأَخبَرَني بِبَعضِ حَوَادِثَ كِبَارٍ تَجرِي في المُستَقبَلِ .

ولَـم يُعَيِّن أَوقَاتَهَا .

وقَد رَأَيتُ بَعضَهَا، وأَنَا أَنتَظِرُ بَقِيَّتَهَا .

وَمَا شَاهَدَهُ "كِبَارُ أَصحَابِهِ"[1] مِن ذَلِكَ أَضعَافُ أَضعَافِ مَا شَاهَدتُهُ، واللهُ أَعلَمُ» انتَهَى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) تَأَمَّل كَيفَ يَعتَرِفُ بالسَّبقِ في الطَّلَب لِـمَن قَبلَهُ، ومَن هُم أَكبَرُ مِنهُ، كَابنِ شَيخِ الحَزَّامينَ، والمِزِّيِّ، وأَمثَالِـهِمَا، ويَجعَلُ نَفسَهُ مِن "صِغَارِ أَصحَابِهِ" .

ومَعَ هَذَا "التَّواضعِ"؛ فَقَد كَانَ "أَنجَبَ أَصحَابِهِ" عَلَى الإِطلاقِ، و"أَعلاهُـم كَعبًا في العِلمِ"، و"وَرِيثَهُ في التَّحقيقِ"، و"حَامِلَ رَايَتِهِ في الرَّدِّ عَلَى أَهلِ البِدَعِ"؛ ولِـهَذَا قَالَ الحَافظُ ابنُ حَجَر – وصَدَقَ– : «ولَو لَـم يَكُن للشَّيخ تَقِيِّ الدِّين مِن المَنَاقِبِ إِلَّا تِلمِيذُهُ الشَّهِيرُ الشَّيخُ شَمسُ الدِّين ابنُ قَيِّم الجَوزيَّةِ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ النَّافِعَةِ السَّائرَةِ، الَّتِي انتَفَعَ بهَا المُوَافِقُ، والمُخَالِفُ؛ لَكَانَ غَايَةً في الدَّلَالَةِ علَى عَظِيم مَنزِلَتِهِ؛ فَكَيفَ وقَد شَهِدَ لَهُ بالتَّقَدُّمِ في العُلُومِ، والتَّمييزِ في المَنطُوقِ، والمَفهُومِ أَئمَّةُ عَصرِهِ مِن الشَّافِعِيَّةِ، وغَيرِهِم ..» انتَهَى مِن «تَقرِيظِ ابنِ حَجَر علَى الرَّدِّ الوَافِرِ» (ص١٥) .

(٢) انظُر: «مَدارِجَ السَّالكِين» (٢/ ٤٥٨–٤٥٩) .

الفصل السابع

[انزِعَاجُ المُتَعَصِّبَة مِن رُدُودِ ابنِ تَيمِيَّةَ المُفحِمَةِ، وتَمَنِّيهِم لَو يَنصَرِفُ عَنهَا إِلَى أَيِّ بَابٍ آخَرَ مِن أَبوَاب العِلمِ !]

الفَصْلُ السَّابِعُ

[انزِعَاجُ المُتَعَصِّبَة مِن رُدُودِ ابنِ تَيمِيَّةَ المُفحِمَةِ، وتَمَنِّيهِم لَو يَنصَرفُ عَنهَا إِلَى أيِّ بَابٍ آخَرَ مِن أَبوَاب العِلمِ !]

ولَقَد ضَاقَ صَدرُ قَاضِي قُضَاةِ دِمَشقَ عَلِيِّ بنِ عَبدِ الكَافي السُّبكيِّ[1] (ت٧٥٦) مِن رَدِّ شَيخِ الإِسلام ابنِ تَيمِيَّة عَلَى الرَّافِضَةِ الأَنجَاسِ الأَرجَاسِ في

---

(١) ولَعلَّ "**جُلَسَاءَ السُّوءِ**" هُم مَن أَغرَوا التَّقيَّ السُّبكيَّ بخُصُومَة ابنِ تَيمِيَّةَ، ومُعَادَاتِه، وذَمِّه، وقَد رَاجعَهُ في هَذَا، ونَصَحَهُ، وعَاتَبَهُ! صَاحبُهُ الحَافظُ الذَّهَبيُّ (ت٧٤٨)؛ فكَتَبَ السُّبكيُّ هَذَا الكَلَامَ -الَّذِي هُوَ "**حُجَّةٌ عَلَيهِ**" !-، وزَاجرٌ لمِثلِهِ عَن "**عَدَاوَةِ الكِبَارِ**" .

قَالَ الإِمَامُ ابنُ رَجَب في كِتَابه «ذَيلِ طَبَقَات الحنَابلَة» (٤/ ٥٠٣) : «ومِمَّا وُجِدَ في كِتَاب كتبَهُ العَلَّامَةُ قَاضِي القُضَاة أَبُو الحَسَن السُّبكِيُّ إِلَى الحَافِظِ الذَّهَبِيِّ في أَمر الشَّيخ تَقِيِّ الدِّين يَعنِي ابنَ تَيمِيَّةَ : **أَمَّا قَولُ سَيِّدي في الشَّيخ [تَقِيِّ الدِّين]؛ فالمَملُوكُ يتَحَقَّقُ كِبَرَ قَدرِهِ، وزَخَارَةَ بَحرِهِ، وتَوَسُّعَهُ في العُلُوم الشَّرعِيَّةِ، والعَقليَّةِ، وفَرطَ ذَكائِهِ، واجتِهَادَهُ، وبُلُوغَهُ في كُلِّ مِن ذَلِكَ المَبلَغَ الَّذِي يتَجَاوَزُ الوَصفَ !، والمَملُوكُ يَقُول ذَلِكَ دَائِمًا !، وقَدرُهُ في نَفسِي أَعظَمُ مِن ذَلِكَ، وأَجَلُّ مَعَ مَا جَمَعَ اللهُ لَهُ مِن الزَّهَادَةِ، والوَرَع، والدِّيَانَةِ، ونُصرَةِ الحقِّ، والقِيَام فِيهِ لَا لغَرَضٍ سِوَاهُ !، وجَريِهِ علَى سَنَن السَّلَفِ، وأَخذِهِ مِن ذَلِكَ بالمَأخَذِ الأَوفَى، وغَرَابَةِ مِثلِهِ في هَذَا الزَّمَانِ، بَل مِن أَزمَانٍ**» انتَهى، وانظُر: «المَقصَدَ الأَرشَد في ذِكر أَصحَاب الإِمَام أَحمَد» (١/ ١٣٦) لإِبرَاهيمَ ابنِ مُفلح (ت٨٨٤)، و«الدُّرَرَ الكَامنَة في أَعيَان المائة الثَّامنَة» (١/ ١٨٦)، «شَذَراتِ الذَّهَب في أَخبَار مَن ذَهَب» (٨/ ١٤٦)، و«الشَّهَادَةَ الزَّكيَّة» (ص٥٨- ٥٩) .

كتَابِهِ العَظيم «مِنهَاجِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ في نَقضِ كَلَام الشِّيعَة القَدَريَّة»؛ فَأَنشَأَ السُّـبكيُّ "قَصِيدَةً" - بَعدَ مَوتِ ابنِ تَيميَّةَ !!- في ذَمِّهِ، ومِنهَا[1] :

إنَّ الــرَّوَافِضَ قَــومٌ لا خَــلَاقَ لَــهُم
مِــن أَجهَــلِ النَّــاسِ في عِلــمٍ وأَكذَبِــهِ
والنَّـــاسُ في غُنيَـــةٍ عَـــن رَدِّ إفكِهِـــمُ
لِـــهُجنَةِ الـــرَّفضِ واســـتِقبَاحِ مَذهَبِـــهِ

❑ ❑ ❑

فَرَدَّ عَلَيهِ الإمَـامُ جَمَـالُ الـدِّين يُوسُـفُ بـنُ مُحمَّـدٍ العِبَـادِيُّ السُّـرَّمَرِّي[2] (ت٧٧٦) في رَائعَتِهِ: «الحَمِيَّةُ الإِسلَامِيَّةُ في الانتِصَارِ لـمَذهَب ابـنِ تَيمِيَّـة» الَّتـي نَقَضَ فِيهَا أَبيَاتِ السُّبكِيِّ بَيتًا بَيتًا، ومَسأَلَةً مَسأَلَةً في إِجَابَاتٍ عِلمِيَّةٍ فَائقَةٍ .

---

(١) انظُرهَا في: «طَبَقَاتِ الشَّافعيَّة الكُبرَى» (١٠/ ١٧٦-١٧٧) ، و«أَعيَـانِ العَصـرِ» للصَّفَديِّ (٣/ ٣٣٤-٣٣٥) .

قَالَ الحَافظُ ابنُ حَجَر في «الدُّرَرَ الكَامنَة في أَعيَان المائة الثَّامنَة» (٤/ ٨٠): «وكَانَ يَنظِمُ كَثِيرًا، **وشِعرُهُ وَسَطٌ !**» .

(٢) نِسبَةً إِلَى (سُرَّ مَن رَأَى) الَّتي بَنَاهَا المُعتَصِمُ سَـنَةَ (٢٢١) بـالعِرَاقِ، قُـربَ بَغـدَاد، وصَارَت عَاصِمَةَ الدَّولَة العَبَّاسيَّةِ، وهِيَ المَعرُوفَةُ اليَومَ بـ(سَامُرَّا) .

تَرجَمَهُ الإِمَامُ ابنُ نَاصر الدِّينِ الدِّمَشقيِّ (ت٨٤٢) في «الرَّدِّ الوَافِر» (ص٢٣٢)؛ فَقَـالَ: «الشَّيخُ الإِمَامُ العَلَّامَةُ الحَافِظُ البَرَكَةُ القُدوَةُ ذُو الفُنُـون البَديعَـة، والمُصـنَّفَاتِ النَّافعَـة جَمَـالُ الدِّينِ عُمدَةُ المُحَقِّقِينَ أَبُو المظفر ..، دُفِنَ جوَار تُربَة الشَّيخ تَقِيِّ الدِّين ابن تَيمِيَّة - رَحِمَهمَا اللهُ- وكَانَ إِمَامًا ثِقَةً عُمدَةً زَاهِدًا، عَابدًا محسنًا جُهدَهُ صَنَّفَ في أَنوَاع كَثِيرَةٍ، نَثـرًا، ونَظـمًا، وخـرَّجَ، وأَفَادَ، وأَملَى رِوَايَةً، وعِلمًا ...، وكَانَ عُمدَةً في نَقدِ رِجَالِ الحَدِيثِ، وضَبطِهِ» انتَهَى . =

لا جَرَمَ أَثنَى عَلَيهَا حَافظُ الشَّامِ الإِمَامُ ابنُ نَاصر الدِّينِ الدِّمَشقيُّ (ت٨٤٢) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى-؛ فَقَالَ :

«ومِن مُؤَلَّفَاتِهِ النِظَامِيَّةِ كتَاب «الحَمِيَّةِ الإِسلَامِيَّةِ فِي الانتِصَارِ لِـمَذهَب ابـنِ تَيمِيَّةَ» :

مُعَارِضًــا فِرقَــةً قَــد قَــالَ أَمــثَلُهُم

"إِنَّ الــرَّوَافِضَ قَــومٌ لَا خَــلَاقَ لَـــهُم"

وقَد أَحسَنَ فِي هَذَا الرَّدِّ المَقبُولِ، وهَدَمَ تِلكَ الأَبيَاتِ بِنِظَامِ المَنقُولِ، وجَـلَالِ المَعقُولِ» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

= وقَد جُمِعَت فِي حِيَاةِ هَذَا العَالِـم الفَاضلِ دِرَاسَةٌ عِلمِيَّـةٌ بعُنـوَان: «**مَـنهَجُ الإِمَـام جَمَـال الدِّين السُّرَّمَرِّي فِي تَقرير العَقِيدَةِ**»/ لـ/ د/ خَالِدِ بنِ مَنصُورٍ المُطلَق/ جَامعَة الإمَـام مُحَمَّـد بـن سُعُودٍ الإسلَامِيَّة/ ١٤٣٦ .

(١) انظُر: «الرِّدَّ الوَافِرَ» (ص٢٣٢) .

تَأَمَّل كَيفُ يُثني ابنُ نَاصِرِ الدِّينِ علَى هَذِهِ القَصِيدَة الرَّادَّة على ابنِ السُّـبُكِيِّ الأَشـعَرِيِّ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيهِ ابنُ نَاصرِ الدِّينِ مِن السَّلَفيَّةِ، والسُّنَّةِ، لا كَمَا قَـالَ بَعضُـهُم إِنَّـهُ كَـانَ أَشعَرِيًّا .

[رَدُّ الإِمَامِ الصَّرْصَرِيّ]

قَالَ الإِمَامُ الصُّرَّمَرِّي في "قَصِيدَتِهِ" العَصمَاءِ[1] :

وقُلـــتَ أَيضًـــا وشَرُّ القَـــولِ أبعَـــدُهُ
عَـــن الصَّـــوَابِ فَـــرُم تَحصِـــيلَ أَصـــوَبِهِ

[والنَّـــاسُ في غُنيَـــةٍ عَـــن رَدِّ إفكِهِـــمُ
لِـــهُجنَةِ الـــرَّفضِ واســـتِقبَاحِ مَذهَبِـــهِ]

أَكُـــلُّ مَـــا ظَهَـــرَت في النَّـــاس هُجنَتُـــهُ
يَصِـــيرُ أَهـــلًا لإهمَـــالِ النَّكِـــيرِ بـــهِ؟

والله لا غُنيَـــــةٌ عَـــــن رَدِّ إِفكِهِـــــمُ
بَـــل رَدُّهُ وَاجِـــبٌ أَعظِـــم بمُوجَبِـــهِ

أَيُترَكُـــونَ يَسُـــبُّونَ الصَّـــحَابَةَ والـــ
إِســـلَامَ يَختَـــالُ زَهـــواً في تَصَـــلُّبِه

هَـــذَا مَقَـــالٌ شَـــنِيعٌ لَـــم يَقُـــل أَحَـــدٌ
بـــهِ ! ولا رَهـــطُ جَهـــمٍ في تَحَزُّبِـــهِ!!

والله لَـــولَا سُـــيُوفٌ مِـــن أَئِمَّتِنَـــا
في كَاهِـــلِ الـــرَّ فـــضِ لا تُلـــوَي ومَنكِبِـــهِ

---

(١) انظُر: «الحَميَّة الإِسلامِيَّة في الانتصَار لِمذهَب ابنِ تَيميَّة» (ص٥٧-٦٠/ ت الشَّيخ صَلاحِ الدِّين مَقبُول)، و«مَنهَجَ الإمَام جَمَال الدِّين الصُّـرَّمَرِّي في تَقرير العَقيـدَةِ» (ص٤٠-٤١).

لأَضَـــحتِ السُّـــنَّةُ الغَـــرَّاءُ دَائـــرةً

بَــــينَ البَرِيَّــــةِ كَالعَنقَــــا وأَغرَبــــهِ

❑ ❑ ❑

إلى أَن قَالَ :

أَيُــترَكُ الأَمــرُ بــالمَعرُوفِ مُطَّرَحًــا

والنَّهـيُ عَـن مُنكـرٍ؟! مَـا مَـن يَقُـولُ بـهِ!

كَـلَّا ومَـن رَفَـعَ السَّـبعَ الطِّبَـاقَ عَـلَى

وَجــهِ الثَّــرَى وتَعَــالى في تَحَبُّبِــه

لَنقَــذِفَنَّ عَــلَى بُطــلَانِ مَذهَبــهِ

بصَــارمِ الحَــقِّ مَســلُولًا ومِرزَبــهِ

حَتَّـى يَفـيءَ إلَى الإِسـلَامِ عَـن كَثَـبٍ

ويَــترُكَ الكُفــرَ مُقصًــى غَــيرَ مُكتَثِبــهِ

❑ ❑ ❑

ولـمَّا قَالَ السُّبكِيُّ مُتَعَاليًا! غَامِزًا "عِـلمَ ابنِ تَيميَّةَ" :

لَــو كَــانَ حَيًّــا يَــرَى قَــولي ويَســـمَعُهُ

رَدَدتُ مَــــا قَــــالَ رَدًّا غَـــيرَ مُشـــــتَبهِ

كَــــمَا رَدَدتُ عَلَيــــهِ في الطَّـــلَاقِ وفي

تَــــركِ الزِّيَـــارَةِ[1] أَقفُـــو إِثـــرَ سَبسَـــبهِ

---

(١) "مَسأَلَةُ سَفَرِ الزِّيَارَة" مِن أَكبَرِ مَا شَنَّعَ بِهِ خُصُومُ ابنِ تيميَّـةَ عَلَيـهِ، بَـل وسَـجَنُوهُ، وبَعضَ أَصحَابِهِ؛ لأَجلهَا في سَنَة (٧٢٦) في قَلعَةِ دِمَشقَ إِلَى وَفَاتِهِ سَنَة (٧٢٨)، وبَقِيَ مَسجُونًا سَنَتَينِ، وثَلاثَة أشهُر، وأَيَّامًا، بَل بَـالَغَ بَعـضُ المُتَعَصِّـبينَ؛ فَكَفَّـرَهُ بهَـا !، وأَحَـلَّ دَمَـهُ !، قَـالَ الصَّفَديُّ في «أَعيَانِ العَصرِ» (١/ ٢٣٥) – مُشَنشِنًا!-: «ومَا دَمَّرَ عَليهِ شَيءٌ كمَسـأَلَةِ الزِّيَـارَة، ولا شُنَّ عَلَيهِ مِثلُهَا إغَارَة، دَخَلَ مِنهَا إِلَى القَلعَةِ مُعتَقَلا، وجَفَاهُ صَاحِبُهُ !، وقَـلَا !، ومَـا خَـرَجَ مِنهَا إِلَّا علَى الآلَةِ الحَدبَا، ولا دَرَجَ مِنهَا إِلَّا إلى البُقعَةِ الحَدبَا»، وقَد سَاقَ الإِمَامُ الحَـافِظُ العِـمَادُ ابنُ كَثِير حَقيقَةَ مَا جَرَى فِيهَا مِن "الظُّلـمِ"، و "التَّقَـوُّلِ" عَـلَى ابـنِ تَيمِيَّـة؛ فَقَـالَ: «ثُـمَّ يَـومَ الخَمِيس دَخَلَ القَاضِي بَدرُ الدِّينِ بنُ جُملَةَ، ونَاصِرُ الدِّينِ مُشِدُّ الأَوقَافِ، وسَأَلَاهُ عَن مَضمُونِ قَولِهِ في مَسأَلَةِ الزِّيَارَة؛ فَكَتَبَ ذَلِكَ في دَرَجٍ، وكَتَبَ تَحتَهُ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ بِدِمَشقَ [وهُوَ: جَلالُ الدِّينِ القَزوينيُّ (ت٧٣٩)]: «قَابَلتُ الجَوَابَ عَن هَذَا السُّؤَالِ المَكتُوب علَى خَطِّ ابنِ تَيميَّـة إِلَى أَن قَالَ: «وإِنَّمَا المَحزُّ جَعلُهُ زِيَارَةَ قَبرِ النَّبِيِّ – صَـلَّى اللهُ عَلَيـهِ، [وعَـلَى آلـهِ]، وسَـلَّمَ-، وقُبُـورِ الأَنبِيَاءِ – صَلَوَاتُ الله، وسَلَامُهُ عَلَيهِم- مَعصِيَةً !! بالإِجمَاعِ مَقطُوعاً بهَا» !! .

قَالَ الحَافظُ ابنُ كَثِيرٍ: «فَـانظُر – الآنَ- هَـذَا "التَّحرِيـفَ"! عَـلَى شَـيخِ الإِسـلَام؛ فَـإِنَّ جَوَابَهُ عَلَى هَذِهِ المَسأَلَةِ لَيسَ فِيهِ "مَنعُ زِيَارَةِ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ، والصَّالِحِينَ"؛ وإِنَّمَا فِيهِ ذِكرُ قَولَين في "شَدِّ الرَّحلِ، والسَّفَرِ إِلَى مُجَرَّدِ زِيَارَةِ القُبُورِ"، و"زِيَارَةِ القُبُورِ مِن غَيرِ شَدِّ رَحلٍ إِلَيهَا" مَسـأَلَةٌ، و"شَدُّ الرَّحلِ لِـمُجَرَّدِ الزِّيَارَةِ" مَسأَلَةٌ أُخرَى، والشَّيخُ لَـم يَمنَع الزِّيَارَةَ الخَالِيَةَ عَن شَدِّ رَحلٍ، بَل يَستَحِبُّهَا، ويَندُبُ إِلَيهَا، وكُتُبُهُ، ومَنَاسِكُهُ تَشهَدُ بِذَلِكَ، ولَـم يَتَعَـرَّض إِلَى هَـذِهِ الزِّيـارَة في هَذهِ الوَجهِ في الفُتيَا !، ولَا قَالَ إِنَّهَا مَعصِيَةٌ !، ولَا حَكَى الإِجمَـاعَ! عَـلَى المَنعِ مِنهَـا !، ولَا هُـوَ=

رَدَّ عَلَيهِ الإِمَامُ السُّرَّمَرِّي[1]؛ فقَالَ:

وقُلتَ مِن بَعدَ هَذَا قَولَ ذِي حَسَدٍ
أَخطَا الهُدَى وتَجَارَى فِي تَنَكُّبِهِ

[لَو كَانَ حَيًّا يَرَى قَولِي ويَسمَعُهُ
رَدَدتُ مَا قَالَ رَدًّا غَيرَ مُشتَبِهِ]

فَضَحتَ نَفسَكَ فِي هَذَا المَقَالِ ولَم
تَشعُر وعُجتَ عَن المَرعَى وأَخصَبِهِ

= جَاهِلٌ قَولَ الرَّسُول: **زُورُوا القُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»، واللهُ سُبحَانَهُ لا يَخفَى عَلَيهِ شَيءٌ، ولا يَخفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء]» انتَهَى مِن «البِدَايَة والنِّهَايَة» (١٤/ ١٤٣).

والعَجِيبُ أَنَّ مَا قَالَهُ القَزوِينِيُّ قَالَهُ - أَيضًا - : **قَاضِي المَالكيَّة الإِخنَائِيِّ، وردَّ عَلَيهِ شَيخُ الإِسلام**، وكَذَّبَهُ فِي دَعوَاهُ، ونَسَبَهُ إِلَى الكَذب المَحضِ، أَو البَلادَةِ فِي الفَهمِ، وقَرَّر أَنَّ كُتُبَهُ فِيهَا: «القَولُ باستِحبَاب الزِّيَارَةِ ..» إِلَى آخِرِ رَدِّهِ؛ فَانظُر: «الأَخنَائيَّة» (ص٢١/ تحَقيق الدَّاني آل زهوِي)، وانظُر: «طَبَقَاتِ الشَّافعيَّة الكُبرَى» (١٠/ ١٤٩).

وقَد شَهِدَ القَاضِي **عَلاءُ الدِّين القُونَوِيُّ الحَنفِيُّ** (ت٧٢٩) **عَلَى ابنِ جملَة** - أَحَد أَكبَر خُصُوم ابنِ تَيمِيَّةَ -، **وقَد حَضَرَ عِندَهُ؛ فحَطَّ عَلَى ابن تَيمِيَّةَ؛ فَقَالَ القُونَوِيُّ** - بالتُّركِيِّ - : «**هَذَا مَا يَفهَمُ كَلامَ الشَّيخ تَقِيِّ الدِّين**» انتَهَى، وانظُر: «الدُّرَرَ الكَامِنَةَ فِي أَعيَان المائة الثَّامنَة» (٤/ ٣٢).

(١) انظُر: «الحَمِيَّة الإِسلامِيَّة فِي الانتصَار لِمَذهَب ابنِ تَيمِيَّة» (ص٧٥-٧٧/ ت الشَّيخ صَلاحِ الدِّين مَقبُول)، و«مَنهَجَ الإِمَام جَمَال الدِّين السُّرَّمَرِّي فِي تَقرِير العَقِيدَةِ» (ص٤٠-٤١و٢٠٩)، و«جَلاءَ العَينَين فِي محَاكمَة الأَحمَدَين» (ص٣٢-٣٤).

عَرَّفتَنَــا أَنَّ مَــا قَــد قُلــتَ لَــيسَ لِوَجــ

ـــــهِ اللهِ بَــلْ لِلمِــرَا أَقــبِح بِمَنصِــبِهِ

إِذ لَــو أَرَدتَ بَيَــانَ الحَــقِّ قُلــتَ بِــهِ

فِي مَحضَـــرِ الخَصـــمِ إِمَّـــا فِي مُغَيَّبِـــهِ

إلى أن قَالَ :

لَكِن إِذَا الأَسَدُ الضِّـرغَامُ غَـابَ عَـن الـ

ـــــعَرِينِ تَســـمَعُ فِيـــهِ ضَـــبحَ[1] ثَعلَبِـــهِ

كَــذَا الجَبَــانُ خَــلَا فِي الــبَرِّ صَــاحَ أَلَا

مُبَـــــارِزٌ وتَغَــــــالَى فِي تَوَثُّبِـــــــهِ

❑ ❑ ❑

---

(١) في «تَاج العَرُوس» (٦/ ٥٦٣/ ض ب ح): «ضُبَاحٌ كغُرَابٍ: صَوتُ الثَّعلَبِ، نَقله الأَزهرِيُّ عَن اللَّيث، تَقول: مَا سَمِعتُ إِلَّا نُباحَ الأَكالِب، وضُبَاحَ الثَّعَالب» .

[رَدٌّ آخَـرُ]

ورَدَّ على قَصِيدَةِ التَّقيِّ السُّبكِيِّ - أَيضًـا- عَالِـمٌ آخَـرُ بـ"قَصِـيدَةٍ" جِـدُّ عَصماءَ، هِيَ مِن عُيُونِ الشِّعرِ الأَدبيِّ العِلمِيِّ .

أَورَدَهَا تَامَّةً العَلَّامَةُ أَبُـو البَرَكَـات نُعـمَانُ بـنُ مَحمُـودٍ الآلُـوسيُّ البَغـدَاديُّ (ت١٣١٧) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى- في كِتَابـِهِ النَّـافعِ «جَـلَاءِ العَينَـين في مُحَاكمَـة الأَحمَدَين»[(١)] :

فَقَالَ :

«وقَالَ الشَّيخُ [الإِمَامُ العَلَّامَةُ][(٢)] مُحَمَّدُ بنُ جَمَال الدِّين اليَافعيُّ اليَمَنيُّ[(٣)] :

فَقَـالَ مُـرتَجلاً لِلحَـقِّ مُنتَصِـراً ... "عَبـدٌ"! يَـرُدُّ عَلَيـهِ في تَأَدُّبـِهِ

يَأَيُّهَـا الرَّجُـلُ الحَـامي لِـمَذهَبِهِ ... أَلزَمـتَ نَفسَـكَ أَمـراً مَـا أُمِـرتَ بـِهِ

تَقُولُ في بَاغِضِي صَحبِ الرَّسُـولِ ومَـن ... يُرِيـكَ سَـبَّهُم أَصـلاً لِـمَذهِبِهِ

---

(١) (ص٣٢-٣٤و٣٦و٣٧) .

(٢) هَكَذَا في تَقَارِيظِ «مِنهَاجِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» في الطَّبعَة الأَميريَّةِ (ص٧)، كَمَا أَفَادَ الشَّيخُ صَلاحُ الدِّينِ مَقبُول في تَحقيقِهِ لـ«الحَميَّة الإِسلامِيَّة في الانتصَار لَمذهَب ابنِ تَيميَّـة» عِنـدَ ذِكـر قَصيدَةِ الفَاضلِ اليَمَنيِّ (ص٩٩) .

(٣) أَفَادَ الشَّيخَان الدُّكتُورُ محمَّد رَشَادَ سَالـمٍ، وصَـلاحُ الـدِّين مَقبُـول - جَزَاهُمَـا اللهُ خَيرَ الجَزَاءِ-: أَنَّهُما لَـم يَجدَا لَهُ تَرجَمَةً، ووَهِمَ الشَّيخُ عَبدُ الرَّحمن دِمَشقيَّة؛ فَعَزَاهَا لِعبـدِ الله بـنِ أَسعَدَ اليَافعيِّ (ت٧٦٨) في «المَقَالاتِ الدِّمَشقيَّة في الدِّفَاع عَن ابنِ تَيميَّة»؛ وهُوَ غَلَطٌ ظَاهِرٌ .

"والنَّـــاسُ في غُنيَــةٍ عَـــن رَدِّ إِفكِهِـــمُ"!!

هَـذَا هُـوَ "الإِفـكُ"! لَكِـن مَـا شَـعَرتَ بـهِ

بَـــل رَدُّهُ "وَاجِـــبٌ" نُصـــحاً ومَعـــذِرَةً

ونُصـــــرَةً لسَــــبيل الحَـــقِّ مِـــن شُـــبَهِ

إِذَا تَقَـــوَّلَ في الصَّـــحبِ الكِـــرَام فَـــمَا

ذَا تُوجِبُـــونَ عَلَيـــهِ يَـــا أُولي النُّبَـــهِ

وقَـــد عَلِمـــتُم بـــأَنَّ الشَّـــخصَ دَاعِيَـــةٌ

إِلَى الضَّـــلَالِ بـــلا تَردِيـــدِ مُشـــتَبِهِ

إِلَى أَن قَالَ في "صِفَاتِ الله تَعَالى" :

ومَـا عَـزَوتَ إِلَى الشَّـيخِ الجَلِيـلِ أَبي الـــ

ـــعَبَّاسِ أَحمَـــدَ أمـــرٌ لا يُخَـــصُّ بـــهِ

لَقَـد عَلِمـتَ بـأَنَّ السَّـادَةَ السَّـلَفَ الـــ

ـــمَاضِينَ مَـــا خَرَجُـــوا عَـــمَّا أَقَـــرَّ بـــهِ

هُـــمُ القُـــرُونُ الأُلَى في نَـــصِّ سَـــيِّدِنَا

حَـــازُوا الفَخَـــارَ بـــأَمرٍ غَـــيرِ مُشـــتَبِهِ

لَـــئِن "رَدَدتَ عَلَيـــهِ" في مَقَالَتِـــهِ

فَقَـــدَ "رَدَدتَ عَلَـــيهِم"! فَـــادْرِ وانتَبِـــهِ!

❑ ❑ ❑

وقَالَ في "مَسأَلَةِ سَفَر الزِّيَارَةِ" وَاصفًا حَقيقَةَ حَالِ التَّقيِّ السُّبكيِّ، وأَمثَالِهِ مِمَّن حَقُّهُم أَن يَجلسُوا مَجلِسَ التَّلامِيذِ مَعَ هَذَا "الإمَام"؛ فَيَتَعَلَّمُوا، لا أَن يَتَطَاوَلُوا بِضِعَافِ الأَحَاديثِ، ووَاهِي الشُّبُهَاتِ الَّتِي (قَد) فَنَّدَهَا الشَّيخُ في ثَنَايَا كَلامِهِ :

نَزَلَتَ حَولَ حِمَاهُ كَي تُنَازِلَهُ

فَمَا عَلَوتَ عَلَيهِ بَل عَلَوتَ بِهِ!(١)

---

(١) ويُوَضِّحُ هَذِهِ القَضيَّةَ مَا تَرَاهُ مِن لَهَجِ مُحِبِّيهِ، والغُلاَةِ فِيهِ بِأَنَّ الشَّيخَ تَقيَّ الدِّينِ ابنَ تَيميَّةَ أَثنَى عَلَى رَدِّهِ عَلَيهِ في مَسأَلَةِ الطَّلَاقِ، ويَجعَلُونَ ذَلكَ مَنقَبَةً للسُّبكيِّ؛ وبَالَغَ ابنُهُ عَبدُ الوَهَّاب بنُ عَليِّ السُّبكِيُّ؛ فَقَالَ في تَرجَمَتِهِ لأَبِيهِ: «**وصَحَّ مِن طُرُقٍ شَتَّى! عَن الشَّيخ تَقِيِّ الدِّين ابنِ تَيمِيَّةَ أَنَّهُ كَانَ لَا يُعَظِّمُ أَحَدًا مِن أَهلِ العَصرِ، كتَعظِيمِهِ لَهُ !!، وأَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الثَّنَاءِ عَلَى تَصنِيفِهِ في الرَّدِّ عَلَيهِ !!**» انظُر: «طَبَقَاتِ الشَّافعيَّة الكُبرَى» (١٠/ ١٩٤-١٩٥) .

قُلتُ: هَذِهِ مُبَالَغَاتٌ مَكشُوفَةٌ، والظَّاهِرُ أَنَّ الثَّنَاءَ المَذكُورَ كَانَ لكَونِهِ جَمَعَ الاعتِرَاضَاتِ في مَسأَلَة الطَّلَاقِ، وأَحسَنَ في صِيَاغَتِهَا، ونَوَّعَ مَعَانيهَا، وسَرَدَ الآثَارَ، وقَد عَجَزَ أصحَابُهُ عَن هَذَا في انتِصَارهِم لمَذهَبِهِم؛ فَهَذَا هُوَ الثَّنَاءُ الَّذي قَالَهُ شَيخُ الإِسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-، ولَفظُهُ: «**كَمَا ادَّعى هَذا المُعترِضُ الَّذي بَرَّزَ عَلى أَقرَانِهِ، وظَهَرَ فَضلُهُ عَليهِم في فِعلِهِ مَا يَعجَزُون عَن فِعلِهِ**» [انظُر: «الرَّدَّ عَلَى السُّبكيِّ في مَسأَلَة تَعليق الطَّلاقِ» (ص٦)]، **والتَّقيُّ السُّبكِيُّ في طَبَقَة تَلامِيذِ ابنِ تَيميَّة**، بَل ذَكَرَ ابنُ حَجَر في «الدُّرَرَ الكَامنَة» (٤/ ٧٥) **أَنَّهُ تِلمِيذٌ لابنِ القَيِّم !**، وجُملَةٌ مِن رُدُودِهِ يَغلبُ عَليهَا الهَوَى، كَمَا أَبَانَ بجَلاءٍ الإِمَامُ الحَافظُ النَّقَّادُ ابنُ عَبدِ الهَادي؛ لَـمَّا وَقفَ عَلَى كِتَابهِ «شَنِّ الغَارَة عَلَى مَن أَنكَرَ سَفرَ الزِّيَارَةِ» - وهُوَ الَّذي يَتَبَجَّحُ بِهِ السُّبكيُّ في قَصيدَتِهِ-؛ فَقَالَ : «**فَوَجدتُ كتَابَهُ مُشتَمِلاً عَلَى تَصحيحِ الأَحَادِيثِ المُضَعَّفَة، والمَوضُوعَةِ، وتَقويَةِ الآثَار الوَاهيَةِ، والمَكذُوبَةِ، وعلَى تَضعِيفِ الأَحَادِيثِ الصَّحيحَة الثَّابتَة، والآثَار القَويَّة المَقبُولَة**، وتَحريفهَا عَن مَواضعِهَا، وصَرفهَا عَن ظَاهرِهَا بالتَّأويلَات المُستَنكرَةِ المَردُودَةِ، ورَأيتُ مُؤَلِّفَ هذَا الكِتَاب المَذكُور رَجُلاً "**مُمَاريًا**" "**مُعجبًا برَأيهِ**" "**مُتَّبعًا لهَوَاه**" "**ذَاهبًا في كَثِير مِمَّا يَعتَقِدُه إِلَى الأَقوَال الشَّاذَّة، والآرَاء السَّاقطَةِ**"، صَائرًا في أَشيَاء مِمَّا يَعتمِدُه إِلى=

وقَــدْ أَجَابَــكَ فِيهَــا خَــيرَ أَجوِبَــةٍ
كَالسَّــيفِ جَالَــت مَنَايَــا عِنــدَ مَضــربهِ

أَخَــذتَ مِنــهُ عُلُومــاً فَانتَصَــرتَ بِهَــا
عَــلَى سِــوَاهُ وكَانَــت مِــن مُهَذَّبِــهِ

وحُزتَهَــا مُجمَــلَاتٍ مِــن مُفَصَّــلِهِ
فَفَصِّــلِ الآنَ مَــا أَجمَلــتَ تَحــظَ بِــهِ

وهَكَــذَا كُــلُّ مَــن سَــارَت رَكَائِبُــهُ
يَقفُــو خُطَــاهُ فَسَــائل مِــن مُجَرِّبِــهِ

❑ ❑ ❑

إلى أَن قَالَ :

وإِن تَبَجَّحــــتَ فِي رَدٍّ فَلَســــتَ لَــــهُ
كُفئــاً ولا أَهــلُ هَــذَا العَصــرِ فَانتَبِــهِ

كَــم بَحــرِ عِلــمٍ أَتَــاهُ صَــارَ سَــاقِيَةً
وكَــم أَزَالَ صَــدَى جَهــلٍ بِصَــيِّبِهِ

=الشُّبَه المُخيلَة، والحُجَج الدَّاحِضَة، وربَّما خَرَقَ الإجمَاعَ في مَوَاضعَ، لَـم يُسبَق إلَيها، ولَم يُوَافقهُ أَحَدٌ مِن الأَئمَّة عَلَيهَا.

وهُوَ في الجُملَةِ: "لَونٌ عَجيبٌ"، و"بناءٌ غَريبٌ !"، تَارةً يَسلُكُ فيـمَا يَنصُرهُ، ويُقَوِّيهِ مَسلَكَ المُجتَهدينَ!؛ فيَكُونُ مُخطئاً في ذَلكَ الاجتِهَادِ، ومَرَّةً يَزعمُ - فِيمَا يَقُولُ، ويَدَّعِيهِ- أَنَّهُ مِن جُملَة المُقلِّدينَ؛ فيَكُونُ مَن قَلَّدَهُ مُخطئاً في ذَلكَ الاعتِقَادِ، نَسألُ اللهَ سُبحَانَه أن يُلهمنَا رُشدَنَا، ويَرزُقنَا الهدَايَة، والسَّدَادَ» انتَهَى مِن «الصَّارم المُنكِي في الرَّدِّ علَى السُّبكي» (ص١٣-١٤) .

ومَــا نَــرَى لَكُمُــو في الخَلــقِ فَائِــدَةً
غَــيرُ التَّــنَعُّمِ في الــنَّعماءِ مِــن شَــبَهِ
أَيــنَ الثُّرَيَّــا مَكَانًــا في تَرَفُّعِهَــا
مِــن الثَّــرَى قَــالَ هَــذَا كُــلُّ مُنتَبَــهِ

إلَى أَن قَالَ في خَاتمَتهَا :

هَــذَا وقَــد قُلــتَ فِــيمَا قُلــتَ مُــرتجلاً
فِــيمَا تَقَــدَّمَ قَــولاً غَــيرَ مُنجَبِــهِ
[لَــو كَــانَ حَيًّــا يَــرَى قَــولي ويَســمَعُهُ
رَدَدتُ مَــا قَــالَ قَــولاً غَــيرَ مُشــتَبِهِ]
فَـــابرُز ورُدَّ تَـــرَى والله أَجوِبَــــةً
مِثــلَ الصَّــوَاعِقِ ! تُــردِي مَــن تَمُــرُّ بِــهِ!
عَقـــلاً ونَقـــلاً وآيَـــاتٍ مُفَصَّـــلَةً
مِــن كُــلِّ أَروَعَ شَــهمِ القَــولِ مُنتَبِــهِ
مَــاضِي الجَنَــانِ كَحَــدِّ السَّــيفِ فِكرَتُــهُ
يُريـــكَ نَظـــمًا ونَثـــراً في تَأَدُّبِــــهِ
وقَّـــادِ ذِهــــنٍ إذَا جَالَـــت قَريحَتُــهُ
يَكَـــادُ يُخشَـــى عَلَيـــهِ مِـــن تَلَهُّبِـــهِ!
فَمَنـــزِلُ القَـــومِ في أَعـــلَى مَنَازِلِـــهم
فَلَـــيسَ ذُو مَنصِـــبٍ يَنجُـــو بمَنصِـــبِهِ

وانظُر إلَى مَن طَغَـى في الأَرضِ مِـن أُمَـمِ
ولا تَكُـــن سَـــالِكاً في إِثـــرِ سَبسَـــبِهِ

يُقَـــابِلُونَ الَّـــذِي يَـــأتِي بمُشــــتَبِهٍ
مِـــن الكَـــلَامِ ولا يَخشَـــونَ ذَا النُّبَـــهِ

إِنَّ الإِلَـــهَ يُجَـــازِي كُـــلَّ ذِي عَمَـــلٍ
بِمِثــلِ إِحسَـــانِهِ أَو قُـــبحِ مَكسَـــبِهِ

هَـــذَا جَوَابُـــكُ يَـــا هَـــذَا مُوَازَنَـــةً
بَحـــرًا وقَافِيَـــةً في الـــنَّظمِ والشَّـــبَهِ

والحَمـــدُ لله حَمـــداً لا نَفَـــادَ لَـــهُ
جَـارٍ عَـلَى مُـرِّ مَـا يَقضِـي وأَطيَبِـهِ

ثُـمَّ الصَّـلَاةُ عـلَى خَـيرِ الـوَرَى شَرَفـاً
مُحَمَّـــدِ المُرسَـــلِ الهَـــادِي لمَذهَبِـــهِ

وآلِـــهِ والصِّـــحَابِ الغُـــرِّ قَاطِبَـــةً
مَـــا أَشرَقَ الحَـــقُّ مِـــن أَنـــوَارِ كَوكَبِـــهِ

❑ ❑ ❑

[أُمنِيةُ الصَّفَدِيِّ الخَائبَةُ !]

ثُمَّ جَاءَ (تِلمِيذُ السُّبكِيِّ) المُتَعَصِّبُ العَاثِرُ **"صَلاحُ الدِّينِ الصَّفَديُّ"**[1] (ت٧٦٤)؛ فَقَالَ - مُتَأَلِّمًا مِن رُدُودِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ عَلَى أَهلِ المِلَلِ، والنِّحَلِ، والبِدَعِ المُضَادَّةِ للإِسلامِ !- :

«وضَيَّعَ الزَّمَانَ !! في رَدِّهِ علَى النَّصَارَى !![2]**، والرَّافِضَةِ !!**[3]**، ومَن عَانَدَ الدِّينَ !!، أَو نَاقَضَهُ !!؛ ولَو تَصَدَّى لشَرحِ البُخَارِيِّ، أَو لتَفسِيرِ القُرآنِ العَظِيمِ؛**

---

(١) ولَقَد أَحسَنَ في كَشفِ حَالِ (الصَّفَديِّ) البَحَّاثَةُ أَبُو الفَضلِ القُونَوِيُّ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الله - جَزَاهُ اللهُ خَيرَ الجَزَاءِ- في كِتَابِهِ «مَوقفُ خَليلِ بنِ أَيبَك الصَّفَديِّ مِن شَيخِ الإِسلام ابنِ تَيمِيَّةَ»، وقَد شَفَى مَا كَانَ في نَفسِي مِمَّا يَحُزُّ فِيهَا مِن قِرَاءَتِي في كِتَاب «الوَافي بالوَفَيَاتِ»، وزَادَ البَاحِثُ لطَائفَ؛ فَأَجَادَ - أَسعَدَهُ اللهُ- .

(٢) قَالَ ابنُ عَبدِ الهَادي في «العُقُودِ الدُّرِّيَّة» (ص٤٥) : «كتَابُ الرَّدِّ علَى النَّصَارَى سَمَّاهُ: «الجَوَابَ الصَّحِيحَ لَمِن بَدَّل دِينَ المَسِيح» .. **وهَذَا الكتَابُ مِن أَجَلِّ الكُتُب، وأَكثَرِهَا فَوَائِدَ، ويَشتَمِلُ علَى تَثبيتِ النُّبُوَّات، وتَقريرِهَا بالبَرَاهِين النَّيِّرَة الوَاضِحَة، وعَلى تَفسِير آي كَثِيرٍ مِن القُرآنِ، وعَلى غَير ذَلِك مِن المُهِمَّاتِ**» انتَهى .

(٣) قَالَ الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ في تَرجَمَة الَّذِي يُقَالُ لَهُ (ابنُ المُطَهَّر) في تَارِيخِهِ «البِدَايَةِ والنِّهَايَة» (١٤/ ١٤٤): «ولَهُ كِتَابُ «مِنهَاجِ الاستِقَامَةِ في إِثبَاتِ الإِمَامَةِ»، خَبَّطَ فِيهِ في المَعقُولِ!، والمَنقُولِ، ولَم يَدرِ كَيفَ يَتَوجَّهُ؛ إِذ خَرَجَ عَن الاستِقَامَةِ، **وقَد انتَدَبَ في الرَّدِّ عَلَيهِ: الشَّيخُ الإِمَامُ العَلَّامَةُ شَيخُ الإِسلَام تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو العبَّاسِ ابنُ تَيمِيَّةَ في مُجَلَّدَاتٍ، أَتَى فِيهَا بِمَا يُبهِرُ العُقُولَ مِنَ الأَشيَاءِ المَلِيحَةِ الحَسَنَةِ، وهُوَ كِتَابٌ حَافِلٌ**» انتَهى، وقَالَ العَلَّامَةُ عَبدُ الحَيِّ اللَّكنَوِيُّ (ت١٣٠٤) : «وقَد طَالَعتُ مِن تَصَانيفِهِ .. و«مِنهَاجُ السُّنَّةِ» **وهُوَ أَجَلُّ تَصَانِيفِهِ**، رَدَّ فِيهِ علَى «مِنهَاجِ الكَرَامَةِ» للحِلِّيِّ الشِّيعيِّ، **لَم يُصَنَّف في بَابِهِ مِثلُهُ، لا قَبلَهُ، ولا بَعدَهُ**» انتَهى مِن =

لقَلَّدَ أَعنَاقَ أَهلِ العُلُومِ بدُرٍّ كَلَامِهِ النَّظِيمِ» انتَهَى[1] .

❏ ❏ ❏

وهِيَ نَصِيحَةٌ مِن مَكلُوم فُؤَادُهُ !، ونَفثَةٌ مِـن مَصـدُورٍ مِـن رُدُودِ ابـنِ تَيمِيَّـةَ القَاطِعَـةِ البَـاترَةِ لأَعنَـاقِ شُـبُهَاتِ أَشـيَاخِهِ المُتَجَهِّمَـةِ، والصُّـوفِيَّةِ، الَّـذِينَ يَغلُـو (الصَّفَديُّ) فِيهِم، بَل ويُوَالِيهِم – غفَرَ اللهُ لَهُ–[2] .

❏ ❏ ❏

= «التَّعليقَاتِ السَّنية علَى الفَوائدِ البَهيَّة» (ص٦٢/ ت الزُّعبي/ ط دَار الأَرقَم)، وانظُر: «الجَـامِعَ لسيرَةِ ابنِ تَيميَّة» (ص٨٣٩)، و«البَدرَ الطَّالعَ» (١/ ٧١) .

(١) «أَعيَان العَصر وأَعوَان النَّصر» (١/ ٢٣٦) .

(٢) يَرَى البَاحثُ المُكَرَّمُ أَبُو الفَضلِ القُونَـويُّ أَنَّ الصَّـفَديَّ تَلَقَّـفَ هَـذِهِ الكَلِمَـةَ مِـن خَصمٍ مِن أَلَدِّ خُصُومِ ابنِ تَيمِيَّةَ، وهُوَ الغَارقُ فِي الخُرَافَةِ الصُّوفيَّةِ مُحَمَّدُ ابنُ السَّـرَّاجِ الدِّمَشقيُّ فِي قَولِهِ فِي شَيخِ الإِسلامِ: «**فَيَا أَسَفًا عَلَيهِ وعَلَى أَمثَالِهِ !، كَيفَ ضَـاعَت أَعمَارُهُـم!!، وخَابَـت مَسَاعِيهِم، ووضَعُوا الشَّيءَ فِي غَيرِ مَوضِعِهِ ؟، وهَلَكُوا وأَهلَكُوا، ولَـم يَبقَ للوَعظِ فِيهِم مَجَالٌ، ولا للنُّصحِ عِندَهُم مَحَلٌّ، وإِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ**» .

وانظُر: كِتَابَهُ «أَضوَاء عَلى الرِّسَالَة المَنسُوبَة إِلَى الحَافِظِ الذَهَبيِّ النَّصِيحَة لابنِ تَيمِيَّة» .

[طَلَبُ مُحِبٍّ صَادِقٍ]

قَالَ الشَّيخُ الكَاتبُ الفَاضلُ أَبُو عَبدِ الله ابنُ رُشَيِّقٍ (ت٧٤٩)[1] - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- في جُزئِهِ «مُؤلَّفات شَيخ الإسلَام ابن تَيمِيَّةَ» :

«ثُمَّ لَـمَّا حُبِسَ في آخِرِ عُمرهِ كَتَبتُ لَهُ: **أَن يَكتُبَ علَى جَمِيعِ القُرآنِ [تَفسِيرًا] مُرَتَّبًا على السُّوَر** .

فَكتَبَ يَقُولُ :

«**إِنَّ القُرآنَ فِيهِ مَا هُوَ بَيِّنٌ بِنَفسِهِ، وفِيهِ مَا [قَد] بَيَّنَهُ المُفَسِّرُونَ في غَيرِ كِتَابٍ، ولَكِنَّ بَعضَ الآيَاتِ أَشكَلَ [تَفسِيرُهَا] علَى جَمَاعَةٍ مِن العُلَمَاءِ؛ فَرُبَّمَا يُطَالِعُ الإِنسَانُ**

---

(١) تَرجَمَهُ الحافظُ ابنُ كَثِيرٍ في «البدَايَةِ والنِّهَايَةِ» (١٤/ ٢٦٤)؛ فَقَالَ: «وفي هَذَا اليَوم [أَي يَوم عَرَفَة سَنَةَ ٧٤٩] تُوُفِّيَ الشَّيخُ [أَبُو] عَبدِ الله ابنُ رُشَيِّقٍ المَغرِبِيُّ، كَاتِبُ مُصَنَّفَاتِ شَيخِنَا العَلَّامَةِ ابنِ تَيميَّةَ، كَانَ أَبصَرَ بخَطِّ الشَّيخِ مِنهُ !، إِذَا عَزَبَ شَيءٌ مِنهُ عَلَى الشَّيخِ استَخرَجَهُ أَبُو عَبدِ الله هَذَا، وكَانَ سَرِيعَ الكِتَابَةِ، لَا بَأسَ بِهِ، دَيِّنًا، عَابِدًا، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، حَسَنَ الصَّلَاةِ، لَهُ عِيَالٌ، وعَلَيهِ دُيُونٌ - رَحِمَهُ اللهُ، وغَفَرَ لَهُ آمِينَ-» انتَهَى .

وقَالَ الذَّهَبِيُّ في كتَابِهِ «المُشتَبَهُ في الرِّجَال أَسمَائِهم وأَنسَابِهم» : «و[رُشَيِّقٌ] بِالتَّصغِيرِ - قَالَ ابنُ نَاصِرِ الدِّينِ في كتَابِهِ «تَوضِيحِ المُشتَبِهِ» (٤/ ١٩٥): «**قُلتُ**: مَعَ تَشدِيد المُثَنَّاةِ، وكَسرِهَا- قَالَ الذَّهَبيُّ: رُشَيِّقٌ المِصرِيُّ، جَدُّ **صَاحِبنَا الفَقِيهِ أَبِي عَبدِ الله ابنِ رُشَيِّقٍ المَالِكِيِّ** لأُمِّهِ» انتَهَى المُرَادُ، وقَالَ الإِمَامُ ابنُ عَبدِ الهَادي (ت٧٤٤) في «العُقُودِ الدُّرِّيَّةِ» (ص٤٣): «**الشَّيخُ أَبُو عَبدِ الله ابنُ رُشَيِّقٍ وكَانَ مِن أَخَصِّ أَصحَاب شَيخِنَا، وأَكثَرهِم كِتَابَةً لكَلَامِهِ، وحِرصًا علَى جَمعِهِ كُتُبَ الشَّيخِ** - رَحِمَهُ اللهُ-» انتَهَى، وفي كتَابي: «**رِسَالَةُ شَيخِ الإِسلَام ابنِ تَيمِيَّةَ في إِحصَاءِ الأَسمَاءِ الحُسنَى الظَّاهِرَةِ في القُرآنِ الكَرِيمِ** [دِرَاسَةً، وتَرتِيبًا]» زِيَادَةٌ مُهِمَّةٌ - يَسَّرَ اللهُ نَشرَهُ- .

عَلَيهَا عِدَّةَ كُتُبٍ، ولَا يَتَبَيَّنُ لَهُ تَفسِيرُهَا، ورُبَمَا كَتَبَ المُصَنِّفُ الوَاحِدُ في آيَةٍ تَفسِيرًا، ويُفَسِّرُ غَيرَهَا بنَظِيرِهِ .

فقَصَدتُ تَفسِيرَ تِلكَ الآيَاتِ بِالدَّلِيلِ؛ لأَنَّهُ أَهَمُّ مِن غَيرِهِ .

وإذا تَبَيَّنَ مَعنَى آيَةٍ تَبَيَّنَ مَعَانِي نَظَائِرِهَا .

وقَالَ: "**قَد فَتَحَ اللهُ عَلَيَّ في هَذَا الحِصنِ في هَذِهِ المُدَّةِ مِن "مَعَاني القُرآنِ"، ومِن "أُصُولِ العِلمِ" بأَشيَاءَ كَانَ كَثيرٌ مِن العُلَمَاءِ يَتَمَنَّونَهَا، ونَدِمتُ علَى تَضييعِ أَكثَر أَوقَاتي في غَير مَعَاني القُرآنِ**"، أَو نَحوِ هَذَا .

وأَرسَلَ إِلَينَا شَيئًا [يَسِيرًا] مِمَّا كتَبَهُ في هَذَا الحَبسِ، وبَقِيَ شَيءٌ كَثيرٌ في [سَلَّةِ] الحُكم عِندَ الحُكَّامِ؛ لَـمَّا أَخرَجُوا كتُبَه مِن عِندِهِ، وتُوفِّيَ وَهِيَ عِندَهُم إِلَى هَذَا الوَقتِ نَحوَ أَربَعَ عَشرَةَ رُزمَةً» انتَهَى[(١)] .

❑ ❑ ❑

أَقُولُ :

البَحثُ فيمَا "**أَشكَلَ عَلى العُلَمَاءِ مِن الآيَاتِ الكَرِيمَةِ**" دُونَ غَيرهَا بَحثٌ مَحدُودٌ، والمَوجُودُ المَطبُوعُ مِمَّا كتبَه - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- مِنهُ الكَلامُ فيهِ في "**سَبع آيَاتٍ**"، **والقَصدُ أَنَّ هَذَا البَحث مَحدُودٌ؛ لأَنَّ سَائرَ القُرآنِ بَيِّنٌ، لا إِشكَالَ فِيهِ .**

وهَذَا البَحثُ في "**مَعَاني القُرآنِ**"، و"**كَشفِ مُشكِلاتِهِ الَّتي حَيَّرَت العُلَمَاءَ**" مِن جَوَاهِرِ العِلمِ النَّفِيسَةِ، الَّتي قَد لا يَجِدُ العَالِمُ مَن شَفَى فِيهَا الكَلامَ، وحَرَّرَهَا، وحَقَّقَهَا بأَدِلَّتِهَا، مَعَ شِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ، ومَا دَخَلَ عَلَى طَوَائفَ مِن الشُّبُهَاتِ، والأَخطَاءِ فِيهَا .

---

(١) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيَّة» (ص٤٣-٤٤)، و«الجَامِعَ لِسِيرَة شَيخ الإِسلَام ابن تَيميَّة خِلال سَبعَة قُرون» (ص٢٨٣-٢٨٤) .

ولِـهذَا قَالَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى - عَن هَذِهِ الآيَاتِ المُشكِلَة عِندَ كَثيرٍ مِن أَهل العِلمِ :

«حتَّى لا يُوجَدَ في طَائِفَةٍ مِن كُتُب التَّفسيرِ فِيهَا القَولُ الصَّوَابُ، بَل لا يُوجَدُ فِيهَا إلَّا مَا هُوَ خَطَأٌ» انتهَى كَلامُهُ[1] .

والعِلمُ يَـخدُمُ بَعضُهُ بَعضًا، وبَيَانُ الحَقِّ بَيَانٌ للبَاطِلِ، وتَزييفُ البَاطِلِ بَيَـانٌ للحَقِّ؛ ولِــهَذَا فَـمَا نَقَلَـهُ الكَاتـبُ الفَاضـلُ أَبُـو عَبـدِ الله ابـنُ رُشَـيِّقٍ (ت٧٤٩) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى - عَن شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ - مِـمَّا هُوَ **مَعنَاهُ، لا لَفظُهُ !** - أَنَّـهُ قَالَ لَهُ :

«ونَدِمتُ عَلَى تَضييعِ أَكثَرِ أَوقَاتِي في غَيرِ مَعَانِي القُرآنِ»، أَو نَحوِ هَذَا .

لا يَعني - بِـحَالٍ - أَنَّهُ نَادِمٌ عَلَى مَا قَـامَ بِـهِ طِيلَـةِ عُمـرِهِ مِـن حِمَايَـةِ "**بَيضَـةِ الإِسـلَام**" مِـن غَوائـلِ المَـذَاهبِ الهَدَّامَـةِ لَـهُ، و"**صِـيَانَةُ الشَّــريعَةِ الغَـرَّاء**" مِـن الضَّلَالاتِ، والأَهواءِ، و"**تَزييفِ البَاطِلِ**"، و"**الانتِصَار للحَقِّ**" .

ومَا أَمضَـى فِيهِ عُمرَهُ مِن "**إِقَامَةِ أَدِلَّةِ الحَقِّ**"، و"**كَشفِ شُبُهَاتِ البَاطِلِ**" ! .

كَيفَ وهُوَ الَّذِي يَرَى أَنَّ هَذَا مِن "**أَعظَمِ الجِهَادِ في سَـبيلِ الله تَعَـالى**"، ومِـن "**آكَـدِ الوَاجِبَاتِ العَينيَّة**" عَلَى مَن يَقدِرُ عَلَى ذَلِكَ مِن أَهلِ العِلمِ، والتَّحقِيقِ .

❑ ❑ ❑

وإِنَّمَا مَعنَى هَذِهِ الكَلِمَةِ :

---

(١) انظُر : «تَفسِيرَ آيَاتٍ أُشكِلَت عَلَى كَثيرٍ مِن العُلَماءِ» (١/ ١٣٥) .

وانظُر فيـهِ في (١/ ٤٤٤-٤٥٠) الكَـلَام عـلَى العَـدلِ، والظُّلـمِ، وأَقـوَال الفِـرَقِ فِيـهِ كالقَدرِيَّةِ، والجَبريَّةِ، والجَهميَّةِ، والأَشعَريَّة، وغَيرِهِم .

أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَد أَكرَمَهُ فِي الدُّنيَا، وجَازَاهُ عَلَى "**جِهَادِهِ فِي اللهِ تَعَالى**"، وصَبرِهِ عَلَى مَا نَالَهُ مِن "**مِحَنٍ**" فِي سَبيلِ اللهِ تعالى بـ"**مِنَحٍ**" جَزيلَةٍ، و"**عَطَايَا**" نَبيلَةٍ، و"**كَرَامَةٍ**" جَليلَةٍ .

مِصدَاقًا لقَولِهِ جَلَّ وعَلَا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت]، وقَولِهِ تَبَارَك وتَعَالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ [الرحمن] .

وهَذِهِ الكَرَامَةُ هِيَ: "**فَهمُ مَعَانِي القُرآنِ**"، وهِيَ مِن عَظِيمِ المِنَحِ الإِلَهيَّةِ، والعَطَايَا الرَّبَّانيَّةِ .

❑ ❑ ❑

فَقَد جَاءَ فِي «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٣٠٤٧) عَن أَبِي جُحَيفَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- قَالَ: قُلتُ لِعَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- :

«**هَل عِندَكُم شَيءٌ مِنَ الوَحيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللهِ ؟**» .

قَالَ: «**لَا والَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعلَمُهُ إِلَّا فَهمًا يُعطِيهِ اللهُ رَجُلًا فِي القُرآنِ، ومَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ**» .

قُلتُ: **ومَا فِي الصَّحِيفَةِ ؟** .

قَالَ: «**العَقلُ، وفَكَاكُ الأَسِيرِ، وأَن لَا يُقتَلَ مُسلِمٌ بِكَافِرٍ**» .

❑ ❑ ❑

ولِهَذَا كَانَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يَقُولُ فِي حَبسِهِ فِي القَلعَةِ كَمَا سَبَقَ: «**لَو بَذَلتُ مِلءَ هَذِهِ القَلعَةِ ذَهَبًا مَا عَدَلَ عِندِي شُكرَ هَذِهِ النِّعمَةِ**»، أَو قَالَ: «**مَا جَزَيتُهُم عَلَى مَا تَسَبَّبُوا فِيهِ مِن الخَيرِ**»، ونَحو هَذَا .

وكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ، وهُوَ مَحبُوسٌ: «**اللهُمَّ أَعنِّي عَلَى ذِكـرِكَ، وشُـكرِكَ، وحُسنِ عِبَادَتِكَ**»، مَا شَاءَ اللهُ ! .

ولا زَالَ مُنَافِحًا عَن دِينِ الإِسلامِ، نَاصرًا للسُّـنَّةِ، قَامعًـا للبِدعَـةِ مُجَاهِـدًا فِي سَبيلِ الله تَعَالى إِلَى آخِرِ نَفَسٍ فِي حَيَاتِهِ .

ولا زَالَ وهُـوَ فِي مَحبَسِـهِ «**يَكتُـبُ الـرُّدُودَ الفَاصِـلَةَ**»، و«**يَـنقُضُ الشُّـبُهَاتِ البَاطِلَةَ**»، و«**يُحَرِّرُ الأَجوبَـةَ الكَامِلَـةَ**»؛ حَتَّـى ضَـاقَ ذَرعُ خُصُـومِهِ؛ فَمَنَعُـوا عَنـهُ "**الأَقـلامَ**"، و"**الـدُّوَاةَ**"، و"**الأَورَاقَ**"، و"**الكُتُـبَ**"؛ فَكَـانَ يَكتُـبُ بـالفَحمِ عَـلَى الجُدرَانِ، والأَورَاقِ !! .

❑ ❑ ❑

قَالَ الحَافِظُ الإِمَامُ ابنُ عَبدِ الهَادي (ت٧٤٤) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«ولَا أَعلَمُ أَحَدًا مِن المُتَقَدِّمِينَ، ولا مِن المتَأَخِّرِينَ :

جَمَعَ مِثلَ مَا جَمَعَ، ولا صَنَّفَ نَحوَ مَا صَنَّفَ، ولا قَرِيبًا مِن ذَلكَ !.

مَعَ أَنَّ تَصَانِيفَهُ كَانَ يَكتُبهَا مِن حِفظِهِ، وكَتَبَ كَثِيرًا مِنهَا فِي الحَـبسِ، ولَـيسَ عِندَهُ مَا يَحتَاجُ إِلَيهِ، ويُرَاجِعُهُ مِن الكُتُبِ» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وعَامَّةُ مَا صَنَّفَهُ إِنَّمَا صَنَّفَهُ لـ "**حَاجَةٍ**" فِي زَمَانِهِ دَعَـت إِلَى تَصـنِيفِهِ، وغَالِبُهَـا "**انتِصَارٌ للحَقِّ**" فِي قَضَايَا جَلِيلَـةٍ كَسَـبِّ الرَّسُـولِ - صَـلَّى اللهُ عَلَيـهِ، وعَـلَى آلـهِ، وسَلَّمَ-، أَو رُدُودٌ عَـلَى "**مِلَـلٍ**"، و"**نِحَـلٍ**"، و"**فِـرَقٍ**"، و"**طَوَائـفَ**"، و"**أَعيَـانٍ**"،

(١) انظُر: «طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ الحَدِيثِ» (٤/ ٢٩٠) .

وشُرُوحُهُ عَلَى مُتُونِ العِلمِ نَادِرَةٌ جِدًّا، ككتَابِهِ الَّـذِي كَتَبَـهُ في أَوَّل عُمـرِهِ - ولَـم يُتِمَّهُ- «**شَرحُ العُمدَةِ**»، واللهُ أَعلَمُ[1].

❑ ❑ ❑

بَل في آخِرِ القِطعَةِ المَطبُوعَةِ مِن كِتَابِهِ «تَفسِيرَ آيَاتٍ أُشكِلَت عـلَى كَثِير مِـن العُلَمَاءِ» (٢/ ٧٠٤-٧٦١) فَصلٌ فِيـهِ في الـرَّدِّ عَـلَى الفِـرَقِ المُنحَرفَـةِ في (مَسأَلَةِ القُرآنِ)، وعُنوَانُهُ: "**قَاعِدَةٌ في القُرآنِ وكَلَامِ الله**".

وقَالَ الحَافِظُ الذَّهَبيُّ (ت):

«**قُلتُ: قَد سُجِنَ غَيرَ مَرَّةٍ؛ لِيَفتُرَ عَن خُصُومِهِ!، ويَقصُـرَ عَن بَسـطِ لِسَـانِهِ، وقَلَمِهِ، وهُوَ لا يَرجِعُ**[2]**!، ولا يَلوِي عَلَى نَاصحٍ، إِلَى أَن تُوُفِّيَ مُعتَقَلًا** بقَلعَةِ دِمَشقَ في العِشرين مِن ذِي القَعدَةِ سَنَة ثَمَانٍ وعِشرينَ وسَبعمَائةٍ، وشَيَّعَهُ أُمَـمٌ لا يُحصَـونَ إِلَى مَقَابرِ الصُّوفيَّةِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ، ورَحِمَهُ آمِينَ» انتَهَى[3].

❑ ❑ ❑

قَالَ الحَافِظُ الإِمَامُ ابـنُ عَبـدِ الهَـادي (ت) وَاصِـفًا "**وَفَـاةَ الشَّـيخ رَحِمَـهُ اللهُ بالقَلعَةِ، ومَا كَتَبَ بهَا قَبلَ مَوتِهِ**" مَا حَرفُهُ:

---

(١) وجَـزَمَ د. عَبـدُ السَّـلام الحُصَـيِّن في رسَـالتِهِ: «قَائمَـةٌ بمُؤلَّفَـات شَـيخ الإسـلَام المَطبُوعَة»: أَنَّ «شَرحَ العُمدَةِ» هُوَ المُصَنَّفُ الوَحيدُ المُستَثنَى مِن تَصَانيفِهِ، الخَارجُ عَن عَادَتِهِ في التَّأليفِ، ولَـم يُكمِلهُ، ممَّا يَدلُّ علَى انشِغَالِهِ عَنهُ بالتَّأليفِ الَّذِي يَستَهدِفُ نَفعَ المُجتَمَع مُبَاشَرَة، وحَلَّ قَضَايَاهُم الَّتي يَحتَاجُونَ إلَيهَا» انتَهَى بتَصَرُّفٍ.

(٢) تَأَمَّل هَذَا.

(٣) انظُر: «المُعجَمَ المُختَصَّ بالمُحدِّثين» (ص٢٦)

«ثُمَّ إِن الشَّيخَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بَقِيَ مُقِيمًا بالقَلعَةِ سَنَتَينِ، وثَلاثَةَ أَشهُرٍ، وأَيَّامًا، ثُمَّ تُوُفِّيَ إِلَى رَحمَةِ الله ورِضوَانِهِ–، **وما بَرِحَ في هَذِهِ المُدَّةِ مُكِبًّا على "العِبَادَةِ"، و"التِّلاوَةِ"، و"تَصنِيفِ الكُتُبِ"، و"الرَّدِّ عَلَى المُخَالِفِينَ"**[1].

وكَتَبَ عَلَى "**تَفسِيرِ القُرآنِ العَظِيمِ**" جُملَةً كَثِيرَةً تَشتَمِلُ نَفَائِسَ جَلِيلَةً، ونُكَتًا دَقِيقَةً، ومَعَانٍ لَطِيفَةً، وبَيَّنَ في ذَلِكَ مَوَاضِعَ كَثِيرَةً "**أَشكَلَت عَلَى خَلقٍ مِن عُلَمَاءِ أَهلِ التَّفسِيرِ**".

وكَتَبَ في المَسأَلَةِ الَّتِي حُبِسَ بِسَبَبِهَا عِدَّةَ مُجَلَّدَاتٍ مِنهَا كِتَابٌ في "الرَّدِّ عَلَى ابنِ الأَخنَائِيِّ" قَاضِي المَالِكِيَّةِ بِمِصرَ تُعرَفُ بـ"الأَخنَائِيَّةِ"[2].

ومِنهَا: كِتَابٌ كَبِيرٌ حَافِلٌ في "الرَّدِّ عَلَى بَعضِ قُضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ"[3]، **وأَشيَاءَ كَثِيرَةً في هَذَا المَعنَى**[4] – أَيضًا–» انتَهَى[5].

---

(١) تَأَمَّل هَذَا.

(٢) تَأَمَّل هَذَا !.

(٣) تَأَمَّل هَذَا !.

(٤) تَأَمَّل هَذَا !.

(٥) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّيَةَ» (ص٣٧٧).

وقَالَ المُؤَرِّخُ المِقرِيزِيُّ (ت٨٤٥) في كِتَابِهِ «المُقَفَّى الكَبِيرِ» (١/ ٤٦٨): «وكَتَبَ بخَطِّهِ مِن التَّصَانِيفِ، والتَّعَالِيقِ المُفِيدَةِ، والفَتَاوَى المُشبَعَةِ في الأُصُولِ، والفُرُوعِ، والحَدِيثِ، و"**رَدِّ البِدَعِ بالكِتَابِ، والسُّنَّةِ**"، **شَيئًا كَثِيرًا يَبلُغُ عِدَّةَ أَحمَالٍ**» انتَهَى.

جَمَعَ د. عَبدُ السَّلام بنُ إبرَاهِيم الحُصَيِّن رِسَالَةً عَنوَنَهَا بـ«**قَائِمَةٌ بِمُؤَلَّفَات شَيخ الإِسلَام المَطبُوعَة**» وصَلَ فِيهَا إِلَى (٢٩٨) مُصَنَّفًا مَطبُوعًا، وأَمَّا باعتِبَار مَا نُسِبَ إِلَى شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– مِن العَنَاوِينِ في مَصَادِرِ تَرجَمَتِهِ، وغَيرِهَا، سَوَاءً كَانَ مَطبُوعًا، أَو مَخطُوطًا، أَو مَفقُودًا؛ فَلَعَلَّ أَوسَعَ مَن جَمَعَهَا مُحَقِّقَا كِتَاب «الصَّارِمِ المَسلُول» (مُحَمَّد عبد الله =

وهَذَا "**الوَصفُ الدَّقيقُ**" كَافٍ في "**بَيَانِ جِهَادِ هَذَا الإِمَامِ العَظِيمِ**" ، وأَنَّهُ لَم يَندَم عَلَيهِ، أَو يَرجِعَ عَنهُ، بَل لازَال "**رَاكبًا فَرَسَهُ في سَبيلِ الله تَعَالى**"، "**لاَبسًا لأَمةَ الحَربِ**"، "**مُقبلًا غَيرَ مُدبرٍ**"، "**مَاضيًا فِيهِ**" إِلَى آخرِ حَيَاتِهِ - رَحِمَهُ اللهُ، ورَضِيَ عَنهُ، وأَسكَنَهُ الفِردَوسَ الأَعلَى - .

❑ ❑ ❑

=الحلوانيُّ، ومُحمَّد كَبير أحمد شُورَدي) في أَوَّل التَّحقيقِ (١/ ٧٠-١٥٢/ ط: دَار ابن حَزم/ ١٤١٧) في دِرَاسَةٍ جَمَعَا فيهَا أَكثَرَ مِن سَبعمائَةِ (٧٠٠) عُنوَانٍ، وانظُر: مُقَدِّمَة «**قَائمَةُ بمُؤَلَّفَات شَيخ الإسلَام المَطبُوعَة**»، واللهُ أَعلَمُ .

[أُمنِيَـةُ مُحِبٍّ آخـرَ]

وإِذَا فَـهِمـتَ أَيُّهَا المُوَفَّقُ مَـا سَـبَقَ فَهـمًا جَيِّـدًا؛ فَقَـد كَتَـبَ "**مُحِـبٌّ**" لشَـيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى– كَلمَةً غَفِلَ فِيهَا عَـن حَقيقَـةِ الحَـالِ، ومَـا صَارَ إِلَيهِ الـمَآلُ؛ أَلَا وهُوَ :

الإِمَامُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوكَانِيُّ (ت ١٢٥٠) – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى–؛ فِي قَولِهِ فِي تَرجَمَةِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى– :

«**والظَّاهِرُ أَنَّهُ لَو سَلِمَ مِـمَّا عَرَضَ لَهُ مِنَ المِحَنِ المُستَغرِقَةِ لأَكثَرِ أَيَّامِهِ، المُكَدِّرَةِ لِذِهنِهِ، المُشَوِّشَةِ لفَهمِهِ؛ لَكَانَ لَهُ مِنَ المُؤَلَّفَاتِ، والاجتِهَادَاتِ مَا لَـم يَكُـن لغَـيرِهِ**» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

قُلتُ : هَذَا "**كَلامُ مُحِبٍّ**"؛ يُمكِـنُ إِيضَاحُهُ مِن ثَلاثَةِ أَوجُهٍ :

الوَجهُ الأَوَّلُ:

أَنَّهُ لا يَخفَى أَنَّ العِلمَ مِنحَةٌ مِن اللهِ تَعَالى، وفَتحٌ عـلَى مَـن شَـاءَ اللهُ تَعَـالى لَـهُ ذَلكَ.

﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ﴾ [آل عمران] .

وقَد كَانَ لشَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى– مِـن الفَـتحِ المُبِـين، والبَرَكَةِ فِي العِلمِ، تَحقِيقًا، وتَصنِيفًا مَا هُوَ مِن الكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ[2] .

---

(١) انظُر : «البَدرَ الطَّالعَ بمَحَاسِن مَن بَعد القَرن السَّابع» (١/ ٧٢) .

(٢) وكَانَ مِن أَكبَرِ أَسبَاب هَذَا "**تَضَرُّعُهُ إِلَى اللهِ تَعَالى فِي خَلَوَاتِهِ**"؛ لِيَفتَحَ عَلَيهِ، و"**كَثرَةُ استِغفَارِهِ**"، قَالَ تِلمِيذُهُ ابنُ عَبدِ الهَادِي : «وكَانَ – رَحِمَهُ اللهُ– يَقُولُ: "**رُبَّمَا طَالعـتُ عـلَى الآيَـةِ الوَاحِدَةِ، نَحوَ مِائَةِ تَفسِيرٍ، ثُمَّ أَسأَلُ اللهَ الفَهمَ**"، وأَقُولُ: "**يَـا مُعَلِّـمَ آدَمَ، وإِبـرَاهِيمَ عَلِّمنـي**"، =

فمَعَ مَا بُلـيَ بِهِ مِن المِحَن العَظِيمَةِ، والسَّجنِ المُتكَرِّر؛ فقَد كَـانَ ذَلـكَ سَـبَبًا لفَتحٍ عَظِيمٍ جِدًّا لَـم يجِد مِثلَهُ في حَيَاتِهِ كُلِّهَا ! .

فَفُتِحَ عَلَيهِ في تَصنيفِ العِلمِ، وتحقيقِهِ مَا تمَنَّاهُ كَثيرٌ مِن كِبَارِ العُلَمَاءِ، وقَصُرُوا دُونَهُ .

وتَقَدَّمَ في أَوَّل الفَصلِ السَّادسِ: أَنَّهُ كَـانَ في حَبسِـهِ في القَلعَـةِ يَقُـولُ: "**لَـو بَذَلتُ مِلءَ هَذِهِ القَلعَةِ ذَهَبًا مَا عَدَلَ عِندِي شُكرَ هَذِهِ النِّعمَةِ**" .

أَو قَالَ: "**مَا جَزَيتُهُم علَى مَا تَسَبَّبُوا فِيهِ مِن الخَيرِ**" – ونَحو هَذَا–[1] .

وكَانَ يَقُولُ في سُجُودِهِ، وهُوَ محَبُوسٌ: "**اللهُمَّ أَعنِّي عَلَى ذِكـرِكَ، وشُـكرِكَ، وحُسنِ عِبَادَتِكَ**"، مَا شَاءَ اللهُ .

= **وكُنتُ أَذهَبُ إِلَى المَسَاجِدِ المَهجُورَةِ، ونَحوهَا، وأُمَرِّغُ وَجهـي في الـتُّرَاب، وأَسـأَلُ اللهَ تَعَـالَى، وأَقُولُ: "يَا مُعلِّمَ إِبرَاهِيمَ فَهِّمني"**» انتَهَى مِن «العُقُودِ الدُّرِّية» (ص٤٢)، وقَـالَ تِلمِيـذُهُ ابـنُ القَيِّم : «**وكَانَ شَيخُنَا إِذَا أَشكَلَت عَلَيهِ المسَائل، يَقُولُ: "يَا مُعَلِّـمَ إِبـرَاهِيمَ عَلِّمنِـي"، ويُكثِـرُ الاستَغَاثَةَ بِذَلكَ**» انتَهَى مِن «أَعلَام المُوقِّعِين» (٦/ ١٩٧) .

(١) وحَكَى مِثلَهُ تِلمِيذُهُ، وخَادِمُهُ **الشَّيخُ إِبرَاهِيمُ بنُ أَحمَدَ الغيَانيُّ** – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى– مَا جَرَى فِي محَبَسِهِ – وكَانَ مَعَهُ– إِلَى أَن قَالَ : «.. ورَكِبَ علَى بَاب الحَبسِ؛ فَقَالَ لَهُ إِنسَانٌ: (**يَـا سَيِّدِي هَذَا مَقَامُ الصَّبر !**)؛ **فَقَالَ لَهُ: "بَل هَذَا مَقَامُ الحَمدِ، والشُّكرِ !، واللهِ إِنَّهُ نَازِلٌ عـلَى قَلبـي مِن الفَرَح، والسُّرُورِ شَيءٌ؛ لَو قُسِمَ علَى أَهل الشَّام، ومِصـرَ لفَضُلَ عَـنهُم !، ولَـو أَنَّ مَعِـي في هَذَا المَوضِعِ ذَهَبًا، وأَنفَقتُهُ مَا أَدَّيتُ عُشـرَ هَذِهِ النِّعمَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا"**» انتهى مِن «نُبذَةٌ عَن آخِـر حَيَاة شَيخ الإِسلَام ابنِ تَيميَّة» (ص٣١-٣٢) .

ولـهَذَا كَانَ مِن أَفرَادِ الدُّنيَا في كَثرَةِ التَّصَانيفِ، وجَودَتِهَا .

وصَدَقَ اللهُ الرَّبُّ الأَكرَمُ؛ إِذ قَالَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت] .

❑ ❑ ❑

الوَجهُ الثَّاني :

كَانَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - آيَةً مِن آيَاتِ الله تَعَالَى البَاهِرَةِ في الإِسلَامِ، لا يَكَادُ يُسمَعُ بِمِثلِهِ في مَجْمُوعِهِ؛ حَتَّـى قَـالَ الإِمَـامُ الحَـافِظُ الجِهبـذُ أَبـو الحَجَّـاج المِـزِّيُّ (ت٧٤٢) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - : «**مَا رَأَيتُ مِثلَهُ !، ولَا رأَى هُوَ مِثـلَ نَفسِـهِ، ومَـا رَأَيتُ أَحَدًا أَعلَمَ بكتَابِ الله، وسُنَّةِ رَسُولِهِ، ولا أَتبَعَ لـهُمَا مِنهُ**» انتَهى[١] .

قَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ عَبدُ الرَّحمن ابنُ رَجَب (ت٧٩٥) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

«وكَانَ الحَافظُ أَبو الحَجَّاج المِزِّيُّ يُبَالِغُ في تَعظيم الشَّيخ، والثَّنَاءِ عَليهِ؛ حتَّـى كَانَ يَقُولُ: "**لَـم يُرَ مِثلُهُ مُنذُ أَربعمائةِ سَنَةٍ**" .

وبَلَغَني مِن طَرِيقٍ صَحيحٍ عَن ابنِ الزَّمَلكَانِيِّ: **أَنَّهُ سُئِلَ عَن الشَّـيخ**؛ فقَـالَ: "**لَـم يُرَ مِن خَمسمائةِ سَنَةٍ**، أَو أَربعمائةِ سَنَةٍ - الشَّكُّ مِن النَّاقِلِ، وغَالـبُ ظَنِّـهِ: أَنَّـهُ قَالَ: مِن خَمسمائةِ سَنَةٍ - **أَحفَظَ مِنهُ**"» انتَهى[٢] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ الإِمَامُ الإِمَـامُ جَمَـالُ الـدِّين يُوسُـفُ بـنُ مُحَمَّـدٍ العِبَـادِيُّ السُّـرَّمَرِّي (ت٧٧٦) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - في «أَمَالِيهِ» :

---

(١) انظُر: «الرَّدَّ الوَافِرَ» (ص٢٣٠)، و«شَذَراتِ الذَّهَب» (٨/ ١٤٧) .

(٢) انظُر: «ذَيلَ طَبَقَات الحنَابلَة» (٤/ ٥٠٣)، و«الرَّدَّ الوَافِرَ» (ص١٠٨)، و«شَذَراتِ الذَّهَب» (٨/ ١٤٧) .

«ومن عَجَائبِ مَا وَقع فِي الحِفظِ مِن أَهل زَمَاننَا :

أَنَّ ابنَ تَيمِيَّةَ كَانَ يَمُرُّ بِالكِتَابِ مُطَالعَةً - مَرَّةً -؛ فَيَنتَقِشُ فِي ذِهنِهِ، ويَنقُلُهُ فِي مُصَنَّفَاتِهِ بِلَفظِهِ، ومَعنَاهُ» انتَهَى[1] .

قَالَ إِبرَاهِيمُ ابنُ مُفلِحٍ (٨٨٤) : **«وأَمَدَّهُ اللهُ تَعَالَى بِكَثرَةِ الكُتُبِ، وسُرعَةِ الحِفظِ، وقُوَّةِ الإِدرَاكِ، والفَهمِ، وكَانَ بَطِيءَ النِّسيَانِ؛ حَتَّى ذَكَرَ جَمَاعَةٌ أَنَّهُ لَم يَكُن يَحفَظُ شَيئًا؛ فَينسَاهُ»** انتَهى[2] .

❑ ❑ ❑

قَالَ الحَافظُ ابنُ حَجَر (ت٨٥٢) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

«وكَانَ يتكَلَّمُ علَى المِنبَرِ على طَرِيقَةِ المُفَسِّرينَ مَعَ الفِقهِ، والحَدِيثِ؛ فيُورِدُ فِي سَاعَةٍ مِن الكِتَاب، والسُّنَّةِ، واللُّغَةِ، والنَّظَر، مَا لَا يقدر أَحَدٌ علَى أَن يُورِدهُ فِي عِدَّةِ مَجَالِسَ !، كَأَنَ هَذِه العُلُومَ بَينَ عَينَيهِ؛ يَأخُذُ مِنهَا مَا يَشَاءُ، ويَذَرُ» انتَهَى[3] .

❑ ❑ ❑

قَالَ الحَافظُ ابنُ عَبدِ الهَادي (ت٧٤٤) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

«ولَقَد أَخبرنِي الذَّهَبِيُّ عَن الشَّيخ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّهُ أَخبَرَهُ أَنَّ ابنَ دَقِيقِ العِيدِ قَالَ لَهُ بَعدَ سَماعِ كَلَامِهِ: **"مَا كُنتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ بَقِيَ يَخلُقُ مِثلَكَ !"»** انتَهَى[4] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر : «الدُّرَرَ الكَامنَة فِي أَعيَان المائة الثَّامنَة» (١/ ١٧٨) .

(٢) انظُر : «المَقصَدَ الأَرشَد فِي ذِكر أَصحَاب الإِمَام أَحمَد» (١/ ١٣٦) لِإِبرَاهِيمَ ابنِ مُفلحٍ (ت٨٨٤) .

(٣) انظُر : «الدُّرَرَ الكَامنَة فِي أَعيَان المائة الثَّامنَة» (١/ ١٧٩) .

(٤) انظُر : «العُقُودَ الدُّرِّية» (ص١٣٥) .

وسَأَلَ القَاضِي شَمسُ الدِّين ابنُ الدَّيرِيِّ[1] الشَّيخَ عَـلَاءَ الـدِّين البسـطَامِيَّ ببَيتِ المَقدِسِ: **هَل رَأَيتَ الشَّيخَ تَقِيَّ الدِّين ابنَ تَيميَّةَ ؟**.

فقَالَ: **نَعَم** .

قُلتُ: **كَيفَ كَانَت صِفَتُهُ ؟** .

فقَالَ: **هَل رَأَيتَ قُبَّةَ الصَّخرَةِ ؟** .

قُلتُ: **نَعَم** .

قَالَ: «**كَانَ كَقُبَّةِ الصَّخرَةِ مُلِىءَ كُتُبًا لَـهَا لِسَانٌ يَنطِقُ**» انتَهَى[2] .

هَذِهِ أَقرَبُ صِفَةٍ لابن تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- مَعَ مَا فَتَحَ اللهُ تَعَـالى عَلَيـهِ مِن سُرعَةِ التَّصنِيفِ الَّتِي لا يَكَادُ يُقَارِبُهُ فيهَا أَحَدٌ؛ فيَكتُبُ في «**جِلسَـةٍ**» مَـا يَحتَـاجُ النَّاسِخُ المَاهِرُ السَّرِيعُ في نَسخِهِ إِلَى نَحوِ «**أُسبُوعٍ**» ! .

هَذَا مَعَ الجَودَةِ العِلميَّةِ، والإِحسَانِ، والبَرَاعَةِ، والإِتقَانِ .

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة] .

❑ ❑ ❑

---

(١) وُلِدَ سَنَةَ (٧٥٥)، وتُوُفِّيَ سَنَةَ (٨٢٧) .

(٢) انظُر: «الجَوَاهِرَ والدُّرَرَ في تَرجَمَة شَيخ الإِسلَام ابن حَجَر» (١/ ١٧٧) للسَّخَاوِيِّ.

الوَجهُ الثَّالثُ :

تَقَدَّمَ فِي الفُصُولِ السَّابقَةِ، وسَيأَتي في الفَصل الآتي - إن شَاءَ اللهُ تَعَالَى - أَنَّ شَيخَ الإِسلامِ ابنَ تَيميَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - **كَانَ يَرَى أَنَّهُ قَد وَجَبَ عَلَيهِ الذَّبُ عَن الإِسلَام، وتَعَيَّنَ عَلَيهِ بعَينهِ الجِهَادُ فِي حِمَايَة الدِّين، وأَنَّهُ لا يَسَعُهُ تَركُ ذَلكَ، والاشتِغَالُ عَنهُ بغَيرِهِ .**

وكَانَ يُقَرِّرُ أَنَّ هَذَا العَمَلَ الَّذي يَقُومُ بِهِ مِن الرَّدِّ عَلَى أَهل البِدَعِ، والأَهوَاءِ مِن أَعظَمِ الجِهَادِ فِي سَبيلِ الله؛ ولِهَذا لا زَالَ يُدَافعُ بكُلِّ مَا أَمكَنَهُ عَن دِينِ الله، لا سِيَّمَا التَّصَانيفَ؛ وتَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ حَافظًا يُملي مِن حِفظِهِ .

وكَانَ يَرَى أَنَّ سَائر العُلُوم مَخدُومَةٌ، قَد أَكثَرَ النَّاسُ مِن التَّصنيفِ، والشُّرُوحِ فِيهَا، والخَطَأُ فيهَا قَريبٌ بخِلَافِ الاعتِقَادَاتِ؛ فَهِيَ مَزَلَّةٌ، وخَطَرٌ .

ولا يَكَادُ يَعرِفُ الحَقَّ فيهَا مِن المُتَأَخِّرينَ إِلَّا قَليلٌ .

ومَعَ هَذَا فَفي تَصَانيفِهِ **"اجتِهَادَاتُهُ العَظيمَةُ"** في جَميعِ أَبوَاب الدِّينِ؛ فَقَد كَانَ كَثيرَ الاستِطرَادِ ؛ فَاجتَمَعَ فِي رُدُودِهِ :

"عُلُومٌ غَزيرَةٌ"، و**"مَسَائلُ نَافعَةٌ"**، و**"تَحريرَاتٌ فَائقَةٌ"**، و**"اجتهَادَاتٌ رَائقَةٌ"**؛ **وحَصَلَ المَقصُودُ بأَحسَن الوُجُوهِ مَعَ حِفظِ "بَيضَةِ الدِّينِ"** .

فَجَزَى اللهُ خَيرًا الإِمَامَ مُحَمَّدَ بنَ عَليٍّ الشَّوكَانيَّ خَيرَ الجَزَاءِ، واللهُ أَعلَمُ .



الفَصْلُ الثَّامِنُ

استطَالَةُ أَهلِ البدَعِ في مُحَارَبَةِ كُتُبِ ابنِ تَيمِيَّةَ الرَّادَّةِ عَلَى أَبَاطِيلِهِم، وشُبُهَاتِهم (حَرقًا)، و(إتلَافًا)، و(عُقُوبَةً)، و(سَجنًا) لِـمَن تُوجَدُ عِندَهُ ! ومَا جَرَى مِن عَجِيب صُنعِ الله تَعَالَى في (حِفظِ) تُرَاثِ هَذَا الإمَام مَا هُوَ دَاخلٌ في "خَوَارقِ العَادَاتِ"، و"عَجيبِ الكَرَامَاتِ" !

الفَصْلُ الثَّامِنُ

استطَالَةُ أَهلِ البدَعِ في مُحَارَبَةِ كُتُبِ ابنِ تَيمِيَّةَ الرَّادَّةِ عَلَى أَبَاطِيلِهِم، وشُبُهَاتِهِم (حَرقًا)، و(إِتلَافًا)، و(عُقُوبَةً)، و(سَجنًا) لِـمَن تُوجَدُ عِندَهُ! ومَا جَرَى مِن عَجِيب صُنعِ الله تَعَالَى في (حِفظِ) تُرَاثِ هَذَا الإِمَام مَا هُوَ دَاخِلٌ في "خَوَارِقِ العَادَاتِ"، و"عَجيبِ الكَرَامَاتِ"!

يَحكِي الإِمَامُ الحَافِظُ النَّقَّادُ شَمسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَد ابنِ عَبدِ الهَادِي (ت٧٤٤) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- مَا عَانَاهُ تَلامِيذُ هَذَا الإِمَامِ مِن التَّروِيعِ، و(**الإِرهَابِ المُنَظَّم**)[1] عَلَيهِم، لا سِيَّمَا في مَا عِندَهُم مِن "**تَصَانِيفِ شَيخِ الإِسلام ابنِ تَيمِيَّةَ**"، و"**رُدُودِهِ**"؛ فَهِيَ "**جَرِيمَةٌ**"! تُوجِبُ عَظِيمَ العُقُوبَة عَلَى مَن تُوجَدُ عِندَهُ!.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾

[التوبة/ ٣٢].

فَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- :

---

(١) علَى تَعبيرَاتِ أَهل عَصرِنَا، ولَفظُ (الإرهَابِ) لَفظٌ يُتَعَمَّدُ إِجمَالُهُ؛ فَلَيسَ لَهُ حَدٌّ مُنضَبطٌ، ولا تَعريفٌ صَحيحٌ؛ وهَذَا أَمرٌ مَقصُودٌ!؛ لِيَكُونَ ثَوبًا يُلبِسُهُ أَعدَاءُ الدِّينِ مَن أَرَادُوا بَحقٍّ، أَو ببَاطِلٍ، وفي دِينِنَا الحَنيفِ **تَحريمُ الفَسَادِ في الأَرضِ، والنَّهيُ عَن الظُّلمِ، والاعتِدَاء**.

«وكَانَ يَكتُبُ الجَوَابَ؛ فَإِن حَضَرَ مَن يُبَيِّضُهُ، وإِلَّا أَخَذَ السَّائِلُ خَطَّهُ، وذَهَبَ .

ويَكتبُ قَوَاعِدَ كَثِيرَةً في فُنُونٍ مِن العِلم في الأُصُولِ، والفُرُوعِ، والتَّفسِيرِ، وغَير ذَلِك؛ فَإِن وُجِدَ مَن نَقَلَهُ مِن خَطِّهِ؛ وإِلَّا لَم يَشتَهر، ولَم يُعرَف ! .

ورُبَّمَا أَخَذَهُ بَعضُ أَصحَابهِ؛ فَلَا يَقدِرُ علَى نَقلِهِ، ولَا يَرُدُّهُ إِلَيهِ!؛ فَيذهَبُ .

وكَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: **قَد كَتَبتُ في كَذَا، وفي كَذَا** .

ويُسئَلُ عَن الشَّيءِ؛ فَيَقُولُ: **قَد كَتَبتُ في هَذَا؛ فَلَا يُدرَى أَينَ هُوَ ؟** .

فيَلتَفتُ إِلَى أَصحَابهِ، ويَقُولُ: **رُدُّوا خَطِّي، وأَظهِرُوهُ؛ لِيُنقَلَ** .

فَمِن حِرصِهِم عَلَيهِ، لَا يَرُدُّونَهُ !، ومِن عَجزهِم، لَا يَنقُلُونَهُ !؛ فَيَذهَبُ، ولَا يُعرَفُ اسمُهُ .

فلهَذِهِ الأَسبَاب، وغَيرهَا "تَعذَّرَ إِحصَاءُ مَا كتبَهُ"، و"مَا صَنَّفَهُ" .

ومَا كفَى هَذَا إِلَّا أَنَّهُ لَـمَّا حُبِسَ تَفَرَّقَ أَتبَاعُهُ، وتَفَرَّقَت كُتُبُهُ .

و[لَـمَّا] خَوَّفُوا أَصحَابَهُ مِن أَن يُظهِرُوا كُتبَهُ ذَهَبَ كُلُّ أَحَدٍ بِمَا عِندَهُ، وأَخفَاهُ، ولَم يُظهِرُوا كُتُبَهُ فَبَقِيَ هَذَا يَهرُبُ بِمَا عِندَهُ، وهَذَا يَبِيعهُ، أَو يَهبهُ، وهَذَا يُخفِيهِ، ويُودِعُهُ؛ حَتَّى إِنَّ مِنهُم مَن تُسرَقُ كُتُبُهُ !، أَو تُجحَدُ !؛ فَلَا يَستَطِيعُ أَن يَطلُبَهَا، ولَا يَقدِرُ علَى تَخلِيصهَا ! .

فبدُونِ هَذَا تتَمَزَّقُ الكُتُبُ، والتَّصَانيفُ ! .

ولَولَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى "لَطَفَ"، و"أَعَانَ"، و"مَنَّ"، و"أَنعَمَ"، وجَرَت العَادَةُ في "حِفظِ أَعيَانِ كُتُبهِ"، و"تَصَانِيفِهِ"؛ لَـمَا أَمكَنَ لأَحَدٍ أَن يَجمَعَهَا ! .

ولَقَد رَأَيتُ مِن "خَرقِ العَادَةِ" في "حِفظِ كُتُبِـهِ"، و"جَمعِهَـا"، و"إِصـلَاح مَـا فَسَدَ مِنهَا"، و"رَدِّ مَا ذَهَبَ مِنهَا" مَا لَو ذَكَرتُهُ؛ لَكَانَ عَجَبًا !![1].

يَعلَمُ بِهِ كُلُّ مُنصِفٍ أَنَّ لله "عنَايَةً بِهِ"، و"بكَلَامِهِ"؛ لأَنَّهُ يَذُبُّ عَـن سُـنَّةِ نَبيِّـهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ- تَحرِيفَ الغَالينَ، وانتِحَـالَ المُبطِلِـينَ، وتَأويـلَ الجَاهِلينَ» انتَهى[2].

❑ ❑ ❑

وقَالَ المُؤَرِّخُ أَحمَدُ بنُ عَليٍّ المِقريزيُّ (ت٨٤٥) :

«وأَكثَرُ مُصَنَّفَاتِهِ مُسَوَّدَاتٌ لَـم تُبَيَّض، وأَكثَـرُ مَـا يُوجَـدُ مِنهَـا الآنَ بأَيـدِي النَّاس قَليلٌ مِن كَثير؛ فَإِنَّه أُحرِقَ مِنهَا شَيءٌ كَثيرٌ !، ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله .

ومَعَ ذَلكَ قَالَ القَاضي الذَّهبيُّ: ولَعَلَّ تَصَانيفَهُ في هَذَا الوَقتِ تَكُـونُ أَربعَـةَ آلافِ كُرَّاسٍ، وأَكثَرَ، وفَسَّرَ كِتَابَ الله تعَالى مُدَّةَ سِـنِينَ مِـن صَـدرِهِ أَيَّـامَ الجُمَـعِ» انتَهى[3].

❑ ❑ ❑

وقَد نَصَحَ عَالِـمٌ بَصيرٌ، ونَاصِـحٌ مُشـفِقٌ تَلَامِيـذَ هَـذَا الإمَـامِ، وأَصـحَابَهُ بنَصِيحَةٍ مِن أَعظَمِ النَّصَائح في خُصُـوصِ المُحَافَظَـةِ عَـلَى تُـرَاثِ هَـذَا الإمَـامِ مِـن الضَّيَاعِ، والتَّضييعِ، والإِهمَالِ .

---

(١) وهَذَا مِن حِفظِ الله تَعَالى لِدِينِهِ، ونَصرِهِ، وكِفَايَتِهِ سُبحَانَهُ، وحُسنِ جَزَائِهِ، وهُوَ مِن عَجَائِبِ الكَرَامَات؛ فَمَعَ مَا يَصنَعُهُ أَعدَاءُ السُّنَّة مِن المُحارَبَـة العَظِيمَـةِ؛ يَـأبى الله تَعَـالى إِلَّا أَن يَحفَظَهَا، ويُظهِرَهَا .

(٢) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّية» (ص٨١-٨٢) .

(٣) انظُر: كتَابَهُ «المُقَفَّى الكَبير» (١/ ٤٦٨) .

أَلَا وهُوَ العَلَّامَةُ الزَّاهِدُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بـنُ أَحْمَـدَ ابـنِ مُـرِّيٍّ البَعلبَكـيُّ الحَنبليُّ (تُوفِّي بَعدَ سَنَةِ ٧٢٥)[1] - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى-؛ فكَتَبَ :

---

(١) [مِـحنَةُ ابنِ مُرِّيٍّ] كَانَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- في أَوَّل أَمرِهِ مُنحَرفاً عَن ابن تَيمِيَّةَ، ثُمَّ اجتَمَعَ بِهِ؛ فَأَحبَّهُ، وتَلمَذَ لَهُ، وكَتَبَ مُصَنَّفَاتِهِ، وكَانَ لَه دُرُوسٌ في بَعـض المَسَـاجِدِ بالقَـاهرَةِ؛ فَتَعَرَّضَ لَمسأَلَةِ الاستغَاثَةِ برَسُول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَـلَّمَ- في (سَـنَةِ ٧٢٥)؛ فَثَارَ عَلَيهِ جَمَاعَةٌ مِن الغَوغَاءِ، وضَرَبُوهُ، ثمَّ رَفَعُوهُ إِلَى السُّلطَانِ؛ فَتَمَكَّنَ مِنـهُ القَـاضِي المَـالكي الأَخنَائيُّ !؛ فَضَـرَبَهُ؛ حَتَّى أَدمَوهُ !، ثُمَّ سُجِنَ، ثُمَّ رُحِّل بأَهلِهِ إِلَى الخَليل؛ فَبَقِيَ دَاعِيًـا إِلَى الله؛ حَتَّى مَاتَ .

قَالَ الحَافظُ ابنُ كَثِـيرٍ في «البدَايَـةِ والنِّهَايَـة» (١٤/ ١٣٥): «وعَـزَّرَهُ القَـاضي المَـالكيُّ بسَبب الاستغَاثَةِ، وحَضَرَ المَذكُورُ بَينَ يَدَي السُّلطَانِ، وأَثنَى عَلَيهِ جـمَاعَةٌ مِن الأُمَـرَاءِ؛ فَسُـفِّرَ إِلَى الشَّامِ بِأَهلِهِ؛ فَنَزَلَ بِبِلَادِ الخَلِيلِ، ثُمَّ انتـزَحَ إِلَى بِـلَادِ الشَّـرقِ، وأَقَـامَ بِسِـنجَارَ، ومَـارِدِينَ، ومُعَامَلَتِهِمَا يَتَكَلَّمُ، ويَعِظُ النَّاس إِلَى أَن مَاتَ» انتَهَى .

وقَالَ ابنُ حَجَر - وَاصِفًا مَا جَرَى- : «فَضَـربهُ بِحَضـرَتِهِ ضَربًا مُبرحاً؛ حَتَّى أَدمَـاهُ !، ثمَّ شَهَرَهُ علَى حِمَار أَركَبَهُ مَقلُوباً!، ثُمَّ نُودي عَلَيهِ: (هَذَا جَزَاء مَن يتَكَلَّم في حَقِّ رَسُول الله) !!؛ فَكَادَت العَامَّة تَقتُلُهُ؛ ثُمَّ أُعِيد إِلَى السِّجن، ثُمَّ شُفِعَ فِيهِ؛ فَآلَ أَمرُهُ إِلَى أَن سُـفِّرَ مِـن القَـاهِرَة إِلَى الخَلِيل؛ فَرَحَلَ بأَهلِهِ، وأَقَامَ بِهِ، وتَرَدَّدَ إِلَى دِمَشقَ، ومِن الاتِّفَاقيَّـاتِ أَنَّ شَخصًـا يُقَـالُ لَـهُ ابـنُ شَاسٍ، حَضَرَ دَرساً؛ فَانجَرَّ البَحثُ إِلَى أَن صَوَّبَ مَا نُقِـلَ عَـن ابـن مُـرِّي في مَسـأَلَة التَّوَسُّـل؛ فَوَثَبَ بِهِ جَمَاعَةٌ، وحَمَلُوهُ إِلَى القَاضِي المَالِكِيِّ المَذكُورِ، وشَهِدَ عَلَيهِ جَمعٌ كَبِيرٌ؛ فدَافَعَ عَنهُ القَاضِي فَجَهِدُوا بِهِ أَن يَفعَلَ مَعَه مَا فَعَلَ بِابن مُرِّي، أَو بَعضِهِ!؛ فَلَم يَفعَل فنُسِبَ إِلَى التَّعَنُّت في ذَلِكَ !؛ حَتَّى قَالَ فِيهِ البُرهَانُ الرَّشيديُّ :

يَـا حَاكِمـًا شَـيَّدَ أَحكَامَـهُ ... عـلَى تُقَـى اللهِ وأَقـوَى أَسَـاس
مَقَالَـةٌ في ابـن مُـرِّي لُفِّقَـت ... تَجَـاوَزَت في الحَـدِّ حَـدَّ القِيَـاس
فَفِـي ابـن شَـاسٍ قَـطُّ مَـا أَثَّـرَت! ... فَهَل أَبَاحَ الشَّرعُ كُفـرَ ابـنِ شَـاس؟
=

«.. ويُخشَى دُروسُ كَثيرٍ مِن عُلُومِهِ المتفرِّقةِ الفَائقَةِ، معَ تَكَرُّرِ مُرُورِ اللَّيَـالي، والأَيَّام؛ فالطَّريقُ في حقِّهِ :

هُوَ الاجتِهَادُ العَظِيمُ علَى كِتَابةِ مُؤَلَّفَاتِه الصِّغَار، والكِبَارِ علَى جَلِيَّتِهَا مِن غَيرِ تَصَرُّفٍ فيهَا، ولا اختِصَارٍ، ولَو وُجِدَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن التَّكرَارِ .

ومُقَابَلَتُهَا، وتَكثِيرُ النُّسَخِ بهَا، وإشَاعَتُهَا، وجَمعُ النَّظَائر، والأَشـبَاهِ في مَكَـانٍ وَاحِدٍ، واغتِنَامُ حَيَاةِ مَن بَقِيَ مِن أَكَابرِ الإخوَانِ .

فَكَأَنَّنا جَمِيعًا بِكَمَالِ الفَوتِ وقَد حَانَ، ويَكفِينَا مَا عِندَنَا عـلَى مَـا فَرَّطنَـا مِـن عَظيمِ الأَسَفِ .

فلِوَجهِ الله ! مَعشَرَ الإخوَانِ :

لا تُعَامِلُوا الوَقتَ الحَاضِرَ بِمَا عَامَلتُم بِهِ الوَقتَ الَّذِي قَد سَلَفَ .

فَإِنَّ حَيَاتَهُ - رَحِمَهُ اللهُ، ورَضيَ عَنهُ- **كَانَـت مَأمُولَـةً لاستِدرَاكِ الفَارطَـاتِ الفَائتَاتِ، وتَكمِيلِ الغَايَاتِ، والنِّهَايَاتِ .**

فَاغتَنِمُوا تَحصِيلَ كُلِّ مُهِمَّةٍ في وَقتِها بلَا كَسَـلٍ، ولا مَلَـلٍ، ولا تَشَـاغُلٍ، ولا بُخلٍ؛ لأَنَّ هَذَا المُهِمَّ الكَبيرَ أَحَقُّ شَيءٍ يُبذَلُ في تَحصِيلِهِ المَالُ الكَثِيرُ[1] .

وقَد عَلِمتُم مَضَرَّةَ التَّعلِيلِ، والتَّسويفِ، وكَونِ ذَلكَ مِن أَكبَرِ القَوَاطـعِ عَـن مَصَالح الدُّنيا والآخِرَةِ .

فَـاحتَفِظُوا بالشَّـيخ أَبي عَبـدِ الله - أَيَّـدَهُ اللهُ - وبِـمَا عِنـدَهُ مِـن الـذَّخَائر، والنَّفَائس، وأَقيمُوهُ لهذَا المُهِمِّ الجَلِيلِ بأَكثَر مَا تَقدرونَ عَلَيهِ، ولَـو تَأَلَّـمتُم أَحيَانًـا

= وانظُر: «الدُّرَرَ الكَامنَة في أَعيَان المائة الثَّامنَة» (١/ ٣٥٨) .

(١) اللهُ أَكبَرُ .

مِن مُطَالبَتِهِ؛ لأَنَّهُ قَد بَقِيَ فِي فَنِّه فَرِيدًا، ولا يَقُومُ مَقَامَهُ غَيرُهُ مِن سَائر الجَمَاعَةِ عَلَى الإطلَاقِ .

فاكتُبُوا مَا عِندَهُ، وليَكتُب مَا عِندَكُم .

إِلَى أَن قَالَ :

«وإنَّ مِمَّا أَحُثُّ هِمَمَكُم الصَّالحةَ عَلَيهِ: تَحصِيلُ كَرَاريسِ «**الرَّدِّ عَلَى عَقَائد الفَلَاسِفَةِ**»؛ لأَنَّهُ لَيسَ فِي الوُجُودِ بِهَذا المُؤَلَّفِ نُسخَةٌ كَامِلَةٌ غَيرُ النُّسخَة الَّتي بخَطِّي، وكَانَت فِي الخرستَان الشَّمَالِي مِن مَدرَسَةِ شَيخِنَا، وأَخبَرَنِي الشَّيخُ شَرَفُ الدِّين - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - أَنَّه أَودَعَ المَجمُوعَ فِي مَكَانٍ حَرِيز، وقَد شَحَّ عَلَيَّ بإنفَاذِ هَذِهِ الكَرَاريسِ وَقتَ الذَّهَاب إِلَى الشَّام، ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله، والكُرَّاسُ الرَّابعُ مِنهَا أَخَذَهُ أَبو عَبدِ الله مِن يَدِي، وهُوَ عِندَهُ، ونُسخَةُ الأَصل الَّتِي بخَطِّ الشَّيخِ هِيَ فِي القَطعِ الكَبِير، وكَانَت هُنَاكَ أَيضًا، وقَد بَقِيَ مِن آخِر نُسخَتِي أَقَلُّ مِن وَرَقَةٍ، فَأَوصِلُوا ذَلكَ إِلَى أَبِي عَبدِ الله، ليُكمِلَ النُّسخَةَ إلى عِندِ قَولِهِ: «فَهَذَا بَابٌ، وذَاكَ بَابٌ، والله أَعلَمُ بالصَّوَابِ».

وللطُّوَيسِيِّ نُسخَةٌ بخَطٍّ كَيِّسٍ، وكَمَّلُوهَا؛ **لأَنَّهُ مُؤَلَّفٌ، لا نَظِيرَ لَهُ، ولا يَكسِرُ الفَلَاسِفَةَ مِثلُهُ** .

إِلَى أَن قَالَ :

«**وهَذِهِ الأُمُورُ الَّتِي قَد أَشَرتُ إِلَيهَا فِي هَذِهِ الأَورَاق الخَفِيفَةِ هِيَ أَغلَى أَبوَابِ النَّصِيحَةِ**[1]**، وأَتَمُّهَا فيمَا أَعلَمُ**؛ لأنَّ الذَّاهِبَ مَضَى، والوَقتَ سَيفٌ مُنتَضَى،

(١) وصَدَقَ؛ لِمَا فِيهَا مِن حِفظٍ لتُرَاثٍ عَزَّ نَظِيرُهُ في نَفعِ الإِسلامِ .

وكُلُّ مَن ذَهَبَ بَعدَهُ مِن أَكَابر الإِخوَانِ مَا عَنهُ عِوَضٌ، والدَّهرُ في إدبَار، والشُّرُورُ في زِيَادَةٍ .

وإذَا جُمِعَت هَذهِ المُؤَلَّفَاتُ العَزيزَةُ الكَثِيرَةُ، ونُقِلَ مِن المُسَوَّدَات مَا لَـم يُنقَل، وقُبِلَ رَأيُ أَبِي عَبدِ الله [1] في ذَلكَ كُلِّهِ؛ **لأَنَّهُ علَى بَصِيرَةٍ مِن أَمرِهِ، وهُوَ أَخبَرُ الجَمَاعَـة بمظَانِّ المَصَالح المُفرَدَةِ الَّتِي قَد انقَطَعَت مَادَّتُهَا**، وقُوبِلَ كُلُّ مَا يُكتَـبُ مَـعَ أَصـلَحِ الجَمَاعَةِ، أَو عَلَى نُسخَةِ الأَصل .

ورُوجِعَ شَيخُنَا الحَافِظُ جَمَالُ الدِّينِ [2] الَّذِي هُوَ بَقِيَّةُ الخَـير لِثِقَتِـهِ، وخِبرَتِـهِ، وشَفَقَتِهِ، وتَحَرُّقِهِ علَى ظُهُور هَـذِهِ المَـوَادِّ الصَّـالحَةِ في الوُجُـودِ [3] ، ولسَـعَة عِلمِـهِ، وإحَاطَتِهِ بكَثير مِن مقَاصِدِ شَيخنَا المُؤَلِّفِ [4] .

ورُوجِعَ الشَّيخَانِ العَالِـمَانِ، الفَاضِلَانِ المُحَقِّقَانِ: شَرَفُ الدِّين [5] ، وشَـمسُ الدِّينِ ابنُ أَبِي بَكرٍ [6] ؛ فَـإِنَّهُمَا أَحـذَقُ الجَمَاعَـة عَـلى الإطـلَاق في المَنَـاهجِ العَقليَّـةِ، وغَيرهَا، وأَذكَـرُهُم للمَبَاحِـثِ الأُصُـوليَّةِ، فـيمَا يَشـتَبِهُ مِـن المَقَاصِـدِ خَوفًـا مِـن التَّصحِيفِ، وتَغيير بَعضِ المَعَاني، ورُوجِعَ غَيرُهُم مِن أَكَابر الجَمَاعَةِ - أَيضًا-، كَانَ في ذَلكَ خَيرٌ كَثيرٌ، واستِدرَاكٌ كَبيرٌ - إن شَاءَ اللهُ تَعَالى-» .

إِلى أَن قَالَ :

---

(١) هُوَ ابنُ رُشَيِّقٍ كَاتِبُ الشَّيخِ، المُتَقَدِّمِ ذِكرُهُ .

(٢) الإِمَامُ الحَافِظُ المِزِّيُّ .

(٣) اللهُ أَكبَرُ .

(٤) وهَذِهِ شَهَادَةٌ مِن العَلَّامَة ابنِ مُرِّي للحَافظِ المِزِّيِّ بحُسنِ العَقيدَةِ، والطَّريقَةِ .

(٥) لَـم يَتَحقَّق لي - الآنَ- .

(٦) الإِمَامُ ابنُ القَيِّم .

«فَإن يَسَّرَ اللهُ تَعَالى، وأَعَانَ علَى هَذِهِ الأُمُور العَظِيمَةِ صَارَت – إن شَاءَ اللهُ تعَالى – **مُؤَلَّفَاتُ شَيخِنَا ذَخِيرَةً صَالِحَةً للإِسلَام، وأَهلِهِ، وخِزَانَةً عَظِيمَةً لمَن يُؤَلِّفُ مِنهَا، ويَنقُلُ، ويَنصُرُ الطَّرِيقَةَ السَّلَفِيَّةَ عَلَى قَوَاعِدِهَا، ويَستَخرِجُ، ويَختَصِرُ إلى آخِرِ الدَّهرِ** – إن شَاءَ اللهُ تَعَالى –»[1] ...

وكمَا انتَفَعَ الشَّيخُ بكَلَام الأَئمَّةِ قَبلَهُ؛ فكَذَلكَ يَنتَفِعُ بكَلَامِهِ مَن بَعدَهُ – إن شَاءَ اللهُ تَعَالى – .

فاتَّبِعُوا أَمرَ الله، واقصِدُوا رِضَا الله بجَمعِ كُلِّ مَا تَقدِرُونَ عَلَيهِ مِن أَنوَاع المُؤَلَّفَاتِ الكِبَار، وأَشتَاتِ المَسَائل الصِّغَار، ومِن نُسَخِ الفَتَاوَى المتَفَرِّقَة، وسَائر كَلَامِهِ الَّذي قَد مُلِئَ، ولله الحَمدُ مِن الفَوَائِدِ، والفَرَائِدِ، والشَّوَارِدِ .

فَأَيقِظُوا الهِمَمَ، وابذُلُوا المُوَال الكَثِيرَة في تَحصِيل هَذَا المَطلَب العَظِيم الَّذِي لا نَصِيرَ لَهُ، فَهَذا هُوَ الَّذِي يَلزَمُنَا مِن حَيثُ الأَسبَابِ .

والتَّمَامُ علَى رَبِّ الأَربَابِ، ومُسَبِّب الأَسبَاب، وفَاتِح الأَبوَاب، الَّذِي يُقِيمُ دِينَهُ، ويَنصُرُ كتَابَهُ، وسُنَّةَ نَبِيِّه علَى الدَّوَام، ويُثَبِّتُ مَن يُؤَهِّلُهُ لذَلكَ مِن أَنوَاعِ الخَاصِّ، والعَامِّ[2] ، وكُلٌّ مَجزِيٌّ فِي القِيَامَةِ بعَمَلِهِ، ومَا رَبُّك بظَلَّامٍ للعَبِيدِ .

---

(١) وهَذَا هُوَ الَّذي تَحَقَّقَ؛ حَتَّى قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ أَحمَدُ بنُ رَاشِدِ بنِ طَرخَانَ المَلكَاويُّ الشَّافعيُّ (ت٨٠٣) – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى – : «**ومَعَ ذَلكَ فَوَ الله إنَّ الشَّيخَ تَقِيَّ الدِّين ابنَ تَيمِيَّةَ شَيخُ الإِسلَام، ولَو دَرَوا مَا يَقُولُ لرَجَعُوا إلى مَحبَّتِهِ، ووَلائِهِ، وكمَا قَالَ: "كُلُّ صَاحِب بِدعَةٍ، ومَن يَنتَصِرُ لَهُ؛ لَو ظَهَرُوا لَا بُدَّ مِن خُمُودِهِم، وتَلاشِي أَمرِهِم"؛ وهَذَا الشَّيخُ تَقِيُّ الدِّين ابنُ تَيمِيَّةَ كُلَّمَا تَقَدَّمَت أَيَّامُهُ تَظهَرُ كَرَامَتُهُ، ويَكثُرُ مُحِبُّوهُ، وأَصحَابُهُ، أَو كَمَا قَالَ**» انتَهى مِن «الرَّدِّ الوَافِرِ» (ص١٤٠-١٤١) .

(٢) اللهُ أَكبَرُ .

وقَد عُلِمَ أنَّ الإمَامَ أَحمَدَ بنَ حَنبَل كَانَ يَنهَى في حَال حَيَاتِهِ عَن كتَابَة كَلَامِهِ؛ **لِيَجمَعَ القُلُوبَ علَى المَادَّةِ الأَصليَّةِ العُظمَى**، ولَـمَّا تُـوفِّيَ استَدرَكَ أَصحَابُهُ ذَلِكَ الأَمرَ الكَبيرَ؛ فنَقَلُوا عِلمَهُ، وبَيَّنُوا مَقَاصِدَهُ، وشَهَرُوا فَوائدَهُ، فَانتَصرَت طَرِيقَتُهُ، واقتُفِيَت آثَارُه؛ لأَجل ذَلكَ، والوُجُودُ هُوَ علَى هَذِهِ الصِّفَةِ قَدِيمًا، وحَدِيثًا .

فَلا تَيأَسُوا مِن قَبُولِ القُلُوب القَرِيبَةِ، والبَعيدَةِ لكَلامِ شَيخِنَا؛ فَإِنَّه ولله الحَمدُ مَقبُولٌ طَوعًا، وكَرهًا، وأَينَ غَايَاتُ قَبُولِ القُلُوب السَّليمَة لكَلِمَاتِـهِ، وتَتَبُّـع الهِمَـم النَّافذَة لمبَاحِثِهِ، وتَرجيحَاتِهِ .

ووالله - إِن شَاءَ - اللهُ لَـيُـقِـيمَـنَّ اللهُ سُبحَانَهُ لِنَصرِ هَذَا الكَلَامِ، ونَشرِهِ، وتَدوينِهِ، وتَفَهُّمِهِ، واستِخرَاجِ مَقَاصِدِهِ، واستِحسَانِ عَجَائبِهِ، وغَرَائبِهِ، رِجَالًا هُم إِلَى الآنَ في أَصلَابِ آبَائهِم !![1] .

وهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ الله الجَارِيَةُ في عِبَادِهِ، وبلَادِهِ، والَّذِي وَقَعَ مِن هَذهِ الأُمُور في الكَونِ لا يُحصَي عَدَدُهُ غَيرَ الله تعَالى.

ومِن المَعلُوم أَنَّ البُخَاريَّ مَعَ جَلَالَة قَدرِهِ أُخرِجَ طَرِيدًا، ثُمَّ مَاتَ بَعدَ ذَلِكَ غَرِيبًا، **وعَوَّضَهُ اللهُ سُبحَانَه عَن ذَلكَ بمَا لا خَطَرَ في بَالِهِ، ولا مَرَّ في خَيَالِهِ، مِن عُكُوفِ الهِمَمِ علَى كِتَابِهِ، وشِدَّةِ احتِفَالِهَا بِهِ، وتَرجِيحِهَا لَهُ علَى جَميعِ كُتُب السُّنَن، وذَلكَ لكَمَالِ صِحَّتِهِ، وعَظَمَةِ قَدرِهِ، وحُسنِ تَرتِيبِهِ، وجَمعِهِ، وجَمِيلِ نِيَّةِ مُؤَلِّفِهِ، وغَيرِ ذَلكَ مِن الأَسبَابِ .**

---

(١) وقَد تَحقَّقَ هَذَا، **وأَبَرَّ الله يَمِينَ هَذَا الرَّجُل الصَّالحِ**؛ فَلَو قِيلَ: إِنَّهُ لَـم يُخدَم تُـرَاثُ عَالِـمٍ بِمِثلِ مَا خُدِمَ بِهِ تُرَاثُ هَذَا الإِمَامِ؛ لَكَانَ حَقًّا لا يُمتَرى فِيهِ، وكَفَى بذَلكَ كَرَامَةً .

ونَحنُ نَرجُو أَن يَكُونَ لمُؤلَّفَات شَيخِنَا أَبي العَبَّاس مِن هَذِهِ الوِرَاثَةِ الصَّـالِحَةِ نَصيبٌ كَثيرٌ – إن شَاءَ اللهُ تَعَالى–؛ لأَنَّهُ كَانَ بَنَى جُملَةَ أُمُورِهِ عَلَى الكِتَاب، والسُّـنَّة، ونُصُوصِ أَئمَّة سَلَفِ الأُمَّةِ .

وكَانَ يَقصِدُ **"تَحريرَ الصِّحَّةِ بكُلِّ جُهدِهِ"**، و**"يَـدفَعُ البَاطِـلَ بكُـلِّ مَـا يَقـدِرُ عَلَيهِ"، لا يَهَابُ مُخَالَفَةَ أَحَدٍ مِن النَّاسِ في نَصرِ هَذِهِ الطَّريقَةِ، وتَبيينِ الحَقِيقَةِ** .

وقَد عُلِمَ أَنَّ لكُتُبِهِ مِن "الخُصُوصيَّةِ"، و"النَّفـعِ"، و"الصِّـحَّة"، و"البَسـطِ"، و"التَّحقِيـقِ"، و"الإتقَـان"، و"الكَـمَال"، و"تَسـهيل العبَـارَات"، و"جَمـع أَشـتَات المتَفَرِّقَات"، و"النُّطقِ في مَضَايق الأَبوَاب"، بحَقَائق "فَصـل الخِطَـاب"، مَـا لَـيسَ لأَكثَر المُصَنِّفِينَ في أَبوَاب "مَسَائل أُصُولِ الدِّين"، وغَيرِهَا مِن مَسَائل المُحَقِّقِينَ .

لأَنَّهُ كَانَ **يَجعَلُ النَّقلَ الصَّحِيحَ أَصلَهُ، وعُمدَتَهُ في جَميـعِ مَـا يَبنـي عَلَيـهِ، ثُـمَّ يَعتَضِدُ بالعَقليَّاتِ الصَّحِيحَةِ الَّتي تُوَافِقُ ذَلكَ** بغيها .

ويَجتَهدُ علَى دَفع كُلِّ مَا يُعَارِضُ ذَلكَ مِن شُبَهِ المَعقُولَات، ويَلتَزمُ حَـلَّ كُـلِّ شُبهَةٍ كَلامِيَّةٍ، وفَلسَفِيَّةٍ كمَا تَقَدَّمَت الإشَارَةُ إلى ذَلكَ» .

قَالَ :

«**وكَانَ** – رَحِمَهُ اللهُ، ورَضيَ عَنهُ– **يَذُبُّ عَن الشَّريعَة، ويَحمِـي حَـوزَةَ الـدِّين بكُلِّ مَا يَقدرُ عَلَيهِ** .

وكَانَ كمَا عُلِمَ مِن حَالِهِ لا يَخَافُ في هَذا البَـابِ لَومَـةَ لَائـم، ولا يَنثَنـي عـمَّا يَتَحَقَّقُ عِندَهُ، ولَـم يَزَل علَى ذَلكَ إلى أَن قَضَـى نَحبَهُ، ولَقِيَ رَبَّهُ[١] .

---

(١) والجَزَاءُ مِن جِنس العَمَلِ .

فقَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ، ونَـوَّرَ ضَريحَـهُ، ونَصَـرَ مَقَاصِـدَهُ، وأَيَّـدَ قَوَاعِـدَهُ، واللهُ سُبحَانَه يَعلَمُ حُسنَ قَصدِهِ، وصِحَّةَ عُلُومِهِ ورُجحَانَ دَلِيلِـه، وهُـوَ نَـاصِرُ الحَـقِّ، وأَهلِهِ، ولَو بَعدَ حِينٍ» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظُر: «الجَامع لسِيرَة ابن تَيميَّة» (ص١٥٢-١٥٨).

الفَصْلُ التَّاسِعُ

[مُحَارَبَةُ الأَرْوَاحِ الشَّيطَانِيَّةِ لابنِ تَيمِيَّةَ]

الفَصْلُ التَّاسِعُ

[مُحَارَبَةُ الأَرْوَاحِ الشَّيطَانِيَّةِ لابنِ تَيمِيَّةَ]

قَالَ الإمَامُ ابنُ القَيِّم - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«وكَانَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ - **إِذَا اشتَدَّت عَلَيهِ الأُمُورُ: قَرَأَ آيَاتِ السَّكِينَةِ** .

وسَمِعتُهُ يَقُولُ في وَاقِعَةٍ عَظِيمَةٍ[1] **جَرَت لَهُ في مَرَضِهِ، تَعجِزُ العُقُولُ عَن حَملِهَا - مِن مُحَارَبَةِ أَروَاحٍ شَيطَانِيَّةٍ**[2] **، ظَهَرَت لَهُ؛ إِذ ذَاكَ في حَالِ ضَعفِ القُوَّةِ**[3] - قَالَ :

"فَلَمَّا اشتَدَّ عَلَيَّ الأَمرُ، قُلتُ لأَقَارِبِي، ومَن حَولِيَ: اقرَءُوا آيَاتِ السَّكِينَةِ" .

قَالَ: **"ثُمَّ أَقلَعَ عَنِّي ذَلِكَ الحَالُ، وجَلَستُ ومَا بِي قَلَبَةٌ"** .

وقَد جَرَّبتُ أَنَا - أَيضًا- **قِرَاءَةَ هَذِهِ الآيَاتِ عِندَ اضطِرَابِ القَلبِ بِمَا يَرِدُ عَلَيهِ** .

فَرَأَيتُ لَهَا تَأثِيرًا عَظِيمًا في سُكُونِهِ، وطُمَأنِينَتِهِ» انتَهى[1] .

---

(١) ذَكَرَهَا العَلَّامَةُ شِهَابُ الدِّينِ ابنُ مُرِّي الحَنبليِّ، واشتَهَرت قَرِيبًا، وظَهَرَت عَن مَخطُوطٍ مِن آيَا صُوفيا (١٥٩٦) (مجمُوع ابنِ الحَبَّال – الأَوراق ١٤٩-١٥٣)، لَم يَتَيَسَّرـ الآنَ الوُقُوفُ عَلَيهَا، وإِدرَاجُهَا .

(٢) وهِيَ (٧٣) عِفرِيتًا لإِهلاكِهِ .

(٣) أَي: مَرَضٍ .

قَالَ الإمَامُ ابنُ القَيِّم - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«وقَد ذَكَرَ اللهُ سُبحَانَهُ "السَّكِينَةَ" في كِتَابِهِ في سِتَّةِ مَوَاضِعَ :

الأَوَّلُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة/٢٤٨] .

الثَّانِي: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/٢٦] .

الثَّالِثُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة/٤٠] .

الرَّابِعُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح] .

الخَامِسُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح] .

السَّادِسُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح/٢٦] الآيَـــــةَ» انتَهى[٢] .

❑ ❑ ❑

=

(١) انظُر: «مَدارِجَ السَّالكِين» (٢/ ٤٧١) .

(٢) انظُر: «مَدارِجَ السَّالكِين» (٢/ ٤٧٠-٤٧١) .

الفَصْلُ العَاشِرُ

[سُؤَالُ تِلمِيذِهِ البَزَّارِ وجَوَابُ ابنِ تَيميَّةَ]

الفصل العاشر

[سُؤَالُ تِلمِيذِهِ البَزَّارِ وجَوَابُ ابنِ تَيميَّةَ]

مَا تَقَدَّمَ في "**عُنوَانِ الكِتَابِ**" مِن السُّؤَالِ هُوَ مَضمُونُ مَا سَأَلَهُ تِلمِيذُهُ البَارُّ العَلَّامةُ عُمَرُ بنُ عَليٍّ البَزَّارُ البَغدَاديُّ (ت٧٤٩) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-؛ فَقَالَ :

«**ولَقَد أَكثَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- التَّصنِيفَ في الأُصُولِ فَضلًا عَن غَيره من بَقِيَّة العُلُوم؛ فَسَأَلتُهُ عَن سَبَب ذَلِكَ ؟ .**

والتَمَستُ مِنهُ تَأليفَ نَصٍّ في الفِقهِ يَجمَعُ اختِيَارَاتِهِ، وتَرجِيحَاتِهِ؛ ليَكُون عُمدَةً في الإفتَاءِ»[1] .

فَقَالَ لي مَا مَعنَاهُ :

«**الفُرُوعُ أَمرُهَا قَريبٌ، و[مَتَى] قَلَّدَ المُسلِمُ فِيهَا أَحَدَ العُلَمَاء المُقَلَّدِينَ، جَازَ لَهُ العَمَلُ بقَولِهِ مَا لَم يتَيَقَّن خَطَأَهُ .**

وأَمَّا الأُصُولُ: فَإِنِّي رَأَيتُ أَهلَ البِدَع، والضَّلالاتِ، والأَهوَاءِ، كَـ"المُتَفَلسِفَة"، و"البَاطنيَّة"، و"المَلَاحِدَة"، و"القَائِلِينَ بوِحدَة الوُجُودِ"، و"الدُّهريَّةِ"، و"القَدَريَّةِ"، و"النُّصَيريَّةِ"، و"الجَهميَّةِ"، و"الحُلُوليَّةِ"، و"المُعَطِّلَة"،

(١) هَذَا السُّؤَالُ، والطَّلَبُ .

و"المُجَسِّمَةِ"، و"المُشَبِّهَةِ"، و"الرَّاوَنديَّةِ"، و"الكُلَّابيَّةِ"، و"السَّالِـميَّةِ"، وغَيرهِم مِن أَهلِ البِدَعِ قَد تَجَاذَبُوا فِيهَا بأَزِمَّةِ الضَّلَالِ .

وبَانَ لِـيَ أَنَّ كَثيرًا مِنهُم إنَّمَا قَصَدَ إبطَالَ الشَّريعَةِ المُقَدَّسَةِ المُحَمَّديَّةِ الظَّـاهِرَةِ العَليَّةِ علَى كُلِّ دِينٍ، وأَنَّ جُمهُورَهُم أَوقَعَ النَّاسَ في التَّشكِيكِ في أُصُولِ دِينِهِم .

ولِـهَذَا قَلَّ أَن سَمِعتَ، أَو رَأَيتَ مُعرِضًا عَن الكِتَابِ، والسُّـنَّةِ، مُقبِلًا عـلَى مَقَالاتِهِم إلَّا وقَد تَزندَقَ !، أَو صَارَ عَلَى غَيرِ يَقِينٍ في دِينِهِ، واعتِقَادِهِ .

فَلَمَّا رَأَيت الأمر على ذَلِك بَان لي :

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَن يَقدِرُ علَى دَفعِ شُبَهِهم، وأَبَـاطِيلِهم، وقَطـعِ حُجَّـتِهم، وأَضَالِيلِهم :

أَن يَبذُلَ جُهدَهُ؛ لِيَكشِفَ رَذَائِلَهُم، ويُزَيِّفَ دَلَائِلَهُم؛ ذَبًّا عَـن المِلَّـةِ الحَنِيفِيَّـةِ، والسُّنَّة الصَّحِيحَةِ الجَلِيَّةِ .

ولَا واللهِ مَا رَأَيتُ فِيهِم أَحَدًا مِـمَّن صنَّف في هَذَا الشَّأنِ، وادَّعى عُلُوَّ المقَامِ، إلَّا وقَد سَاعَدَ بمَضمُونِ كَلَامِهِ في هَدمِ قَوَاعِدِ دِينِ الإسلَامِ .

وسَبَبُ ذَلِكَ :

إعرَاضُهُ عَن الحَقِّ الوَاضِحِ المُبِينِ، وعَن مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ الكِرَامُ عَـن ربِّ العَالمينَ .

واتِّبَاعُهُ طُرُقَ الفَلسَفَةِ في الاصطِلَاحَات الَّتِي سَمَّوهَا بزَعمِهِم "حُكمِيَّاتٍ"، و"عَقلِيَّاتٍ"؛ وإنَّمَا هِيَ جَهَالاتٌ، وضَلَالاتٌ .

وكَونُهُ التَزَمَهَا مُعرِضًا عَن غَيرِهَا أَصلًا، ورَأسًا .

فَغلبَت عَلَيهِ؛ حَتَّى غَطَّت علَى عَقلِهِ السَّلِيمِ؛ فتَخَبَّطَ حَتَّى خَبَطَ فِيهَا عَشـوًا، ولَـم يُفَرِّق بَينَ "الحَقِّ"، و"البَاطِلِ" .

وإِلَّا فَاللهُ أَعظَمُ لُطفًا بعبَادِهِ أَن لَا يَجعَلَ لَهُم عقلًا، يَقبَلُ الحَقَّ، ويُثَبِّتُهُ، ويُبطِلُ البَاطِلَ، ويَنفِيهِ .

لَكِن "عَدَمُ التَّوفِيق"، و"غَلَبَةُ الهَوَى" أَوقَعَ مَن أَوقَعَ فِي الضَّلَال .

وقَد جَعَلَ اللهُ تَعَالَى العَقلَ السَّلِيمَ مِن الشَّوَائب مِيزَانًا، يَزنُ بِهِ العَبدُ الوَارِدَاتِ .

فَيُفَرِّقُ بِهِ بَينَ مَا هُوَ مِن قَبيلِ الحقِّ، ومَا هُوَ مِن قَبيلِ البَاطِلِ .

ولَم يَبعَث اللهُ الرُّسُلَ إِلَّا إلى ذَوي العَقل، ولَم يَقَع التَّكلِيفُ إِلَّا مَعَ وُجُودِهِ؛ فَكَيفَ يُقَالُ: إنَّه مُخَالِفٌ لبَعضِ مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ الكِرَامُ عَن الله تَعَالَى هَذَا بَاطِلٌ قَطعًا .

يَشهَدُ لَهُ كُلُّ عَقلٍ سَلِيمٍ لَكِن ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور] .

قَالَ الشَّيخُ الإمَامُ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - :

«فهَذَا ونَحوُهُ هُوَ الَّذي أَوجَبَ أَنِّي صَرَفتُ جُلَّ هَمِّي إِلَى "الأُصُولِ"، وأَلزَمَني أَن أَورَدتُ مَقَالَاتِهِم، وأَجَبتُ عَنهَا بِمَا أَنعَمَ اللهُ بِهِ مِن "الأَجوبَةِ النَّقلِيَّةِ"، و"العَقليَّةِ" ..» انتَهى المُرَادُ .

❑ ❑ ❑

قَالَ تِلمِيذُهُ البَزَّارُ مُعَلِّقًا :

«قُلتُ: وقَد أَبَانَ بحَمدِ الله تعَالى، فيمَا أَلَّفَ فِيهَا لكُلِّ بَصِيرٍ، "الحَقَّ" مِن "البَاطِلِ"، وأَعَانَه بتَوفِيقِهِ .

حتَّى رَدَّ عَلَيهم بـدَعَهم، وآرَاءَهـم، وخِـدَعَهم، وأَهـوَاءَهم مـعَ "**الـدَّلائل النَّقلِيَّة**" بـ"**الطَّرِيقَةِ العَقليَّة**"؛ حتَّى يُجيبَ عَن كُلِّ شُبهَةٍ مِن شُـبَهِهم بعِـدَّةِ أَجوبَـةٍ جَلِيَّةٍ وَاضِحَةٍ، يَعقِلُهَا كُلُّ ذِي عَقل صَحِيحٍ، ويَشهَدُ لصِحَّتِهَا كُلُّ عَاقِلٍ رَجِيح .

فالحَمدُ لله الَّذِي مَنَّ عَلَينَا برُؤيَتِهِ، وصُحبَتِهِ؛ فَلَقَد جَعَلَهَ اللهُ حُجَّةً علَى أَهـل هَذَا العَصر، المُعرِضِ غَالِبُ أَهلِهِ عَن قَلِيلِهِ، وكَثيرِهِ؛ لاشتِغَالِـهم بفَاني الـدُّنيَا عـمَّا يَحصُلُ بهِ بَاقِي الآخِرَةِ، فَلا حَولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله؛ لَكِنَّ اللهَ ذَا القُوَّةِ المَتـينَ ضَـمِنَ حِفظَ هَذَا الدِّين إِلَى يَومِ الدِّينِ، وأَظهَرَهُ عَلَى كُـلِّ دِيـنٍ؛ فَالحَمـدُ لله رَبِّ العَـالمينَ» انتَهى كَلامُهُ[1] .

❑ ❑ ❑

(١) انظُر: «الأَعلَامَ العَلِيَّة فِي منَاقب ابن تَيميَّة» (ص٣٣-٣٥) .

الفصل الحادي عشر

[مَعَالِمُ (تَيمِيَّة) في أَفياءِ جوَابِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّة]

الفَصْلُ الحَادِي عَشَر

[مَعَالِمُ (تَيمِيَّة) فِي أَفيَاءِ جَوَابِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّة]

وهَذَا "**الجَوَابُ العَظِيمُ**" يَحملُ مَعَالِـمَ مَنيفَةً، ومَعَانِيَ جِدُّ شَرِيفَةٍ، ويُرشِدُ إِلى فَوَائدَ جَليلَةً فَرِيدَةً لَطِيفَةً .

يَنبَغِي لَنَا مَعشَـرَ طُلَّاب العِلمِ النَّافِعِ فِي زَمَاننَا هَذَا الَّذِي اشـتَدَّت فِيـهِ عَـلَى أَهل السُّنَّةِ "**الغُربَةُ**"، وتَطَاوَلَ عَلَيهِم أَهلُ البدَعِ بأَعنَاقِهِم، وتَدَاعَوا مِن كُلِّ مَكَـانٍ لـهَدمِ "**حُصُونِ السُّنَّةِ**" :

التَّفَيُّؤُ فِي ظِلَالـهَا، والتَّرَوِّي مِن عَذب زُلَالِـهَا .

فأَقُولُ : فِي هَذَا الجَوَاب النَّافِعِ مِن جَليلِ "**الـمَعَالِـمِ التَّـيـمِـيَّـةِ**" :

المَعلَمُ الأَوَّلُ :

أَنَّ "البِدَعَ" في الدِّين شَرٌّ مِن "كَبَائِرِ المعَاصي" باتِّفَاق الأَئِمَّةِ .

والشَّـرَائعُ "أَغذِيَةُ القُلُوب"؛ فـمَتَى اغتَذَت القُلُوبُ بـ"البِدَعِ" لَـم يَبقَ فِيهَا فَضلٌ لـ"السُّنَن"؛ فتكُونُ بمَنزلَةِ مِن اغتَذَى بـ"الطَّعَام الخَبيثِ" .

ومِـن شُـؤمِ "البِدعَـةِ" أَنَّهَـا مَقرُونَـةٌ بـ"الفُرقَـةِ" كَـمَا أَنَّ "السُّـنَّةَ" مَقرُونَـةٌ بِـ"الجَمَاعَةِ"؛ فَيُقَالُ: "أَهلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ"، كَمَا يُقَالُ: "أَهلُ البِدعَةِ، والفُرقَةِ"

و"البِدَعُ" في مَآلِـهَا "هَدمٌ لِلـدِّين"؛ ولِـهَذا كَـانَ كَثـيرٌ مِـن رُؤوسِ البِـدعِ المُغلَّظَة قَصدُهُم "هَدمَ الدِّينِ" .

وجُمهورُ أَهل البِدع "مُتَّبِعُونَ لأَهـوَائهم"، قَـد زُيِّـنَ لَــهُم سُـوءُ أَعمَالِــهم؛ ولِـهذا سُمُّوا "أَصحَابَ الأَهوَاء" .

فمُوَالَاتُهُم، ومُعَادَاتُهُم عَلَى أَهوَائِهِم، لَا عَلَى دِينِ الله، ورَسُولِهِ .

فكَانُوا شَرًّا مِن "العُصَاة أَربَاب الذُّنُوب" مِن "زِنًـى"، و"سَرقَـةٍ"، و"شُربِ خَمرٍ"، وغَير ذَلكَ مِن وُجُوهٍ[1] .

ولِـهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ- بِقَتلِ الخَـوَارِجِ؛ ونَهَـى عَن قِتَالِ الوُلَاةِ الظَّلَمَة .

ولَـقَد صَارَ هَؤُلاءِ "المُنتَسِبُونَ إِلَى الإسلَام"، وإِلَى أَهل القِبلَةِ، المُحَرِّفُـونَ لَـهُ بـ"التَّأويلِ" الفَاسدِ :

---

(١) انظُر: «مجَمُوعَ الفتَاوى» (٢٧/ ٢٦٢) .

أَشَدَّ ضَرَرًا على الإسلَام، وأَعظَمَ فَسَادًا فِيهِ، ونِكَايَةً بِهِ مِن أَعدَى أَعدَائِـهِ[(١)]، وسُـيُوفُهم أَكثَـرُ ذَبحًـا في المُسـلِمِينَ مِـن سُـيُوفِ أَعدَائـهِ المُشـركِينَ، واليَهُـودِ، النَّصَارَى، وغَيرِهِم[(٢)].

4 4 4

---

(١) ولأَجلِ هَذَا أَطلَقَ السَّلَفُ، والأَئمَّةُ أَنَّ أَهلَ البِدَعِ، والأَهـوَاءِ "أَشَـدُّ ضَرَراً عـلَى الإسلَام، وأَهلِهِ مِن الكُفَّار"، قالَ الإمامُ الجَليلُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبدُ الغَنيِّ بنُ عَبد الوَاحـدِ المَقـدسيُّ (ت٦٠٠) في كتَابهِ «الاقتِصَـاد في الاعتِقَـادِ» (ص٢٢٢-٢٢٣) : «واعلَـم - رَحِمَـكَ اللهُ- أَنَّ الإِسلَامَ، وأَهلَهُ أُتُوا مِـن "طَوَائـف ثَـلَاثٍ" : "فَطَائفَـةٌ رَدَّت أَحَاديـثَ الصِّـفَات"، وكَـذَّبُوا رُوَاتَها؛ فَهُـؤَلاءِ أَشَـدُّ ضرَراً عـلَى الإسـلام، وأَهلِـهِ مِـن الكُفَّـار، و"أُخـرَى قَـالُوا بصِـحَّتِهَا، وقَبُولِـهَا، ثُمَّ تَأَوَّلُوهَا"؛ فَهَؤُلاءِ أَعظَمُ ضَرَراً مِن الطَّائفَةِ الأُولَى، و"الثَّالثَـةُ": جَـانَبُوا القَـولَينِ الأَوَّلَينِ، وأَخَذُوا - بزَعمِهِم- يُنَزِّهُونَ، وهُـم يُكَـذِّبُونَ؛ فـأَدَّاهُم ذَلـكَ إِلَى القَـولَينِ الأَوَّلَـين، وكَانُوا أَعظَمَ ضَرَراً مِن الطَّائفَتَينِ الأَوَّلَتَينِ» انتَهَى كَلامُهُ .

قَالَ الإِمَامُ أَبو الوَفَاءِ ابـنُ عَقيـلٍ (ت٥١٣): «مَـا عَـلى الشَّـريعَةِ أَضَرُّ مِـن "مُبتَدعَـةِ المُتكَلِّمينَ"، و"جَهلَةِ المُتَصَوِّفِينَ"؛ هَؤُلاءِ يُفسِدُونَ العُقُـولَ بــ"تَوَهُّمَـاتٍ"، و"شُـبُهَاتٍ تُشـبهُ المَعقُولَ"، وهَؤُلاءِ "يُفسِدُونَ الأَعمَالَ"، و"يَهدِمُونَ قَوَانينَ الأَزمَانِ" ..» انتهَى المُـرَادُ، وانظُـر: «الصَّوَاعِقَ المُرسَلَة» (٤/ ١٣٤٦) .

(٢) ومِن هَهُنَا يَظهَرُ مَا وَقَعَ فِيـهِ بَعـضُ مَـن يَـدعُو إِلَى الله تعَـالى؛ إِذ يَقُـومُ في "إِنكَـار المَعَـاصي"، و"اسـتِعظَامِهَا" !، بـمَا لا يَقُـومُ بعُشـرِهِ في "ظُهُـور البِـدَع الرَّدِيَّـةِ !"، و"الآرَاءِ الخَلْفِيَّةِ"، و"الأَهوَاءِ الحِزبيَّةِ" الَّتـي "مَزَّقَـت أُلفَـةَ المُسـلِمِينَ"، و"سُـفِكَت بسَـببهَا الـدِّمَاءُ"، و"هَلَكَ فِيهَا كَثيرٌ مِن الشَّـبَابِ - إِلَّا مَـن وَفَّقَـهُ اللهُ-"، و"انحَـلَّ أَمـرُ الـدِّينِ"، و"انفَرَطَـت الجَمَاعَةُ في بَعض بِلَادِ المُسلِمِينَ"، و"تَضَاعَفَت الشُّـرورُ"، نَسأَلُ اللهَ أَن يُبَصِّرنَا، ويَهدِيَنا جَميعًـا إِلى سَوَاءِ السَّبيلِ .

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«ولِـهَذَا قَالَ أَئمَّةُ الْمُسـلِمِينَ، كـ"سُـفيَانَ الثَّـوريِّ": "**إنَّ البِدعَـةَ أَحَـبُّ إِلَى إِبلِيسَ مِن المَعصِيَةِ؛ لأَنَّ البِدعَةَ لَا يُتَابُ مِنهَا، والمَعصِيَةَ يُتَابُ مِنهَا**" .

ومَعنَى قَولِـهم: "**إنَّ البِدعَةَ لَا يُتَابُ مِنهَا**" أَنَّ الْمُبتَدِعَ الَّذي يَتَّخِذُ دِينًـا، لَـم يَشرَعهُ اللهُ، ورَسُولُهُ، قَد زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ؛ فَرَآهُ حَسَنًا؛ فَهُوَ لَا يَتُوبُ مَا دَامَ يـرَاهُ حَسَنًا .

لأَن أَوَّلَ التَّوبَةِ: "**العِلمُ بِأَنَّ فِعلَهُ سَـيِّءٌ**" لِيَتُـوبَ مِنـهُ، أَو أَنَّـهُ تَـرَكَ حَسَـنًا مَأمُورًا بِهِ أَمرَ إِيجَابٍ، أَو أَمرَ استِحبَابٍ؛ لِيَتُوبَ، ويَفعَلَهُ .

فَمَا دَامَ يَرَى "**فِعلَهُ حَسَنًا**" - وهُوَ سَيِّءٌ في نَفس الأَمر!-؛ فَإِنَّهُ لَا يَتُوبُ .

ولَكِنَّ التَّوبَةَ مُـمكنَةٌ، ووَاقِعَةٌ بِأَن يَهدِيَهُ اللهُ، ويُرشِدَهُ؛ حَتَّى يتبَيَّنَ لَـهُ الحَـقُّ، كَمَا هدَى سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مَن هَدَى مِن الكُفَّار، والْمُنَافِقِينَ، وطَوَائِفِ أَهـلِ البِـدَعِ، والضَّلَالِ .

وهَذَا يَكُونُ بِأَن يَتَّبِعَ مِن الحقِّ مَا عَلِمَهُ؛ فَمَن عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَورَثَهُ اللهُ عِلمَ مَـا لَـم يَعلَم» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

«**وقَد اتَّفَقَ أَهلُ العِلمِ بِالأَحوَالِ: أَنَّ أَعظَمَ السُّيُوفِ الَّتِي سُـلَّت عَـلَى أَهـلِ القِبلَةِ مِـمَّن يَنتَسِبُ إِلَيهَا** .

---

(١) انظُر: «التُّحفَةَ العِراقيَّةَ» (ص٣٨-٣٩)، و«مَجمُوعَ الفتَاوى» (١٠/ ٩) .

وأعظَمُ الفَسَادِ الَّذي جَرى عَلَى المُسلِمِينَ مِمَّن يَنتَسِبُ إِلَى أَهلِ القِبلَةِ: إنَّما هُوَ مِن "**الطَّوَائِفِ المُنتَسِبَةِ إِلَيهِم**"[1] ...

فَهُم أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَى الدِّينِ، وأَهلِهِ، وأَبعَدُ عَن شَرَائِعِ الإِسلَامِ مِن الخَوَارِجِ الحَرورِيَّةِ، ولِهَذَا كَانُوا أَكذَبَ فِرَقِ الأُمَّةِ» انتَهى[2].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - :

«و"**أَهلُ السُّنَّةِ**" **في الإِسلَامِ، كَـ**"**أَهلِ الإِسلَامِ**" **في** "**المِلَلِ**".

وذَلِكَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ غَيرِ المُسلِمِينَ؛ فَهُم ضَالُّونَ؛ وإِنَّمَا يُضِلُّهُم "**عُلَمَاؤُهُم**"؛ **فَعُلَمَاؤُهُم شِرَارُهُم**.

والمُسلِمُونَ عَلَى هُدًى؛ وإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ الهُدَى بِـ"**عُلَمَائِهِم**"؛ **فَعُلَمَاؤُهُم خِيَارُهُم**.

وكَذَلِكَ "**أَهلُ السُّنَّةِ**" **أَئِمَّتُهُم خِيَارُ الأُمَّةِ، و**"**أَئِمَّةُ أَهلِ البِدَعِ**" **أَضَرُّ عَلَى الأُمَّةِ مِن أَهلِ الذُّنُوبِ**.

ولِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ - **بِقَتلِ الخَوَارِجِ؛ ونَهَى عَن قِتَالِ الوُلَاةِ الظَّلَمَةِ**[3]» انتَهى[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) وأَخبَثُهُم "**الرَّافِضَةُ**"، وهُم أَضَرُّ علَى الإِسلَامِ مِن جَمِيعِ أَعدَائِهِ، كَمَا قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في «مِنهَاجِ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٥/ ١٥٨).

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٢٨/ ٤٧٩).

(٣) تَأَمَّل هَذا الاستِدلَالَ اللَّطِيفَ.

(٤) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٧/ ٢٨٤).

وقَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى– :

«**ولِـهَذَا اشتَدَّ نَكِيرُ السَّـلَفِ، والأَئِمَّـةِ لَـهَا، وصَـاحُوا بِأَهلِهَـا مِـن أَقطَـارِ الأَرضِ !، وحَذَّرُوا فِتنَتَهُم أَشَدَّ التَّحذِيرِ .**

وبَالَغُوا في ذَلِكَ مَـا لَـم يُبَـالِغُوا مِثلَـهُ في إِنكَـارِ "الفَـوَاحِشِ"، و"الظُّلـمِ"، و"العُدوَانِ"؛ إِذ مَضَرَّةُ البِدَعِ، وهَدمُهَا لِلدِّينِ، ومُنَافَاتُهَا لَهُ أَشَدُّ» انتَهى [(١)] .

❑ ❑ ❑

وبَيَّن شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى– **ضَابطَ "البِدعَةِ المَذمُومَـةِ في الشَّـرعِ"؛ وخَطَرَهَا؛ إِذِ البِدَعُ أَغذِيَةٌ خَبِيثَةٌ تُفسِدُ القَلبَ الَّذي جَاءَت الشَّـــرائِعُ بِإِصلاحِهِ .**

فَقَالَ :

«فَإِذَا كَانَ "**نَصُّ رَسُول الله**" – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ– قَد دَلَّ عَلَى استِحبَاب فِعلٍ، أَو إِيجَابِهِ بَعدَ مَوتِهِ، أَو دَلَّ عَلَيهِ مُطلقًا، ولَـم يُعمَـل بـهِ إِلَّا بَعـدَ مَوتِهِ، ككِتَابِ الصَّدَقَةِ الَّذِي أَخرَجَهُ أَبُو بَكرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنهُ– .

فَإِذَا عَمِلَ أَحَدٌ ذَلكَ العَمَلَ بَعدَ مَوتِهِ صَحَّ أَن يُسَمَّى "**بدعَةً**" في اللُّغَةِ؛ لأَنَّـهُ عَمَلٌ مُبتَدَأٌ كَمَا أَنَّ نَفسَ الدِّين الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِـيُّ – صَـلَّى اللهُ عَلَيـهِ، وعَـلَى آلـهِ، وسَلَّمَ– يُسَمَّى بدعَةً، ويُسَمَّى مُحدَثًا في اللُّغَةِ كَمَا قَالَت رُسُل قُرَيشٍ للنَّجَاشيِّ عَـن أَصحَابِ النَّبيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلـهِ، وسَـلَّمَ– المُهَـاجرينَ إِلَى الحَبَشَـةِ: «**إِنَّ هَؤُلاءِ خَرَجُوا مِن دِينِ آبَائهم، ولَـم يَدخُلُوا في دِينِ المَلِكِ، وجَاءُوا بدِينٍ مُحـدَثٍ، لا يُعرَفُ !**» .

---

(١) انظُر: «مَدارجَ السَّالكِين» (١/ ٣٧٨) .

ثُمَّ ذَلكَ العَمَلُ الَّذي يَدُلُّ عَليهِ الكِتَابُ، والسُّنَّةُ لَيسَ بدعَـةً فِي الشَّـريعَةِ، وإن سُمِّيَ بِدعَةً فِي اللُّغَةِ.

فَلَفظُ "البِدعَةِ" فِي اللُّغَة أَعَمُّ مِن لَفظِ "البِدعَةِ" فِي الشَّريعَةِ.

وقَد عُلِمَ أَنَّ قَولَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَـلَّمَ- : «**كُـلُّ بدعَـةٍ ضَلَالةٌ**» لَـم يُرِد بِهِ كُلَّ عَمَلٍ مُبتَدإٍ؛ فَإِنَّ دِينَ الإِسـلَام، بَـل كُـلَّ دِيـنٍ جَـاءَت بِـهِ الرُّسُلُ؛ فهُوَ عَمَلٌ مُبتَدَأٌ؛ **وإِنَّمَا أَرَادَ مَا ابتُدِيءَ مِن الأَعمَالِ الَّتِي لَـم يَشـرَعهَا هُـوَ** - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ- .

وإِذَا كَانَ كَذلكَ؛ فَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ، وعَـلَى آلـهِ، وسَـلَّمَ- قَـد كَـانُوا يُصَلُّونَ "**قِيَامَ رَمَضَانَ**" علَى عَهدِهِ جَمَاعةً، وفُرَادَى، وقَد قَالَ لَـهُم فِي اللَّيلَةِ الثَّالثَةِ، والرَّابعَةِ لَـمَّا اجتَمَعُوا: «**إنَّهُ لَـم يَمنَعنـي أَن أَخـرُجَ إلَـيكُم إلَّا كرَاهَـةَ أَن يُفـرَضَ عَلَيكُم؛ فَصَلُّوا فِي بُيُوتِكُم؛ فَإِنَّ أَفضلَ صَلَاةِ المَرءِ فِي بَيتِهِ إلَّا المَكتُوبَةَ**».

فعَلَّـلَ - صَـلَّى اللهُ عَلَيـهِ، [وعَـلَى آلـهِ]، وسَـلَّمَ- **عـدَمَ الخُـرُوج بخَشـيَةِ الافتِرَاض؛ فَعُلِمَ بذَلكَ أَنَّ المُقتَضِـي للخُرُوجِ قَائمٌ، وأَنَّه لَولا خَـوفُ الافـتِرَاضِ؛ لـخَرَجَ إلَيـهم.**

فلَمَّا كَانَ فِي عَهدِ عُمَرَ جَمَعَهُم علَى قَارئٍ وَاحِـدٍ، وأَسرَجَ المَسـجِدَ؛ فصَـارَت هَذِهِ الهَيئَةُ، وهِيَ: **اجتِمَاعُهُم فِي المَسجِدِ علَى إمَامٍ وَاحـدٍ مـعَ الإسرَاجِ عَمَـلًا**، لَـم يَكُونُوا يَعمَلُونَهُ مِن قَبلُ؛ فسُمِّيَ "**بدعَةً**"؛ لأَنَّهُ فِي اللُّغَـةِ يُسَـمَّى بـذَلك، وإن لَـم يَكُن "**بِدعَةً شَرعِيَّةً**"؛ لأَنَّ السُّنَّةَ اقتَضَت أَنَّهُ عَمَلٌ صَالحٌ؛ لَولَا خَوفُ الافـترَاض، وخَوفُ الافتِرَاض، قَد زَالَ بمَوتِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلهِ]، وسَـلَّمَ- فَـانتَفَى المُعَارِضُ».

إلَى أَن قَالَ:

«وهَـذَانِ المَعنيَان مَن فَهمَهُمَا انحَلَّ عُنهُ كَثيرٌ مِن شُبَهِ البِدَع الحَادِثَةِ؛ فإنَّـه قَـد رُويَ عَن النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ- أنَّهُ قَالَ: «مَا أَحدَثَ قَومٌ بدعَةً إلَّا نَزَعَ اللهُ عَنهُم مِن السُّنَّةِ مِثلَهَا» .

وقَد أَشَرتُ إلى هَذَا المَعنَى فيمَا تَقدَّمَ، وبَيَّنتُ أنَّ الشَّـرَائعَ "أَغذِيَةُ القُلُـوب"؛ فـمَتَى اغتَذَت القُلُوبُ بـ"البِدَعِ" لَـم يَبقَ فِيهَا فَضلٌ لـ"السُّنَن"؛ فتَكُونُ بمَنزلَةِ مِن اغتَذَى بـ"الطَّعَام الخَبيثِ"» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

«و"البِدعَةُ" مَقرُونَةٌ بـ"الفُرقَةِ" كَمَا أَنَّ "السُّنَّةَ" مَقرُونَةٌ بـ"الجَمَاعَـةِ"؛ فَيُقَـالُ: "أَهلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ"، كَمَا يُقَالُ: "أَهلُ البِدعَةِ، والفُرقَةِ"» انتهَى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُـر: «اقتِضَـاءَ الصِّـرَاط المُسـتَقيم مُخَالفَـة أَصـحَاب الجَحـيم» (ص٢٧٦-٢٧٧ و٢٨١/ طَبعة السُّنَّة المحمَّديَّة) .

(٢) انظُر: «الاستِقَامَةَ» (١/ ٤٢) .

تَـتِـمَّـةٌ لَـطِـيـفَـةٌ جِـدًّا :

إنكَارُ شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ عَلَى الصُّوفِيَّةِ البَطَائحيَّةِ دَعـوَاهُم أَنَّ "البِـدَعَ" مِثلُ "الزِّنَا"، ونَحوِهِ مِن المَعَاصـي .

قَـالَ شَـيخُ الإِسـلَام ابـنُ تَيمِيَّـةَ رحمـه الله تعـالى في مُنَاظَرَتِـهِ لِـ"الرِّفَاعيَّـةِ البَطَائحيَّةِ"[1] ، وقَد ذَكَرَ "**شُؤمَ البِدعَةِ**"، وأَنَّهَا "**ضَلَالَةٌ**" :

«.. وفي رِوَايَةٍ «**وكُلَّ ضَلَالَةٍ في النَّارِ**» .

فَقَالَ لِي [أَي شَيخُهُم]: "**البِدعَةُ مِثلُ الزِّنَا**"، ورَوَى حَديثًا في ذَمِّ الزِّنَا .

فَقُلت: **هَذَا حَدِيثٌ مَوضُوعٌ عَلَى رَسُولِ الله** - صَـلَّى اللهُ عَلَيـهِ، وعَـلَى آلـهِ، وسَلَّمَ-، **والزِّنَا مَعصِيَةٌ**، و"**البِدعَةُ شَرٌّ مِن المَعصِيَةِ**" .

كَمَا قَالَ سُفيَانُ الثَّورِيُّ: "**البِدعَةُ أَحَبُّ إِلَى إبلِيسَ مِن المَعصِيَةِ؛ فَـإِنَّ المَعصِـيَةَ يُتَابُ مِنهَا، والبِدعَةَ لَا يُتَابُ مِنهَا**" .

وكَانَ قَد قَالَ بَعضُهُم: **نَحنُ نُتَوِّبُ النَّاسَ** ! .

فَقُلت: **مِـمَّاذَا تُتَوِّبُونَهُم** ؟ .

قَالَ: مِن قَطعِ الطَّرِيقِ، والسَّرِقَةِ، ونَحوِ ذَلِكَ .

فَقُلت: **حَالُـهُم قَبلَ تَتوِيبِكُم خَيرٌ مِن حَالِـهِم بَعدَ تَتوِيبِكُم** ! .

فَإِنَّهُم كَانُوا فُسَّاقًا يَعتَقِدُونَ تَحرِيمَ مَا هُم عَلَيهِ، ويَرجُونَ رَحمَةَ الله، ويَتُوبُـونَ إِلَيهِ، أَو يَنوُونَ التَّوبَةَ؛ فَجَعَلتُمُوهُم بِتَتوِيبِكُم ضَـالِّينَ، مُشـرِكِينَ، خَـارِجِينَ عَـن شَرِيعَة

---

(١) والَّتي كَانَت في يَومَ السَّبتِ تَاسِعَ جُمَادَى الأُولَى سَـنَةَ خَمسٍ، وسَـبعمِئةٍ، وانظُـر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (١١/ ٤٤٥) .

الإِسلَام يُحِبُّونَ مَا يُبغِضُهُ اللهُ، ويُبغِضُونَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ[1] .

وبَيَّنتُ أَنَّ هَذِهِ "البِدَعَ" الَّتِي هُم، وغَيرُهُم عَلَيهَا شَرٌّ مِن "المَعَاصِي" .

قُلتُ: مُخَاطِبًا لِلأَمِيرِ، والحَاضِرِينَ :

أَمَّا "**المَعَاصِي**"؛ فَمِثلُ مَا رَوَى البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ»[2] عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ :

«أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُدعَى حِمَارًا، وكَانَ يَشرَبُ الخَمرَ، وكَانَ يُضحِكُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ -، وكَانَ كُلَّمَا أُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ، وسَلَّمَ - جَلَدَهُ الحَدَّ؛ فَلَعَنَهُ رَجُلٌ مَرَّةً؛ وقَالَ :

«لَعَنَهُ اللهُ مَا أَكثَرَ مَا يُؤتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ» .

فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ، وسَلَّمَ - : «**لَا تَلعَنهُ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ، ورَسُولَهُ**» .

قُلتُ: **فَهَذَا رَجُلٌ كَثِيرُ الشُّربِ لِلخَمرِ، ومَعَ هَذَا فَلَمَّا كَانَ صَحِيحَ الاعتِقَادِ يُحِبُّ اللهَ، ورَسُولَهُ، شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ، وسَلَّمَ - بِذَلِكَ، ونَهَى عَن لَعنِهِ** .

---

(١) تَأَمَّل هَذَا **النَّظَرَ الدَّقِيقَ** الخَافِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّن يُهَوِّنُ مِن شَأنِ "**البِدَعِ**"، و"**أَهلِهَا**"، وهُوَ أَنَّ "**أَصحَابَ البِدَعِ**": "**يُحِبُّونَ مَا يُبغِضُهُ اللهُ، ويُبغِضُونَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ**"، **لأَنَّهُم يتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ بزَعمِهِم ببِدَعِهِم، الَّتِي صَارَت أَهوَاءً لَهُم يُحِبُّونَهَا، ويُبغِضُونَ مَا خَالَفَهَا مِن دِينِ اللهِ، وسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ -، والعَاصِي صَاحِبُ الكَبَائِرِ لا يَصِلُ إِلَى هَذَا الحَالِ؛ فَتَدَبَّر** .

(٢) (رَقَم ٦٧٨٠) .

وأَمَّا "المُبتَدِعُ"؛ فَمِثلُ مَا أَخرَجَا في «الصَّحِيحَينِ»[1] عَن عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وعَن أَبِي سَعِيدٍ الخدريِّ، وغَيرِهِمَا - دَخَلَ حَدِيثُ بَعضِهِم في بَعضٍ - :

«أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ، وسَلَّمَ - كَانَ يُقَسِّمُ؛ فَجَاءَهُ رَجُلٌ نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحيَةِ، مَحلُوقَ الرَّأسِ، بَينَ عَينَيهِ أَثَرُ السُّجُودِ، وقَالَ مَا قَالَ .

فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ، وسَلَّمَ - :

«يَخرُجُ مِن ضِئضِئِ هَذَا قَومٌ يَحقِرُ أَحَدُكُم صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِم، وصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِم، وقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِم .

يَقرَءُونَ القُرآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يَمرُقُونَ مِن الإِسلَامِ، كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِن الرَّمِيَّةِ؛ لَئِن أَدرَكتُهُم لأَقتُلَنَّهُم قَتلَ عَادٍ» .

وفي رِوَايَةٍ[2] : «لَو يَعلَمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُم مَاذَا لَهُم عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ؛ لَنَكَلُوا عَن العَمَلِ»، وفي رِوَايَةٍ[3] : «شَرُّ قَتلَى تَحتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيرُ قَتلَى مَن قَتَلُوهُ» .

قُلتُ: فَهَؤُلَاءِ مَعَ كَثرَةِ صَلَاتِهِم، وصِيَامِهِم، وقِرَاءَتِهِم، ومَا هُم عَلَيهِ مِن العِبَادَةِ، والزَّهَادَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ، وسَلَّمَ - بِقَتلِهِم، وقَتَلَهُم عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، ومَن مَعَهُ مِن أَصحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ - .

---

(١) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (رَقَم ٤٣٥١)، و«صَحِيح مُسلِم» (١٠٦٤) .

(٢) في حَدِيثِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - عِندَ أَبِي دَاوُدَ في «سُنَنِهِ» (٤٧٦٨)، ولَفظُهُ: «لَو يَعلَمُ الجَيشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُم مَا قُضِيَ لَهُم عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِم - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ -؛ لَنَكَلُوا عَنِ العَمَلِ»، وإِسنَادُهُ صَحِيحٌ .

(٣) في حَدِيثِ أَبِي غَالِبٍ عَن أَبِي أُمَامَةَ، عِندَ أَحمَدَ في «مُسنَدِهِ» (٥/ ٢٥٦)، والتِّرمِذِيِّ في «سُنَنِهِ» (٣٠٠٠)، والحُمَيدِيِّ في «مُسنَدِهِ» (٩٣٢)، والطَّبَرَانِيِّ في «المُعجَم الكَبِير» (٨/ ٢٦٦) .

وذَلكَ لِـخُرُوجِهِم عَن سُنَّةِ النَّبيِّ، وشَرِيعَتِهِ .

وأَظُنُّ أَنِّي ذَكَرتُ قَولَ الشَّافِعِيِّ: "**لأَن يُبتَلَى العَبدُ بِكُلِّ ذَنبٍ؛ مَا خَلَا الشِّرـكَ بِالله، خَيرٌ مِن أَن يُبتَلَى بِشَـيءٍ مِن هَذِهِ الأَهوَاءِ**" .

فَلَمَّا ظَهَرَ "**قُبحُ البِدَعِ فِي الإِسلَامِ**"، وأَنَّهَا أَظلَـمُ مِـن "**الزِّنَـا**"، و"**السَّـرِقَةِ**"، و"**شُربِ الخَمرِ**"، وأَنَّهُم مُبتَدِعُونَ بِدَعًا مُنكَرَةً؛ فَيَكُونُ "**حَالُـهُم**" أَسوَأَ مِن "**حَـالِ الزَّانِي**"، و"**السَّارِقِ**"، و"**شَارِبِ الخَمرِ**" أَخَذَ شَيخَهُم عَبدُ الله يَقُولُ: يَـا مَولَانَـا لَا تَتَعَرَّضْ لِـهَذَا الجَنَابِ العَزِيزِ - يَعنِي أَتبَاعَ أَحمَدَ ابنِ الرِّفَاعِيِّ - ! .

فَقُلتُ مُنكِرًا - بِكَـلَامٍ غَلِـيظٍ-: وَيـحَك؛ أَيُّ شَيءٍ هُـوَ الجَنَـابُ العَزِيـزُ، وجَنَابُ مَن خَالَفَهُ أَولَى بِالعِزِّ يَا ذُو الزَّرجنَة، تُرِيدُونَ أَن تُبطِلُوا دِينَ الله، ورَسُولِهِ» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«وقَالَ مَالِكُ بنُ مِغوَلٍ: "الكَبَائِرُ ذُنُوبُ أَهلِ البِدَعِ، والسَّيِّئَاتُ ذُنُـوبُ أَهـلِ السُّنَّةِ" .

قُلتُ: يُرِيدُ أَنَّ "البِدعَةَ" مِنَ "الكَبَائِرِ"، وأَنَّهَا أَكبَرُ مِن "كَبَائِرِ أَهـلِ السُّـنَّةِ"، فَـ"كَبَائِرُ أَهلِ السُّنَّةِ" صَغَائِرُ بِالنِّسبَةِ إِلَى "البِدَعِ" .

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (١١/ ٤٧٢-٤٧٤)، وانظُر: «الأَخنَائِيَّـةَ» (ص١٦٨/ ت آل زهوي)، و«مَجمُوعَةَ الرَّسَائل والمَسَائل» لابن تَيميَّة (١/ ١٤٣/ ت رَشيد رِضا)، و«الـدَّاءَ والدَّوَاء» (ص١٤٥) .

وهَذَا مَعنَى قَولِ بَعضِ السَّلَفِ: "**البِدعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبلِيسَ مِنَ المَعصِـيَةِ؛ لأَنَّ البِدعَةَ لَا يُتَابُ مِنهَا، والمَعصِيَةُ يُتَابُ مِنهَا**"» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ مُبيِّنًا حَالَ أَهلِ البدَعِ والأَهوَاءِ مَعَ نُصُوصِ الكِتَاب، والسُّنَّةِ مُبَيِّنًا مَـن كَانَ مِنهُم قَصدُهُ إِبطَالَ الشَّرِيعَةِ- :

«**وكَثِيرٌ مِنهُم إِنَّمَا يَنظُرُ مِن تَفسِيرِ القُرآنِ، والحَدِيثِ فِيمَا يَقُولُهُ مُوَافِقُـوهُ عَـلَى المَذهَبِ؛ فَيَتَأَوَّلُ تَأوِيلَاتِهِم .**

فَالنُّصُوصُ الَّتِي تُوَافِقُهُم يَحتَجُّونَ بِهَا، والَّتِي تُخَالِفُهُم، يَتَأَوَّلُونَهَا .

وكَثِيرٌ مِنهُم لَـم يَكُن عُمدَتُهُم فِي نَفسِ الأَمرِ: **اتِّبَاعَ نَصٍّ أَصلًا** .

وهَذَا **فِي البِدَعِ الكِبَارِ**، مِثلَ "**الرَّافِضَةِ**"، و"**الجَهمِيَّةِ**" .

فَإِنَّ الَّذِي وَضَعَ الرَّفضَ كَانَ زِندِيقًا، ابتَدَأَ تَعَمُّـدَ الكَـذِبِ الصَّـرِيحِ الَّـذِي يَعلَمُ أَنَّهُ كَذِبٌ !! .

كالَّذِينَ ذَكَـرَهُم اللهُ مِـن اليَهُـودِ، الَّـذِينَ يَفـتَرُونَ عَـلَى اللهِ الكَـذِبَ، وهُـم يَعلَمُونَ، ثُمَّ جَاءَ مَن بَعدَهُم مَن ظَنَّ صِدقَ مَا افتَرَاهُ أُولَئِكَ، وهُم فِي شَكٍّ مِنهُ كَـمَا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى] .

وكَذَلِكَ "**الجَهمِيَّةُ**" لَيسَ مَعَهُم عَلَى نَفيِ الصِّفَاتِ، وعُلُوِّ اللهِ عَـلَى العَـرشِ، ونَحوِ ذَلِكَ نَصٌّ أَصلًا، لَا آيَةٌ، ولَا حَدِيثٌ، ولَا أَثَرٌ عَنِ الصَّحَابَةِ .

بَل الَّذِي ابتَدَأَ ذَلِكَ لَـم يَكُن قَصـدُهُ اتِّبَـاعَ الأَنبِيَـاءِ، بَـل وَضَـعَ ذَلِـكَ كَـمَا وُضِعَت عِبَادَةُ الأَوثَانِ، وغَـيرُ ذَلِـكَ مِـن أَديَـانِ الكُفَّـارِ مَـعَ عِلمِهِـم بِـأَنَّ ذَلِـكَ

---

(١) انظُر: «مَدارِجَ السَّالكِين» (١/ ٣٣٢) .

مُـخَالِفٌ لِلرُّسُلِ، كَمَا ذُكِرَ عَن "**مُبَدِّلَةِ اليَهُودِ**"، ثُمَّ فَشَـا ذَلِـكَ فِـيمَن لَـم يَعرِفُـوا أَصلَ ذَلِكَ .

وهَذَا بِخِلَافِ "**بِدعَةِ الخَوَارِجِ**"؛ فَإِنَّ أَصلَهَا مَا فَهِمُوهُ مِن القُرآنِ؛ فَغَلِطُوا في فَهمِهِ، ومَقصُودُهُم اتِّبَاعُ القُرآنِ بَاطِنًا، وظَاهِرًا، لَيسُوا زَنَادِقَةً .

وكَذَلِكَ "**القَدَرِيَّـةُ**" أَصـلُ مَقصُـودِهِم تَعظِـيمُ الأَمـرِ، والنَّهـيِ، والوَعـدِ، والوَعِيدِ، الَّذِي جَاءَت بِهِ الرُّسُلَ، ويَتَّبِعُونَ مِن القُرآنِ مَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ .

فَـ"**عَمرُو بنُ عُبَيدٍ**"، وأَمثَالُهُ لَـم يَكُـن أَصـلُ مَقصُـودِهِم مُعَانَـدَةُ الرَّسُـولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، كَالَّذِي ابتَدَعَ الرَّفضَ .

وكَذَلِكَ "**الإِرجَاءُ**" إِنَّمَا أَحدَثَهُ قَومٌ قَصدُهُم جَعلُ أَهلِ القِبلَةِ كُلِّهِم مُؤمِنِينَ، لَيسُوا كُفَّارًا، قَابَلُوا الخَوَارِجَ، والمُعتَزِلَةَ؛ فَصَارُوا في طَرَفٍ آخَرَ .

وكَذَلِكَ "**التَّشَيُّعُ المُتَوَسِّطُ**" - الَّذِي مَضمُونُهُ تَفضِـيلُ عَـلِيٍّ، وتَقدِيمُـهُ عَـلَى غَيرِهِ، ونَحوَ ذَلِكَ- لَـم يَكُن هَذَا مِن إِحدَاثِ الزَّنَادِقَةِ .

بِخِلَافِ دَعوَى النَّصِّ فِيهِ، والعِصمَةِ؛ فَإِنَّ الَّـذِي ابتَـدَعَ ذَلِـكَ كَـانَ مُنَافِقًـا، زِندِيقًا» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (١٧/ ٤٤٥-٤٤٦) .

المَعلَمُ الثَّاني :

أَنَّ مِن الفُرُوض الوَاجِبَةِ عَلَى أَهل العِلم "القَادِرينَ" :

بيَانَ الحَقِّ للنَّاس لاسِيَّما في "أُصُولِ الدِّينِ" بَيَانًا لَا لَـبسَ فِيـهِ، ولا إِشـكَالَ، وبَيَانَ كُلِّ بَاطِلٍ في الدِّينِ بيَانًا لا غُمُوضَ فِيهِ، ولا امتِرَاءَ .

امتِثَالًا لقَولِ المَولَى الكَـريمِ تَبَـارَك وتَعَـالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران/ ١٨٧] .

وقَولِهِ - جَـلَّ وعَـلَا- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة] .

وإنَّما السَّلامَةُ لَـهُم، والنَّجَاةُ في إِقَامَتِهم أَدِلَّةَ الحَقِّ، واستِنبَاطِهَا مِن الكِتَـابِ، والسُّنَّةِ، والإجمَاعِ، والعَقلِ، والقِيَاسِ مَا أَمكَنَهُم .

ودَمغ دَلائلِ أَهلِ البَاطِلِ بالحَقِّ، وكَشفِ شُبُهَاتِهم، وتَزييفِهَا، والرَّدِّ عَلَيهِم .

ولا يَتمُّ نَصرُ دِينِ الله تعَالى الَّذي أَنزَلَهُ علَى رَسُولِهِ - صَـلَّى اللهُ عَلَيـهِ، وعَـلَى آلِهِ، وسَلَّمَ-، وإعلَاءُ كَلمَةِ الله تعَالى، وبَقَاءُ رَايَةِ دِين الله عَاليَةً إلَّا بـالرَّدِّ عـلَى كُـلِّ مَن دَعَا إلى "بِدعَةٍ"، و"ضَلَالَةٍ"، و"هَوًى" بالحُجَّةِ، والبُرهَانِ .

وكَشفِ حَالِهِ للأُمَّةِ خَشـيَةَ الاغـتِرَارِ بـهِ، وحُصُـولِ الفِتنَـةِ لـبَعض النَّـاس بالسُّكُوتِ عَنهُ، أَو مُجامَلَتِهِ في دِين الله تعَالى؛ فَضلًا عَن الثَّنَـاءِ عَلَيـهِ، وتَـزيينِ أَمـرِهِ للجُهَّالِ .

4 4 4

وفي تَقرير هَذَا يَقُولُ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«وكَذَلكَ بَيَانُ مَـن غَلِـطَ فِي رَأيٍ رَآهُ فِي أَمـرِ الـدِّينِ مِـنَ المَسَـائِلِ العِلمِيَّـةِ، والعَمَلِيَّةِ؛ فَهَذَا إِذَا تَكَلَّمَ فِيهِ الإِنسَانُ بِـ"عِلمٍ"، و"عَدلٍ"، و"قَصدَ النَّصِيحَةَ"؛ فَاللهُ تَعَالَى يُثِيبُهُ عَلَى ذَلِكَ.

لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ المُتَكَلَّمُ فِيهِ "دَاعِيًا إِلَى بِدعَةٍ"؛ فَهَذَا يَجِبُ بَيَـانُ أَمـرِهِ لِلنَّـاسِ؛ فَإِنَّ دَفعَ شَرِّهِ عَنهُم أَعظَمُ مِن دَفعِ شَرِّ قَاطِعِ الطَّرِيقِ» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا – :

«وأَعدَاءُ الدِّينِ نَوعَانِ: "الكُفَّارُ"، و"المُنَافِقُونَ".

وقَد أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِجِهَادِ الطَّـائِفَتَينِ فِي قَولِـهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة٧٣/ التحريم٩] فِي آيَتَينِ مِن القُرآنِ.

فَإِذَا كَانَ "أَقوَامٌ مُنَافِقُونَ" يَبتَدِعُونَ بِدَعًا تُخَالِفُ الكِتَـابَ، ويُلَبِّسُـونَهَا عَـلَى النَّاسِ، ولَـم تُبَيَّن لِلنَّاسِ:

"فَسَدَ أَمرُ الكِتَابِ"، و"بُدِّلَ الدِّينُ"؛ كَمَا فَسَدَ دِينُ أَهلِ الكِتَابِ قَبلَنَا بِمَا وَقَعَ فِيهِ مِن التَّبدِيلِ، الَّذِي لَـم يُنكَر عَلَى أَهلِهِ.

وإِذَا كَانَ "أَقوَامٌ لَيسُوا مُنَافِقِينَ" لَكِنَّهُم "سَمَّاعُونَ لِلمُنَـافِقِينَ"، قَـد التَبَسَ عَلَيهِم أَمرُهُم؛ حَتَّى ظَنُّوا قَولَـهُم حَقًّا، وهُوَ مُخَالِفٌ لِلكِتَابِ.

وصَارُوا "دُعَـاةً إِلَى بِـدَعِ المُنَـافِقِينَ" كَـمَا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [التوبة/ ٤٧]؛ فَلَا بُدَّ – أَيضًا – مِن "بَيَانِ حَالِ هَؤُلَاءِ"[1].

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٥/ ١٤٦).

بَل "**الفِتنَةُ بِحَالِ هَؤُلَاءِ**" أَعظَمُ؛ فَإِنَّ فِيهِم إِيمَانًا يُوجِبُ مُوَالَاتَهُم، وقَد دَخَلُوا في بِدَعٍ مِن "**بِدَعِ المُنَافِقِينَ**"، الَّتي "**تُفسِدُ الدِّينَ**"؛ **فَلَا بُدَّ مِن التَّحذِيرِ مِن تِلكَ البِدَعِ، وإِن اقتَضَى ذَلِكَ "ذِكرَهُم"، و"تَعيِينَهُم"**[2].

بَل ولَو لَم يَكُن قَد تَلَقَّوا تِلكَ "**البِدعَةَ**" عَن "**مُنَافِقٍ**"؛ لَكِن قَالُوهَا ظَانِّينَ أَنَّهَا "**هُدًى**"، وأَنَّهَا "**خَيرٌ**"، وأَنَّهَا "**دِينٌ**"، ولَم تَكُن كَذَلِكَ؛ لَـ"**وَجَبَ بَيَانُ حَالِهَا**".

ولِهَذَا "وَجَبَ بَيَانُ حَالِ مَن يَغلَطُ في الحَدِيثِ، والرِّوَايَةِ"، و"مَن يَغلَطُ في الرَّأيِ، والفُتيَا"، و"مَن يَغلَطُ في الزُّهدِ، والعِبَادَةِ".

وإِن كَانَ المُخطِئُ المُجتَهِدُ، مَغفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ، وهُوَ مَأجُورٌ عَلَى اجتِهَادِهِ.

فَبَيَانُ القَولِ، والعَمَلِ الَّذي دَلَّ عَلَيهِ الكِتَابُ، والسُّنَّةُ وَاجِبٌ؛ وَإِن كَانَ في ذَلِكَ مُخَالَفَةٌ لِقَولِهِ، وعَمَلِهِ.

/ ١ / **ومَن عُلِمَ مِنهُ "الاجتِهَادُ السَّائِغُ"؛ فَلَا يَجُوزُ أَن يُذكَرَ عَلَى وَجهِ الذَّمِّ، والتَّأثِيمِ لَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُ خَطَأَهُ**.

بَل يَجِبُ لِمَا فِيهِ مِن الإِيمَانِ، والتَّقوَى "مُوَالَاتُهُ"، و"مَحَبَّتُهُ"، و"القِيَامُ بِمَا أَوجَبَ اللهُ مِن حُقُوقِهِ": مِن "**ثَنَاءٍ**"، و"**دُعَاءٍ**"، وغَيرِ ذَلِكَ.

/ ٢ / وإِن عُلِمَ مِنهُ "**النِّفَاقُ**" كَمَا عُرِفَ نِفَاقُ جَمَاعَةٍ عَلَى عَهدِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ -، مِثلُ عَبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ، وذَوِيهِ.

= (١) وهَذَا البَيَانُ "**وَاجِبٌ**" لا بُدَّ مِنهُ "**حِفظًا للدِّينِ عَن الإِفسَادِ**"؛ لا شَهوَةً في الكَلَامِ في النَّاسِ؛ بَل كَمَا قِيلَ في القَولِ السَّائِرِ: "**قَالَ الجِدَارُ للوَتَدِ: لِمَ تَشُقُّنِي؟، قَالَ الوَتَدُ: سَل مَن يَدُقُّنِي**"!.

(٢) تَدَبَّر هَذا، وفِيهِ رَدٌّ عَلَى بَعضِ المُعَاصِرينَ الَّذينَ يَرونَ أَنَّ "**تَعيينَ المُخَالفينَ**" في الرَّدِّ عَلَيهِم، "**يُنَافِي الحِكمَةَ**" هَكَذَا يُطلقُونَ!.

وكَما عَلِمَ المُسلِمُونَ "**نِفَاقَ سَائِرِ الرَّافِضَةِ**": عَبدِ الله بنِ سَـبَإٍ، وأَمثَالِـهِ: مِثـلَ عَبدِ القُدُّوسِ بنِ الحَجَّاجِ، ومُحَمَّدِ بنِ سَعِيدٍ المَصلُوبِ؛ فَهَذَا يُذكَرُ بِـ"**النِّفَاقِ**" .

/ ٣/ وإِن أَعلَنَ بِـ"البِدعَةِ"، ولَـم يُعلَم هَل كَانَ مُنَافِقًا، أَو مُؤمِنًا مُخطِئًا ؟ :

"ذُكِرَ بِمَا يُعلَمُ مِنهُ" .

فَلَا يَحِلُّ للرَّجُلِ أَن يَقفُوَ مَا لَيسَ لَهُ بِهِ عِلـمٌ، ولَا يَحِـلُّ لَـهُ أَن يَـتَكَلَّمَ فِي هَـذَا البَابِ إِلَّا "قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجهَ الله تَعَالَى"، و"أَن تَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُليَـا"، و"أَن يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله" .

فَمَن تَكَلَّمَ فِي ذَلِك بِغَيرِ عِلمٍ، أَو بِمَا يَعلَمُ خِلَافَهُ كَانَ آثِمًا» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٢٨/ ٢٣٢-٢٣٤) .

المَعلَمُ الثَّالثُ :

أنَّ أَكثَرَ رُؤُوس أَهل البِدَع المُغَلَّظَة إنَّمَا قَصَدُوا إبطَالَ الشَّرِيعَةِ المُقَدَّسَة المُحَمَّدِيَّةِ الظَّاهِرَةِ العَلِيَّةِ علَى كُلِّ دِينٍ .

وأَنَّ سَائرَ جُمهورِ دُعَاةِ البِدَعِ غَير المُغَلَّظَةِ أَوقَعُوا النَّاسَ في التَّشكِيكِ في أُصُول دِينِهِم .

هَذَا مَا تَحَقَّقَ عِندَ شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-، **وبَانَ لَهُ بَيَانًا تَامًّا .**

ولِهَذَا قَالَ - مُتَمِّمًا- :

«**ولِهَذَا قَلَّ أَن سَمِعتَ، أَو رَأَيتَ مُعرِضًا عَن الكِتَاب، والسُّنَّة، مُقبِلًا علَى مَقَالاتِهِم إلَّا وقَد تَزندَقَ !، أَو صَارَ عَلَى غَير يَقِينٍ في دِينِهِ، واعتِقَادِهِ**» انتهى كَلامُهُ .

4 4 4

وقَالَ - أَيضًا- :

«وفي المُنتَسِبِينَ إلَى الإِسلَامِ مِن عَامَّةِ الطَّوَائِفِ مُنَافِقُونَ كَثِيرُونَ في الخَاصَّةِ، والعَامَّةِ، ويُسَمَّونَ "**الزَّنَادِقَةَ**" .

وقَد اختَلَفَ العُلَمَاءُ في قَبُولِ تَوبَتِهِم في الظَّاهِرِ؛ لكَونِ ذَلِكَ لَا يُعلَمُ؛ إذ هُم دَائِمًا يُظهِرُونَ الإِسلَامَ .

وهَؤُلَاءِ يَكثُرُونَ في المُتَفَلسِفَةِ: مِن المُنَجِّمِينَ، ونَحوِهِم، ثُمَّ في الأَطِبَّاءِ .

ثُمَّ في الكُتَّابِ أَقَلُّ مِن ذَلِكَ، ويُوجَدُونَ في المُتَصَوِّفَةِ، والمُتَفَقِّهَةِ، وفي المُقَاتِلَة والأُمَرَاءِ، وفي العَامَّةِ - أَيضًا- .

ولَكِن يُوجَدُونَ كَثِيرًا في نِحَلِ أَهلِ البِدَعِ؛ لَا سِيَّمَا الرَّافِضَةُ .

فَفِيهِم مِن "الزَّنَادِقَةِ، و"المُنَافِقِينَ مَا لَيسَ في أَحَدٍ مِن أَهلِ النِّحَلِ .

ولهَذَا كَانَت "الخَرميَّةُ"، و"البَاطِنِيَّةُ"، و"القَرَامِطَةُ"، و"الإسمَاعِيليَّةُ"، و"النُصَيريَّةِ"، ونَحوِهم مِن المُنَافِقِينَ الزَّنَادِقَةِ: مُنتَسِبَةٍ إلَى "الرَّافِضَةِ".

وهَؤُلَاءِ المُنَافِقُونَ في هَذِهِ الأَوقَاتِ؛ لِكَثِيرٍ مِنهُم مَيلٌ إلَى دَولَةِ هَؤُلَاءِ التَّتَارِ[1]؛ لكَونِهِم لَا يُلزِمُونَهُم شَرِيعَةَ الإِسلَامِ؛ بَل يَترُكُونَهُم، ومَا هُم عَلَيهِ.

وبَعضُهُم إنَّمَا يَنفِرُونَ عَن التَّتَارِ لِفَسَادِ سِيرَتِهِم في الدُّنيَا، واستِيلَائِهِم عَلَى الأَموَالِ، واجتِرَائِهِم عَلَى الدِّمَاءِ، والسَّبيِ؛ لَا لأَجلِ الدِّينِ.

فَهَذَا ضَربُ النِّفَاقِ الأَكبَرِ» انتَهَى[2].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا -:

«و"**شُيُوخُهُمُ المُصَنِّفُونَ**" فِيهِم طَوَائِفُ، **يَعلَمُونَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا يَقُولُونَهُ كَذِبٌ!، ولَكِن يُصَنِّفُونَ لَهُم لِرِيَاسَتِهِم عَلَيهِم**.

وهَذَا "**المُصَنِّفُ**"[3] **يَتَّهِمُهُ النَّاسُ بِهَذَا، ولَكِن صَنَّفَ؛ لأَجلِ أَتبَاعِهِ!**.

فَإِن كَانَ أَحَدُهُم يَعلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ بَاطِلٌ، ويُظهِرُهُ، ويَقُولُ: إِنَّهُ حَقٌّ مِن عِندِ اللهِ؛ فَهُوَ مِن جِنسِ عُلَمَاءِ اليَهُودِ، الَّذِينَ يَكتُبُونَ ﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة].

---

(١).

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٢٨/ ٤٣٤-٤٣٥).

(٣) تَأَمَّل هَذَا.

وإن كَانَ يَعتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ !، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى نِهَايَةِ جَهلِهِ، وضَلَالِهِ[1] .

فَــإِن كُنـــتَ لَا تَــدرِي فَتِلــكَ مُصِــيبَةٌ
وإِن كُنـــتَ تَـــدرِي فَالمُصِـــيبَةُ أَعظَـــمُ

انتَهى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) قَالَ الشَّيخُ بَكرُ بنُ عَبدِ الله أَبو زَيد - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- : «وبالجُملَةِ: فلَو تُرِكَ أَهلُ الأَهوَاءِ، وهُم عُاكِفُونَ علَى أَهوائِهم، يَحتَرِفُونَ الكَيدَ لِهَذا الدِّينِ، بسُطُوٍّ عَظيم، ولِسَانٍ غَليظٍ بالمَسخِ، والتَّحريفِ، والغمزِ، والتَّبدِيل، وإن تَرَفَّقُوا؛ فبصَوغِ عِبَارَاتٍ لَو عُصِرَت؛ لتَقَاطَرت مِنهَا الدَّعوَةُ إلى غَيرِ سَبيلِ المُؤمِنينَ، وهكَذا في حَالَة زَحفٍ مُؤلِمَةٍ، وهَجمَةٍ شَرسَةٍ، ولا كحَالِ اللَّعَّانِينَ الصَّخَّابينَ، بَل هُم المُضَلِّلُونَ بنَزفِ المحَابر علَى سُطور الدَّفاتر، وأَلسِنَةٍ غِلَاظٍ علَى أَعوَادِ المنَابر .

نَعَم لَو تُرِكَ كُلُّ مُخَالفٍ، ومُخَالفَتَهُ، وضَالٍّ وضَلالتَهُ، ومُبتَدعٍ وبِدعَتَهُ، وفَاسقٍ وفِسقَهُ؛ لتَجَرَّعَ أَهلُ القِبلَةِ مِنهُم سُمُومًا قَاتلةً، وأَهوَاءً ضالَّةً، وحيَاةً قاتمَةً، وخَافِضَةً للمِلَّةِ، رَافعَةً لقتَام الشُّبهَةِ، ودَنَس الشَّهوَةِ .

وحِينَئذٍ فلا تَسأَل؛ ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العَزيز الحَكيم عَن **تَبَدُّل الكُفر بالإيمَانِ، والبِدعَةِ بالسُّنَّة، والمَعصِيَة بالطَّاعَة، والذِّلَّة بالعِزَّةِ، [ولفَسَدَ فينا أَمرُ الكِتَاب، وبُدِّلَ الدِّينُ؛ كَمَا فَسَدَ دِينُ أَهلِ الكِتَابِ قَبلَنَا، بِمَا وَقَعَ فِيهِ مِن التَّبدِيلِ الَّذِي لَم يُنكَر عَلَى أَهلِهِ]** .

وهَذِهِ نَتِيجَةٌ حَتميَّةٌ لمَن فَرَّطَ في أَمرِ السُّنَّةِ، والكِتَابِ، وورِثَ عِلَلَ أَهلِ الكِتَابِ مِن السُّكُوتِ، والكِتمَانِ : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران] انتَهى من «الرَّدُّ عَلَى المُخَالف مِن أُصُول الإِسلام» (ص٨٣-٨٤) .

(٢) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٥/ ١٦٢) .

المَعلَمُ الرَّابعُ :

أنَّ الرَّدَّ علَى أَصحَاب البِدَع، ودُعَاتِهَا، وكَشفِ أَبَاطِيلِهم، وتَزييفِ أَضَالِيلِهم مِن أَعظَمِ الجِهَادِ في سَبيل الله تَعَالى .

ونَفعُهُ أَعظَمُ مِن نَفعِ الأَعـمَالِ العِبَاديَّـةِ الخَاصَّـةِ، وسَـائر أَنـوَاعِ التَّصَـانيف النَّافِعَةِ .

وإِن اقتَضَت "المَصلَحَةُ الشَّـرعيَّةُ" التَّعيينَ؛ فَهِيَ مُقَدَّمَةٌ؛ فَيَجِبُ التَّعيينُ .

4 4 4

وفي هَذَا يَقُولُ شَيخُ الإِسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«ومِثلُ "أَئمَّـةِ البِـدَعِ" مِـن أَهـلِ المَقَـالَاتِ المُخَالِفَـةِ لِلكِتَـابِ، والسُّـنَّةِ، أَو العِبَادَاتِ المُخَالِفَةِ لِلكِتَابِ، والسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ بَيَانَ حَالِـهِم، وتَحذِيرَ الأُمَّةِ مِـنهُم وَاجِـبٌ بِاتِّفَاقِ المُسلِمِينَ .

حَتَّى قِيلَ لأَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ: الرَّجُلُ يَصُومُ، ويُصَلِّي، ويَعتكِفُ أَحَبُّ إِلَيكَ، أَو يَتَكَلَّمُ في أَهلِ البِدَعِ ؟ .

فَقَالَ: "إِذَا قَامَ، وصَلَّى، واعتكَفَ؛ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَفسِهِ، وإِذَا تَكَلَّمَ في أَهلِ البِـدَعِ؛ فَإِنَّمَا هُوَ لِلمُسلِمِينَ هَذَا أَفضَلُ" .

فَبَيَّنَ أَنَّ نَفعَ هَذَا عَامٌّ لِلمُسلِمِينَ في دِينِهِم مِن جِنسِ الجِهَادِ في سَبِيلِ الله .

إذ تَطهِيرُ "سَبِيلِ الله"، و"دِينِهِ"، و"مِنهَاجِهِ"، و"شِرعَتِهِ"، ودَفعِ بَغيِ هَؤُلَاءِ، وعُدوَانِهِم عَلَى ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الكِفَايَةِ بِاتِّفَاقِ المُسلِمِينَ .

ولَولَا مَن يُقِيمُهُ اللهُ لِدَفعِ ضَرَرِ هَؤُلَاءِ؛ لَفَسَدَ الدِّينُ !، وكَـانَ فَسَـادُهُ أَعظَـمَ مِن فَسَادِ استِيلَاءِ العَدُوِّ مِن أَهلِ الحَربِ ! .

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا استَولَوا لَـم يُفسِدُوا القُلُوبَ، ومَا فِيهَا مِن الدِّينِ إِلَّا تَبَعًا .

وأَمَّا أُولَئِكَ فَهُم يُفسِدُونَ القُلُوبَ ابتِدَاءً ! .

وقَد قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ– : «إنَّ اللهَ لَا يَنظُرُ إلَى صُوَرِكُم، وأَموَالِكُم؛ وَإِنَّمَا يَنظُرُ إلَى قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم»[1] انتَهَى[2] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا– :

«فَالرَّادُّ عَلَى أَهلِ البِدَعِ مُجَاهِدٌ؛ حَتَّى كَانَ يَحيَى بنُ يَحيَى يَقُولُ: "الذَّبُّ عَن السُّنَّةِ أَفضَلُ مِن الجِهَادِ"» انتَهَى[3] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا– :

«لَكِن إذَا ظَهَرَ مُبتدِعٌ يَقدَحُ فِيهِم[4] بالبَاطِلِ؛ فَلا بُدَّ مِن الذَّبِّ عَنهُم، وذِكرِ مَا يُبطِلُ حُجَّتَهُ بعِلمٍ، وعَدلٍ» انتَهَى[5] .

❑ ❑ ❑

---

(١) أَخرَجَهُ مُسلِمٌ في «صَحيحِهِ» (٢٥٦٤) مِن حَديثِ أَبي هُريرَةَ – رَضيَ اللهُ عَنهُ– .

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٢٨/ ٢٣١–٢٣٢) .

(٣) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٤/ ١٣) .

(٤) [أَي: الصَّحَابَةِ] .

(٥) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٦/ ٢٥٤) .

المَعلَمُ الخَامسُ :

أنَّ هَذَا البَابَ "بَابَ الرَّدِّ عَلَى أَهلِ البدَعِ" مِن أَشرَفِ أَبوَابِ "العِلمِ النَّـافِعِ"، وهُوَ لِـمَن قَام بِهِ بحَقِّهِ مِن العُلَماء مِن أَعظَمِ المَنَاقِبِ .

وأَربَابُـهُ "أَفـرَادُ في الأُمَّـةِ" قَـد جَمَعُـوا العِلـمَ، وأَتقَنُـوهُ، وضَـبَطُوا أُصُـولَهُ، وحَقَّقُوهُ، وأَدرَكُوا مَقَاصِدَهُ، وحَصَّلُوهُ .

وأَعمَلُوا مَا فَتَحَ اللهُ تعَالى به عَلَيهم مِن "العِلم النَّافِعِ"، و"الفَهمِ الرَّاجِحِ" في نُصرَةِ دِينِ الله تَعَـالَى، والـذَّبِّ عَنـهُ، وبَيَـانِ الحَـقِّ، ورَدِّ البَاطـل، والصَّـبر في هَـذَا السَّبيلِ.

ولا يَصدُرُ إِلَّا عَن "أَهل الغَيرَةِ الصَّحِيحَةِ" عَلَى دِينِ الله تَعَالى .

فهُوَ مِن أَعظَم أَنوَاع "الجِهَادِ في سَبيل الله" لِـمَن احتَسَبَ، وصَبَرَ .

ولِـهَذا كَانَ مِن أَعظَم مَنَاقِب الإمَام أَحمَدَ الَّتي تَميَّزَ بهَا عَـن سَـائر الأَئمَّـةِ في زَمَانِهِ : "مَا قَامَ بِهِ مِن نُصرَةِ السُّنَّةِ"، و"الرَّدِّ علَى أَهل البِدَعِ، والضَّلَالِ"، و"الصَّـبرِ عَلَى الأَذَى في ذَلكَ" .

4 4 4

وفي هَذَا المَعنَى يَقُـولُ شَـيخُ الإِسـلَامِ ابـنُ تَيمِيَّـةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالَى - في "مُنَاظَرَةِ الوَاسِطِيَّةِ" :

«وقُلتُ - أَيضًا - في غَيرِ هَذَا المَجلسِ - :

الإِمَامُ أَحمَدُ - رَضِي اللهُ عَنهُ - لِـمَا انتَهَى إِلَيهِ مِن السُّنَّةِ، ونُصُوصِ رَسُولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلهِ]، وسَلَّمَ - أَكثَرَ مِمَّا انتَهَى إِلَى غَـيرِهِ، وابتُلـيَ بالمِحنَـةِ، والرَّدِّ على أَهل البِدَعِ أَكثَرَ مِن غَيرِهِ :

كَانَ كَلَامُهُ، وعَمَلُهُ فِي هَذَا البَاب أَكثَرَ مِـن غَـيرِهِ؛ فَصَـارَ "إِمَامًـا فِي السُّـنَّةِ" أَظهَرَ مِن غَيرِهِ .

وإِلَّا فَالأَمر كَمَا قَالَه بَعضُ شُيُوخ المَغَاربَةِ العُلَماءِ الصُّلَحَاءِ، قَالَ:

"المَذهَبُ لِمَالِكٍ، والشَّافِعِيِّ، والظُّهُورُ لأَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ" .

يَعني: أَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَيهِ أَحمَدُ عَلَيهِ جَمِيعُ أَئِمَّةِ الإِسلَام، وإِن كَـانَ لبَعضِـهِم مِن زِيَادَةِ العِلمِ، والبَيَانِ، وإِظهَار الحَقِّ، ودَفع البَاطِل مَا لَيسَ لبَعضٍ» انتَهى[(١)] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّية» (ص٢٣٦)، و«مَجمُوعَ الفتَاوى» (٣/ ١٧٠) .

المَعلَمُ السَّادسُ :

أَنَّ الخَائضَ فِي هَذَا البَاب الكَبيرِ "بَابِ الرَّدِّ عَلَى أَهل البِدَعِ" لابُـدَّ أَن يَكُـونَ "عَالِـمًا بِهِ"، "مُـحسِنًا لَهُ"، قَد جَمَعَ مِن "أَسبَابِ العِلمِ"، و"جَودَةِ الفَهمِ" مَا يُـدركُ بِهِ جَوَابَ شُبُهَاتِـهم .

فيَنصُرَ الحَقَّ بالدَّلائلِ الظَّاهِرَةِ، ويَرُدَّ البَاطِلَ بالحُجَجِ القَاطِعَةِ .

ومَن لا يَكُونُ "قَادِرًا عَلَى ذَلكَ"؛ فَالواجِبُ عَلَيهِ أَلَّا يتَصَـدَّرَ لِـمَا لا يُحسِـنُ، ويَخُوضَ فِيمَا لا يُتقِنُ .

فيَكُونَ ضَرَرُهُ أَعظَمَ مِن نَفعِهِ .

4 4 4

ولَقَد أَحسَنَ شَيخُ الإسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي بَيَانِ هَذَا؛ فقَالَ :

«فَكُلُّ مَن لَـم يُنَاظِر "أَهلَ الإلحَادِ، والبِدَعِ" مُنَاظَرَةً تَقطَعُ دَابرَهُم، لَـم يَكُن أَعطَى الإِسلَامَ حَقَّهُ، ولا وَفَّى بمُوجِب العِلمِ، والإِيمَانِ، ولا حَصَلَ بكَلَامِـهِ شِـفَاءُ الصُّدُورِ، وطُمَأنِينَةُ النُّفُوس، ولا أَفَادَ كَلَامُهُ العِلمَ، واليَقِينَ» انتهى[1] .

وقَالَ - أَيضًا - :

«وقَد يَنهَونَ عَن المُجَادَلَةِ، والمُنَاظَرَة، إذَا كَانَ المُنَاظِرُ ضَعيفَ العِلم بالحُجَّـةِ، وجَوَابِ الشُّبهَةِ؛ فيُخَافُ عَلَيهِ أَن يُفسِدَهُ ذَلكَ المُضِلُّ، كَمَا يُنهَى الضَّعِيفُ فِي المُقَاتَلَةِ أَن يُقَاتِلَ عِلجاً قَوِيًّا مِن عُلُوج الكُفَّار، فَإِنَّ ذَلـكَ يَضُـرُّهُ، ويَضُـرُّ المُسـلِمينَ بـلَا مَنفَعَةٍ...»[2] .

---

(١) انظُر: «دَرءَ تَعَارض العَقل والنَّقل» (١/ ٣٥٧) .

(٢) انظُر: «دَرءَ تَعَارض العَقل والنَّقل» (٧/ ١٧٣و١٧٤و١٧٥) .

وقَالَ - أَيضًا- :

«.. والمَقصُودُ: أَنَّهُم نَهَوا عَن المُنَاظَرَةِ مَن لا يَقُومُ بوَاجِبهَا، أَو مَن لا يَكُونُ في مُنَاظَرَتِهِ مَصلَحَةٌ رَاجِحَةٌ، أَو فِيهَا مَفسَدَةٌ رَاجِحَةٌ .

فهَذِهِ أُمُورٌ عَارِضَةٌ تَختَلِفُ باختِلَافِ الأَحوَالِ .

وأَمَّا جِنسُ المُنَاظَرَةِ بالحَقِّ؛ فَقَد تَكُونُ وَاجِبَةً تَارَةً، ومُستَحَبَّةً تَارَةً أُخرَى» انتهى[١] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٦/ ٢٥٤) .

المَعلَمُ السَّابعُ :

لا يَجُوزُ فِي هَذَا البَاب رَدُّ البِدعَةِ، والبَاطِلِ بِمَا هُوَ مِن "جِنسِهِمَا"، ولَو عَلَى وَجهِ الإلزَامِ، والإفحَامِ، ومُقَابَلَةِ "الفَاسِدِ" بـ "الفَاسِدِ" .

4 4 4

وقَد أَحسَنَ شَيخُ الإسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي بَيَانِ هَذَا؛ فقَالَ :

«فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ "**المُنتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ**" رَدُّوا مَا تَقُولُهُ المُعتَزِلَةُ، والرَّافِضَةُ، وغَيرُهُم مِن أَهلِ البِدَعِ بِكَلَامٍ فِيهِ - أَيضًا- "**بِدعَةٌ**"، و"**بَاطِلٌ**" ! .

وهَذِهِ طَرِيقَةٌ يَستَجِيزُهَا كَثِيرٌ مِن أَهلِ الكَلَامِ، ويَرَونَ أَنَّهُ يَجُوزُ مُقَابَلَةُ "**الفَاسِدِ**" بـ "**الفَاسِدِ**"[1] .

لَكِنَّ أَئِمَّةَ السُّنَّةِ، والسَّلَفِ عَلَى خِلَافِ هَذَا، وهُم يَذُمُّونَ أَهلَ الكَلَامِ المُبتَدَعِ الَّذِينَ يَرُدُّونَ "بَاطِلًا بِبَاطِلٍ"، و"بِدعَةً بِبِدعَةٍ" .

ويَأمُرُونَ أَلَّا يَقُولَ الإِنسَانُ إِلَّا الحَقَّ، لَا يَخرُجُ عَنِ السُّنَّةِ فِي حَالٍ مِنَ الأَحوَالِ.

وهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ، ورَسُولُهُ .

---

(١) كَمَا يَصنَعُ ذَلكَ الغَزَّالِيُّ، قَالَ شَيخُ الإِسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : «**ولِهَذَا تَجِدُ أَبَا حَامِدٍ فِي مُنَاظَرَتِهِ للفَلَاسفَةِ إِنَّمَا يُبطِلُ طُرُقَهم، ولا يُثبِتُ طَرِيقَةً مُعَيَّنَةً، بَل هُوَ كَمَا قَالَ: نُنَاظِرُهُم - يَعنِي مَعَ كَلَامِ الأَشعَرِيِّ- تَارَةً بكَلَامِ المُعتَزِلَةِ، وتَارَةً بكَلَامِ الكَرَّامِيَّةِ، وتَارَةً بطَرِيقِ الوَاقِفَةِ، وهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ الغَالِبُ عَلَيهِ فِي مُنتَهَى كَلَامِهِ**» انتهى مِن «دَرءِ تَعَارض العَقل والنَّقل» (١/ ١٦٣) .

ولِـهَذَا لَـم نَرُدَّ مَا تَقُولُهُ: المُعتَزِلَةُ، والرَّافِضَةُ مِن حَقٍّ؛ بَل قَبلنَاهُ، لَكِن بَيَّنَّا أَنَّ مَا عَابُوا بِهِ مُخَالِفِيهِم مِنَ الأَقوَالِ؛ فَفِي أَقوَالِـهِم مِنَ العَيبِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِـن ذَلِـكَ» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا – :

«وهَذِهِ الطَّرِيقَةُ هِيَ الَّتِي سَلَكَهَا مَن وَافَـقَ المُعتَزِلَـةَ فِي ذَلِـكَ كَــ "صَـاحِب الإرشَادِ"، وأَتبَاعِهِ، وهَؤُلاءِ يَرُدُّونَ دَلالَةَ الكِتَاب، والسُّنَّةِ :

/ ١ / تَارةً يُصَرِّحُونَ بأَنَّا وإن عَلمنَا مُرَادَ الرَّسُولِ؛ فَلَيسَ قَولُهُ مِمَّا يَجُوزُ أَن يُحتَجَّ بِهِ فِي مسَائل الصِّفَاتِ !؛ لأَنَّ قَولَهُ إنَّما يَدُلُّ بَعدَ ثُبُوت صِدقِهِ المَوقُوفِ عَلَى مَسَائل الصِّفَاتِ .

/ ٢ / وتَارةً يَقُولونَ: إنَّما لَـم يَدُلَّ؛ لأَنَّا لا نَعلَمُ مُرَادَهُ؛ لتَطَرُّق الاحتِمَـالاتِ إلى الأَدِلَّةِ السَّمعِيَّةِ ! .

/ ٣ / وتَارَةً يَطعَنُونَ فِي الأَخبَارِ .

فهَذِهِ "الطُّرُقُ الثَّلاثُ" الَّتي وَافَقُوا فيهَا الجَهميَّةَ، ونَحوَهُم مِن المُبتَدعَةِ :

أَسقَطُوا بهَا "حُرمَةَ الكتَاب"، و "الرَّسُول" عِندَهُم .

و"حُرمَةَ الصَّحَابَةِ"، و"التَّابعِينَ لَـهُم بإِحسَانٍ" .

حتَّى يَقُولُونَ: "إنَّهُم لَـم يُحَقِّقُوا أُصُولَ الدِّين كما حَقَّقنَاهَا" !! .

ورُبَّما اعتَذَرُوا عَنهُم بأَنَّهُم كَانُوا مُشتَغِلِينَ بالجِهَادِ، ولَـهُم مِـن جِـنسِ هَـذَا الكَلامِ الَّذِي يُوَافِقُونَ به الرَّافضَةَ، ونَحوَهُم مِن أَهل البِـدَعِ، ويُخَالفُونَ بِهِ الكِتَابَ، والسُّنَّةَ، والإجمَاعَ مِمَّا لَيسَ هَذَا مَوضِعَ بَسطِهِ .

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٢/ ٣٤٢)، وانظُر: «التَّدمريَّةَ» (ص١٣٥-١٣٦) .

وإنَّما نَبَّهنَا علَى أُصُولِ دِينِهم، وحقَائق أَقوَالِـهم .

وغَـايَتُهم أَنَّهُـم يَـدَّعُونَ في أُصُـولِ الـدِّينِ الْمُخَالفَـةِ للكِتَـابِ، والسُّـنَّةِ : "**المَعقُولَ**"، و"**الكَلَامَ**" .

وكَلامُهُم فِيهِ مِن التَّنَاقُض، والفَسَادِ مَا ضَارَعُوا بِهِ أَهلَ الإلـحَادِ؛ فَهُم مِـن جِنسِ الرَّافضَةِ: "**لا عَقلٌ صَريحٌ**"، و"**لا نَقلٌ صَحِيحٌ**"، بَل مُنتَهَاهُم "**السَّفسَطَةُ في العَقليَّاتِ**"، و"**القَرمَطَةُ في السَّمعيَّاتِ**" .

وهَذَا مُنتَهى "كُلِّ مُبتَدع" خَالَفَ شَيئاً مِن الكِتَاب، والسُّنَّةِ؛ حتَّى في "المَسَائل العَمَليَّةِ"، و"القَضَايَا الفِقهيَّةِ"» انتهى[1] .

❑ ❑ ❑

(١) انظُر: «دَرءَ تَعَارض العَقل والنَّقل» (٢/ ١٤-١٥) .

المَعلَمُ الثَّامنُ :

أنَّ الحُكمَ بـ"التَّكفِيرِ"، و"التَّبدِيعِ" عَلَى "الأَعيَانِ"، لا يَكُونُ إلَّا بَعدَ "إقَامَةِ الحُجَّةِ علَى المُخَالِفِ"، و"تَوَفُّرِ الشُّرُوطِ" لذَلكَ، و"انتِفَاءِ المَوَانِعِ" .

ولَيسَ مُجَرَّدُ وقُوعِهِ فِي "الكُفرِ"، أَو "البدعَةِ" مُوجِبًا لتَبدِيعِهِ بعَينِهِ إلَّا بَعدَ "قِيَامِ الحُجَّةِ الشَّرعِيَّةِ عَلَيهِ" .

والوَاجِبُ فِي هَذَا البَابِ "الوَرَعُ"، والحَذَرُ مِن إطلَاقِ الأَلفَاظِ عَلَى "الأَعيَانِ"؛ حَتَّى تَظهَرَ الحُجَّةُ الَّتِي لا يَجُوزُ خِلَافُهَا .

ودُونَ ذَلكَ: فَالوَاجِبُ إنكَارُ البِدعَةِ عَلى صَاحبِهَا، ورَدُّهَا، والانتِصَارُ للسُّنَّةِ.

4 4 4

ويُقَرِّرُ هَذَا المَعنَى شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-؛ فَيَقُولُ :

«هَذَا مَعَ أَنِّي - دَائِمًا- ومَن جَالَسَنِي يَعلَمُ ذَلِكَ مِنِّي:

أَنِّي مِن أَعظَمِ النَّاسِ نَهيًا عَن أَن يُنسَبَ مُعَيَّنٌ إِلَى "تكفِيرٍ"، و"تَفسِيقٍ"، و"مَعصِيَةٍ"، إِلَّا إذَا عُلِمَ أَنَّهُ قَد قَامَت عَلَيهِ "الحُجَّةُ الرِّسَالِيَّةُ" الَّتِي مَن خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً، وفَاسِقًا أُخرَى وَعَاصِيًا أُخرَى .

وأَنِّي أُقَرِّرُ أَنَّ اللهَ قَد غَفَرَ لِـهَذِهِ الأُمَّةِ خَطَأَهَا؛ وذَلِكَ يَعُمُّ الخَطَأَ فِي "**المَسَائِلِ الخَبَرِيَّةِ القَولِيَّةِ**"، و"**المَسَائِلِ العَمَلِيَّةِ**" .

ومَا زَالَ السَّلَفُ يَتَنَازَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِن هَذِهِ المَسَائِلِ، ولَم يَشهَد أَحَدٌ مِنهُم عَلَى أَحَدٍ لَا بِـ"**كُفرٍ**"، ولَا بِـ"**فِسقٍ**"، ولَا "**مَعصِيَةٍ**" .

كَمَا أَنكَرَ شريح قِرَاءَةَ مَن قَرَأَ : ﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴾ (١٢) [الصافات]، وقَالَ: "**إِنَّ اللهَ لَا يَعجَبُ**"؛ فَبَلَغَ ذَلكَ إبرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ .

فَقَالَ: "إِنَّمَا شريح شَاعِرٌ يُعجِبُهُ عِلمُهُ؛ كَانَ عَبدُ الله أَعلَمَ مِنهُ، وكَانَ يَقرَأُ: ﴿عَجِبتُ﴾ [الصافات]" .

وكَمَا نَازَعَت عَائِشَةُ، وغَيرُهَا مِن الصَّحَابَةِ في رُؤيَةِ مُحَمَّدٍ رَبَّهُ .

وقَالَت: "مَن زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ؛ فَقَد أَعظَمَ عَلَى الله الفِريَةَ" .

ومَعَ هَذَا لَا نَقُولُ لابنِ عَبَّاسٍ، ونَحوِهِ مِن المُنَازِعِينَ لَهَا: إِنَّهُ "مُفتَرٍ عَلَى الله" ! .

وكَمَا نَازَعَت في "سَمَاعِ المَيِّتِ كَلَامَ الحَيِّ"، وفي "تَعذِيبِ المَيِّتِ بِبُكَاءِ أَهلِهِ"، وغَيرِ ذَلِكَ .

وقَد آلَ الشَّرُّ بَينَ السَّلَفِ إِلَى الاِقتِتَالِ، مَعَ اتِّفَاقِ أَهلِ السُّنَّة عَلَى أَنَّ الطَّائِفَتَينِ جَمِيعًا "مُؤمِنَتَانِ"، وأَنَّ الاقتِتَالَ لَا يَمنَعُ "العَدَالَةَ الثَّابِتَةَ لَهُم" .

لأَنَّ المُقَاتِلَ وإِن كَانَ بَاغِيًا؛ فَهُوَ "مُتَأَوِّلٌ"، و"التَّأوِيلُ يَمنَعُ الفُسُوقَ"[1] .

وكُنتُ أُبَيِّنُ لَهُم أَنَّمَا نُقِلَ لَهُم عَن السَّلَفِ، والأَئِمَّةِ مِن إِطلَاقِ القَولِ بِـ"تَكفِيرِ مَن يَقُولُ كَذَا وكَذَا"؛ فَهُوَ - أَيضًا - حَقٌّ .

لَكِن يَجِبُ التَّفرِيقُ بَينَ "الإِطلَاقِ"، و"التَّعيِينِ" .

وهَذِهِ أَوَّلُ مَسأَلَةٍ تَنَازَعَت فِيهَا الأُمَّةُ مِن "مَسَائِلِ الأُصُولِ الكِبَارِ"؛ وهِيَ "مَسأَلَةُ الوَعِيدِ"؛ فَإِنَّ نُصُوصَ القُرآنِ في الوَعِيدِ مُطلَقَةٌ .

كَقَولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾ [النساء] .

وكَذَلِكَ سَائِرُ مَا وَرَدَ: "مَن فَعَلَ كَذَا؛ فَلَهُ كَذَا" .

---

(١) تَأَمَّل هَذَا .

فَإِنَّ هَذِهِ "**مُطلَقَةٌ عَامَّةٌ**" .

وهِيَ بِمَنزِلَةِ قَولِ مَن قَالَ مِن السَّلَفِ: "**مَن قَالَ كَذَا؛ فَهُوَ كَذَا**"[1] .

ثُمَّ "**الشَّخصُ المُعَيَّنُ**" يَلتَغي حُكمُ الوَعِيدِ فِيهِ: بِـ"**تَوبَةٍ**"، أَو "**حَسَنَاتٍ مَاحِيَةٍ**"، أَو "**مَصَائِبَ مُكَفِّرَةٍ**"، أَو "**شَفَاعَةٍ مَقبُولَةٍ**" .

و"**التَّكفِيرُ**" **هُوَ مِن** "**الوَعِيدِ**" .

فَإِنَّهُ وإِن كَانَ القَولُ "**تَكذِيبًا**"؛ لِـمَا قَالَهُ الرَّسُولُ، لَكِن قَد يَكُونُ الرَّجُلُ "**حَدِيثَ عَهدٍ بِإِسلَامٍ**"، أَو "**نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ**" .

ومِثلُ هَذَا لَا يَكفُرُ بِـ"**جَحدِ مَا يَجحَدُهُ**"؛ حَتَّى تَقُومَ عَلَيهِ "**الحُجَّةُ**" .

وقَد يَكُونُ الرَّجُلُ لَا يَسمَعُ تِلكَ النُّصُوصَ، أَو سَمِعَهَا، ولَم تَثبُت عِندَهُ، أَو عَارَضَهَا عِندَهُ مُعَارِضٌ آخَرُ أَوجَبَ تَأوِيلَهَا - وإِن كَانَ مُخطِئًا- .

وكُنت دَائِمًا أَذكُرُ الحَدِيثَ الَّذِي فِي «الصَّحِيحَينِ» فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ: «**إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحرِقُونِي** .. »[2] .

فَهَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي "**قُدرَةِ اللهِ**"، وفِي إِعَادَتِهِ إِذَا ذُرِّيَ، بَل اعتَقَدَ أَنَّهُ لَا يُعَادُ !.

وهَذَا "**كُفرٌ بِاتِّفَاقِ المُسلِمِينَ**"، لَكِن كَانَ "**جَاهِلًا**" لَا يَعلَمُ ذَلِكَ .

وكَانَ "**مُؤمِنًا يَخَافُ اللهَ**" أَن يُعَاقِبَهُ؛ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ .

و"**المُتَأَوِّلُ مِن أَهلِ الِاجتِهَادِ الحَرِيصُ عَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ**" أَولَى بِالمَغفِرَةِ مِن مِثلِ هَذَا» انتَهَى[3] .

❑ ❑ ❑

---

(١) أَي: فَهُوَ جَهمِيٌّ - مَثَلًا- .

(٢) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣٤٧٨)، ومُسلِمٌ (٢٧٥٦) عَن أَبِي هُرَيرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- .

(٣) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوَى» (٣/ ٢٢٩-٢٣١) .

وقَالَ - أَيضًا- :

«وإِنَّمَا المَقصُودُ هُنَا :

أَنَّ مَا ثَبَتَ قُبحُهُ مِن البِدَعِ، وغَيرِ البِدَعِ مِن المَنهِيِّ عَنهُ في الكِتَابِ، والسُّنَّةِ، أَو المُخَالِفِ لِلكِتَابِ، والسُّنَّةِ؛ إِذَا صَدَرَ عَن شَخصٍ مِن الأَشخَاصِ؛ فَقَد يَكُونُ عَلَى وَجهٍ يُعذَرُ فِيهِ :

إِمَّا لـ"**اجتِهَادٍ**"، أَو "**تَقلِيدٍ**" يُعذَرُ فِيهِ، وإِمَّا لِـ"**عَدَمِ قُدرَتِهِ**" كَمَا قَد قَرَّرتهُ في غَيرِ هَذَا المَوضِعِ .

وقَرَّرتُهُ - أَيضًا- في أَصلِ "**التَّكفِيرِ**"، و"**التَّفسِيقِ**" المَبنِيِّ عَلَى "**أَصلِ الوَعِيدِ**" .

فَإِنَّ "**نُصُوصَ الوَعِيدِ**" الَّتِي في الكِتَابِ، والسُّنَّةِ، ونُصُوصَ الأَئِمَّةِ بِـ"**التَّكفِيرِ**"، و"**التَّفسِيقِ**"، ونَحوِ ذَلِكَ؛ لَا يَستَلزِمُ ثُبُوتُ مُوجَبِهَا في "**حَقِّ المُعَيَّنِ**" إِلَّا إِذَا "**وُجِدَت الشُّرُوطُ**"، و"**انتَفَت المَوَانِعُ**"، لَا فَرقَ في ذَلِكَ بَينَ "**الأُصُولِ**"، و"**الفُرُوعِ**"؛ هَذَا في عَذَابِ الآخِرَةِ .

فَإِنَّ المُستَحِقَّ لِلوَعِيدِ مِن عَذَابِ اللهِ، ولَعنَتِهِ، وغَضَبِهِ في الدَّارِ الآخِرَةِ، **خَالِدٌ في النَّارِ**، أَو **غَيرُ خَالِدٍ** .

وأَسمَاءُ هَذَا الضَّربِ مِن "الكُفرِ"، و "الفِسقِ" يَدخُلُ في هَذِهِ القَاعِدَةِ سَوَاءٌ كَانَ بِسَبَبِ "بِدعَةٍ اعتِقَادِيَّةٍ"، أَو "عِبَادِيَّةٍ"، أَو بِسَبَبِ "فُجُورٍ في الدُّنيَا"، وهُوَ "الفِسقُ بِالأَعمَالِ" .

فَأَمَّا "**أَحكَامُ الدُّنيَا**"؛ فَكَذَلِكَ - أَيضًا-؛ فَإِنَّ "**جِهَادَ الكُفَّارِ**" يَجِبُ أَن يَكُونَ مَسبُوقًا بِـ"**دَعوَتِهِم**"؛ **إِذ لَا عَذَابَ إِلَّا عَلَى مَن بَلَغَتهُ الرِّسَالَةُ** .

وكَذَلِكَ عُقُوبَةُ الفُسَّاقِ لَا تَثبُتُ إلَّا بَعدَ "**قِيَامِ الحُجَّةِ**"» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ تِلمِيذُهُ - **العَارِفُ بمَذهَبِهِ**- الحَافِظُ أَبُو عَبدِ الله الذَّهَبيُّ - رَحِـــمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

«**ومَذهَبُهُ تَوسِعَةُ العُذرِ للخَلقِ، ولا يُكَفِّرُ أَحَدًا إلَّا بَعدَ قِيَامِ الدَّلِيلِ، والحُجَّةِ عَلَيهِ** .

ويَقُولُ: "**هَذِهِ المَقَالَةُ كُفرٌ، وضَلَالٌ، وصَاحِبُهَا مُجتَهِدٌ جَاهِلٌ، لَـم تُقَـم عَلَيـهِ حُجَّةُ الله، ولَعَلَّهُ رَجَعَ عَنهَا، أَو تَابَ إلَى الله**" .

ويَقُولُ: "**إيمَانُهُ ثَبَتَ لَهُ بيَقِينٍ؛ فَلا نُخرِجُهُ مِنهُ إلَّا بيَقِينٍ**" ! .

"**أَمَّا مَن عَرَفَ الحَقَّ، وعَانَدَهُ، وحَادَ عَنهُ؛ فَكَافِرٌ مَلعُـونٌ كَـإبلِيسَ، وإلَّا مَـن الَّذِي يَسلَمُ مِن الخَطَإِ في الأُصُولِ، والفُرُوعِ**" .

ويَقُولُ في كِبَارِ المُتَكَلِّمِينَ، والحُكَمَاءِ: "**هَؤُلاءِ مَا عَرَفُوا الإِسلَامَ، ولا مَا جَـاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ** - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- "[2] .

ويَقُولُ في كَثِيرٍ مِن أَحوَالِ المَشَايخ: إنَّهَا "**شَيطَانيَّةٌ**"، أَو "**نَفسَانيَّةٌ**"؛ **فيُنظَـرُ في** "**مُتَابَعَةِ الشَّيخِ الكِتَابَ**"، و"**السُّنَّةَ**"، وفي "**شَمَائِلِهِ**"، و"**تَأَلُّـهِهِ**"، و"**عِلمِهِ**"؛ **فَإن كَانَ**

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (١٠/ ٣٧١-٣٧٢) .

(٢) وقَالَ عَنهُم : « [إنَّ] أَكثَـرَهُم، لَا خِبرَةَ لَـهُم بِمَا دَلَّ عَلَيهِ الكِتَـابُ، والسُّـنةُ، وآثَـارُ الصَّحَابَةِ، والتَّابعينَ لَـهُم بإحسَانٍ؛ بَل يَنصُـرُ مَقَالَاتٍ يَظُنُّهَا "دِينَ المُسـلِمِينَ" !؛ بَـل "إجمَـاعَ المُسلِمِينَ" !، ولَا يَكُـونُ قَد قَالَـهَا أَحَدٌ مِن السَّلَفِ؛ بَل الثَّابِتُ عَن السَّلَفِ مُخَالِفٌ لَـهَا» انتَهَى مِن «مَجمُوعِ الفتَاوى» (١٧/ ٣٣٤-٣٣٥) .

كَذلكَ فَحَالُهُ صَـحِيحٌ، وكَشـفُهُ رَحمَـانِيٌّ، وبَعضُـهُم لَـهُ رِئـيٌ مِـن الجِـنِّ؛ فيُخـبرُ بالمغيَّبَاتِ ليُغوِيَهُ" .

ولَهُ في ذَلكَ تَصانيفُ عَدِيدَةٌ، وعِندَهُ في ذَلكَ حِكَايَاتٌ عَن هَـذا الضَّـربِ، وهَذَا الضَّربِ، لَو جُمِعَ لبَلَغَت مُجَلَّدَاتٍ، وهِيَ مِن أَعجَبِ العَجَبِ» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «المَسَائلَ والأَجوِبَةَ» (ص٢٤٦-٢٤٧/ نَشـر الفَـاروق الحَديثَـة)، و«تَرجَمَـةَ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ للذَّهَبيِّ» (ص ١٠١-١٠٤/ ت د. خَالدِ الرَّبَعيِّ)، و«التَّرجَمَةَ المَفقُودَةَ مِن كِتَاب سِيَرَ أَعلامِ النُّبَلاءِ» (نَشر شَبَكَة الأَلُوكَة)، و«ذَيلَ طَبَقَات الحنَابلَة» (٥/ ٥٠٦) .

المَعلَمُ التَّاسعُ :

مِن شَأنِ أَهلِ الأَهوَاءِ، ورَديءِ مَسَالكِهِم :

إِلزَامُ النَّاس بأَقوَالِـهم مِن غَيرِ أَن يُقِيمُوا عَلَيهَـا مِـن الحُجَّـةِ، والبُرهَـانِ مَـا يُوجِبُ اتِّبَاعَهُم في أَقوَالِـهم .

وهذَا المَسلَكُ يُنَافي العَدلَ المَأمُورَ بِهِ، وهُـوَ البَغـيُ الَّـذي هُـوَ سَـبَبُ الفِـتَنِ، والقَلَاقِلِ، والافتِرَاقِ .

4 4 4

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى – :

«ومِـمَّا يَجِبُ أَن يُعلَمَ أَنَّ الَّذي يُرِيدُ أَن يُنكِرَ عَلَى النَّاسِ، لَيسَ لَهُ أَن يُنكِـرَ إِلَّا بِحُجَّةٍ، وبَيَانٍ؛ إِذ لَيسَ لأَحَدٍ أَن يُلزِمَ أَحَدًا بِشَيءٍ، ولَا يَحظُرَ عَـلَى أَحَـدٍ شَـيئًا، بِـلَا حُجَّةٍ خَاصَّةٍ، إِلَّا رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ – المُبَلِّغُ عَن الله .

الَّذي أَوجَبَ عَلَى الخَلقِ طَاعَتَهُ فِيمَا أَدرَكَتهُ عُقُولُـهُم، ومَا لَـم تُدرِكهُ، وخَبَرُهُ مُصَدَّقٌ فِيمَا عَلِمنَاهُ، ومَا لَـم نَعلَمهُ .

وأَمَّا غَيرُهُ إِذَا قَالَ: "**هَذَا صَوَابٌ، أَو خَطَأٌ**" .

فَإِن لَـم يُبَيِّن ذَلكَ بِمَا يَجِبُ بِهِ اتِّـبَاعُهُ :

[فَالوَاجِبُ إِنكَارُهُ بعِلمٍ]؛ **فَلَيسَ لأَحَدٍ مِن خَلقِ الله كَائِنًا مَن كَـانَ أَن يُبطِـلَ قَولًا، أَو يُحَرِّمَ فِعلًا إِلَّا بِسُلطَانِ الحُجَّةِ، وإِلَّا كَـانَ مِمَّـن قَـالَ اللهُ فِيـهِ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر/ ٥٦] .

وقال فيه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر]» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أيضًا - :

«فـ"البَغيُ" مَذمُومٌ مُطلَقاً، سَواءً كَانَ في أَن يُلزِمَ الإنسَانُ النَّاسَ بِمَا لا يَلزَمُهُم، ويَذُمَّهُم علَى تَركِهِ، أَو بأَن يَذُمَّهُم علَى مَا هُم مَعذُورُونَ فيهِ.

واللهُ يَغفرُ لَهُم خطَأَهُم فِيهِ؛ فمَن ذَمَّ النَّاسَ، وعَاقَبَهُم علَى مَا لَم يَذُمَّهَم اللهُ تعَالى، ويُعَاقِبَهُم.

فقَد بَغَى عَلَيهم؛ لا سِيَّمَا إذَا كَانَ ذَلكَ لأَجل هَوَاهُ!.

وقَد قَالَ تعَالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص/٢٦].

واللهُ تَعَالى قَد قَالَ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣]» انتَهى[2].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - :

«.. وتَولَّى القَضَاءَ أَحمَدُ بنُ أَبي دُؤَادٍ، وأَقَامَ أَحمَدَ بنَ حَنبَلٍ في الحَبسِ مِن سَنَةِ ثَماني عَشرَةَ إلَى سَنَةِ عِشرِينَ.

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢٤٥) بتَصَرُّفٍ يَسيرٍ.

(٢) انظُر: «دَرءَ تَعَارض العَقل والنَّقل» (٨/ ٤٠٨).

ثُمَّ إنَّهم طَلَبُوهُ، ونَاظَرُوهُ أيَّامًا مُتعَدِّدَةً؛ فدَفَعَ حُجَجَهم، وبَيَّنَ فَسَادَهَا، وأَنَّهُم لَـم يَأْتُوا علَى مَا يَقُولُونَهُ بحُجَّةٍ لا مِن كتَابٍ، ولا مِن سُنَّةٍ، ولا من أَثَرٍ .

وأَنَّهُ لَيسَ لَـهُم أَن يَبتَدِعُوا قَولًا، ويُلزمُوا النَّاسَ بمُوَافَقَتِهم عَلَيهِ، ويُعَـاقِبُوا مَن خَالَفَهُم .

وإنَّـما يَلـزَمُ النَّـاسَ مَـا أَلـزَمَهُم اللهُ، ورَسُـولُهُ، ويُعَاقَـبُ مَـن عَصَىـ اللهَ، ورَسُولَهُ[١] .

فَإنَّ الإيجَابَ، والتَّحريمَ، والثَّوَابَ، والعِقَابَ، والتَّكفِيرَ، والتَّفسِـيقَ هُـوَ إلَى اللهِ، ورَسُولِهِ، لَيسَ لأَحَدٍ في هَذا حُكمٌ .

وإنَّما علَى النَّاس إيجَـابُ مَـا أَوجبَـهُ اللهُ، ورَسُـولُه، وتَحـريمُ مَـا حَرَّمَـهُ اللهُ، ورَسُولُهُ، وتَصدِيقُ مَا أخبَرَ اللهُ بهِ، ورَسُولُهُ.

وجَرَت في ذَلكَ أُمُورٌ يَطُولُ شَرحُهَا» انتَهَى[٢] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

«ولَفظُ "**الشَّرعِ**" يُقَالُ في عُرفِ النَّاسِ عَلَى ثَلاثَةِ مَعَانٍ :

"**الشَّرعُ المُنَزَّلُ**"، وهُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ .

وهَذَا يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، ومَن خَالَفَهُ وَجبَت عُقُوبَتُهُ .

والثَّاني: "**الشَّرعُ المُؤَوَّلُ**" وهُوَ آرَاءُ العُلَماءِ المُجتَهِدِينَ فِيهَا، كَمَذهَبِ مَالِـكٍ، ونَحوِهِ .

---

(١) تَأَمَّل هَذَا .

(٢) انظُـر: «شَرحَ حَـدِيث النُّـزُول» (ص١٧١)، و«مَجمُـوعَ الفتَـاوى» (٥/ ٥٥٤- ٥٥٥).

فَهَذَا يَسُوغُ اتِّبَاعُهُ، ولَا يَجِبُ، ولَا يَحْرُمُ .

ولَيسَ لأَحَدٍ أَن يُلزِمَ عُمُومَ النَّاسِ بِهِ، ولَا يَمنَعَ عُمُومَ النَّاسِ مِنهُ .

والثَّالِثُ: "**الشَّرعُ المُبَدَّلُ**" وهُوَ الكَذِبُ عَلَى اللهِ، ورَسُولِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ-، أَو عَلَى النَّاسِ بِشَهَادَاتِ الزُّورِ، ونَحوِهَا، والظُّلمِ البَيِّنِ .

فَمَن قَالَ: "**إِنَّ هَذَا مِن شَرعِ اللهِ**"؛ **فَقَد كَفَرَ بِلَا نِزَاعٍ** .

كَمَن قَالَ: "**إِنَّ الدَّمَ، والمَيتَةَ حَلَالٌ**"، ولَو قَالَ: هَذَا مَذهَبِي، ونَحوُ ذَلِكَ .

فَلَو كَانَ الَّذِي "حَكَمَ بِهِ ابنُ مَخلُوفٍ" هُوَ مَذهَبُ مَالِكٍ، أَو الأَشعَرِيِّ، لَم يَكُن لَهُ أَن يُلزِمَ جَمِيعَ النَّاسِ بِهِ .

ويُعَاقِبَ مَن لَم يُوَافِقهُ عَلَيهِ بِاتِّفَاقِ الأُمَّةِ ! .

فَكَيفَ والقَولُ الَّذِي يَقُولُهُ، ويُلزِمُ بِهِ هُوَ خِلَافُ نَصِّ مَالِكٍ، وأَئِمَّةِ أَصحَابِهِ ؟! .

وخِلَافُ نَصِّ الأَشعَرِيِّ، وأَئِمَّةِ أَصحَابِهِ: كَالقَاضِي أَبِي بَكرٍ، وأَبِي الحَسَنِ الطَّبَرِيِّ، وأَبِي بَكرٍ ابنِ فُورَكٍ، وأَبِي القَاسِمِ القُشَيرِيِّ، وأَبِي بَكرٍ البَيهَقِيِّ، وغَيرِ هَؤُلَاءِ ؟! .

كُلُّهُم مُصَرِّحُونَ بِمِثلِ مَا قُلنَاهُ، وبِنَقِيضِ مَا قَالَهُ .

ولِهَذَا اصطَلَحَت الحَنبَلِيَّةُ، والأَشعَرِيَّةُ، واتَّفَقَ النَّاسُ كُلُّهُم» انتَهَى[(١)] .

❑ ❑ ❑

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢٦٨-٢٦٩) .

المَعلَمُ العَاشرُ :

مِن أَخطَرِ مَسَالكِ أَهلِ البدَعِ :

مَسلَكٌ خَطيرٌ أَفسَـدَ الأَديَـانَ، والأُمَـمَ، وفَـرَّقَ أَهـلَ الإِسـلامِ؛ حَتَّـى كَفَّـرَ بَعضُهُم بَعضًا، واستَحَلُّوا دِمَاءَهُم، أَلَا وهُوَ :

"التَّأويلُ الفَاسدُ لنُصُوصِ الوَحيينِ"، وحَقيقَتُهُ "التَّحريفُ" .

4 4 4

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- في "مُنَاظَرَةِ الوَاسطيَّة" :

«فَاعتَرَضَ بَعضُهُم عَلَى قَولي فِيهَا: "**وَمِن الإيمَانِ باللهِ الإِيـمَانُ بِـمَا وَصَـفَ بِـهِ نَفسَهُ، ووَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِن غَيرِ تَحرِيفٍ، ولَا تَعطِيلٍ، ولَا تَكيِيفٍ، ولَا تَمثِيلٍ**" .

ومَقصُودُهُ أَنَّ هَذَا يَنفِي "**التَّأويلَ**" الَّذي هُوَ صَرفُ اللَّفظِ عَـن ظَـاهِرِهِ: إِمَّـا وُجُوبًا، وإِمَّا جَوَازًا .

فَقُلتُ: إِنِّي عَدَلت عَن لَفظِ التَّأوِيلِ إِلَى لَفظِ "التَّحرِيفِ"؛ لأَنَّ التَّحرِيفَ اسمٌ جَاءَ القُرآنُ بِذَمِّهِ؛ وأَنَا تَحَرَّيت في هَذِهِ العَقِيدَةِ اتِّبَاعَ الكِتَابِ، والسُّنَّةِ؛ فَنَفَيتُ مَا ذَمَّهُ اللهُ مِن التَّحرِيفِ، ولَـم أَذكُر فِيهَا لَفظَ "التَّأوِيلِ"؛ لأَنَّهُ لَفظٌ لَهُ عِدَّةُ مَعَانٍ؛ كَمَا بَيَّنتُـهُ في مَوضِعِهِ مِن القَوَاعِدِ .

فَإِنَّ مَعنَى لَفظِ "**التَّأوِيلِ**" في كِتَـابِ الله، غَـيرُ لَفـظِ "**التَّأوِيـلِ**" في اصـطِلَاحِ المُتَأَخِّرِينَ مِن أَهلِ الأُصُولِ، والفِقهِ .

وغَيرُ مَعنَى لَفظِ "**التَّأوِيلِ**" في اصطِلَاحِ كَثِيرٍ مِن أَهلِ التَّفسِيرِ، والسَّلَف .. » انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ١٩٤-١٩٥) .

وقَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

«**وبالجُملَةِ**: فَافترَاقُ أَهلِ الكِتَابَينِ، وافترَاقُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى ثَـلَاثٍ وسَـبعِينَ فِرقَةً؛ إِنَّمَا أَوجَبَهُ "**التَّأوِيلُ**"، وإِنَّمَا أُرِيقَت دِمَـاءُ الْمُسـلِمِينَ يَـومَ الجَمَـلِ، وصِـفِّينَ، والحَرَّةِ، وفِتنَةِ ابنِ الزُّبَيرِ، وهَلُمَّ جَرًّا بِـ"**التَّأوِيلِ**" .

وإِنَّـمَا دَخَـلَ أَعـدَاءُ الإِسـلَامِ مِـنَ الْمُتَفَلسِـفَةِ، والقَرَامِطَـةِ، والبَاطِنِيَّـةِ، والإِسمَاعِيلِيَّةِ، والنُّصَيرِيَّةِ مِن بَابِ التَّأوِيلِ .

فَـمَا امتُحِنَ الإِسلَامُ بِمِحنَةٍ قَطُّ إِلَّا وَسَبَبُهَا "التَّأوِيلُ" ! .

فَإِنَّ مِحنَتَهُ إِمَّا مِن الْمُتَأَوِّلِينَ، وإِمَّا أَن يُسَلَّطَ عَلَيهِم الكُفَّارُ بِسَبَبِ مَا ارتَكَبُوا مِن "التَّأوِيلِ"، وخَالَفُوا ظَاهِرَ التَّنزِيلِ، وتَعَلَّلُوا بِالأَبَاطِيلِ» انتَهى[(١)] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا– :

«**الفَصلُ الخَامِسُ عَشَرَ: فِي جِنَايَاتِ التَّأوِيل علَى أَديَـانِ الرُّسُـل وأَنَّ خَـرَابَ العَالَـم، وفَسَادَ الدُّنيَا، والدِّين بسَبَب فَتحِ بَاب "التَّأوِيل"** .

إذا تَأَمَّل الْمُتَأَمِّلُ "**فَسَادَ العَالَـمِ**"، ومَا وَقَعَ فِيهِ مِن "**التَّفَرُّقِ**"، و"**الاختِلَافِ**"، و"**مَا دَفَعَ إِلَيهِ أَهلَ الإِسلَامِ**"، وجَدَهُ نَاشِئًا مِن جِهَةِ :

"**التَّأويلَاتِ الْمُختَلفَةِ الْمُستعمَلَةِ فِي آيَاتِ القُرآنِ، وأَخبَار الرَّسُولِ**" .

الَّتي تعَلَّقَ بهَا الْمُختَلِفُونَ علَى اختِلَافِ أَصنَافِهِم فِي أُصُول الدِّينِ، وفُرُوعِهِ .

فإِنَّهَا أَوجَبَت مَا أَوجَبَت مِن "التَّبَايُن"، و"التَّحَـارُب"، و"تَفَـرُّقِ الكَلِمَـةِ"، و"تَشَتُّت الأَهوَاءِ"، و"تَصَدُّعِ الشَّملِ"، و"انقِطَاعِ الحَبلِ"، و"فَسَادِ ذَاتِ البَيَنِ" .

---

(١) انظُر: «أَعلامَ الْمُوقِّعينَ» (٤/ ١٩٣) .

حتَّى صَارَ "**يُكَفِّرُ، ويَلعَنُ بَعضُهُم بَعضًا**"، وتَـرَى طَوَائـفَ مِـنهُم "**تَسـفِكُ دِمَاءَ الآخَرينَ**"، وتَستَحِلُّ مِنهُم أَنفُسَهُم، وحُرَمَهُم، وأَموَالَـهُم مَا هُوَ أَعظَم مَـمَّا يَرصُدُهم بِهِ أَهلُ دَارِ الحَربِ مِن المُنَابذِينَ لَـهُم ! .

فالآفَاتُ الَّتي جَنَتهَا، ويَجنيهَا كُلَّ وَقـتٍ أَصـحَابُهَا عـلَى المِلَّـةِ، والأُمَّـةِ مِـن "**التَّأويلَاتِ الفَاسِدَةِ**" **أَكثَرُ مِن أَن تُحصَـى، أَو يَبلُغَهَا وَصفُ وَاصِفٍ، أَو يُحِيطَ بهَـا ذِكرُ ذَاكِرٍ !** .

ولَكنَّهَا في جُملَةِ القَولِ "**أَصلُ كُلِّ فَسَادٍ، وفِتنَةٍ، وأَسَاسُ كُلِّ ضَلالٍ، وبِدعَةٍ، والمُوَلِّدَةُ لكُلِّ اختِلَافٍ، وفُرقَةٍ، والنَّاتِجَةُ أَسبَابَ كُلِّ تبَايُنٍ، وعَدَاوَةٍ، وبِغضَةٍ**" .

ومِن عَظِيم آفَاتِهَا - ومُصيبَةُ الأُمَّةِ بِهَا- :

أَنَّ الأَهوَاءَ المُضلَّةَ، والآرَاءَ المُهلكَةَ الَّتي تَتوَلَّـدُ مِـن قَبلهَـا لا تَـزَالُ تَنمُـو !، وتَتَزَايدُ علَى مَرِّ الأَيَّام، وتَعَاقُب الأَزمِنَةِ[1] ..

قَالَ :

«فَلا تَطمَعُ أَهلُ المِلَّةِ اليَهُوديَّةِ، ولا النَّصرَانيَّةِ، ولا المَجُوسـيَّةِ، ولا الثَّانويَّـةِ، ونَحوهِم أَن يُدخِلُوا أُصُولَ مِلَلِهِم في الإِسلَام، ولا يَدعُوا مُسلمًا إِلَيهِ، ولا يُدخِلُوهُ إِلَيهِم مِن بَابهِ أَبدًا .

بخِلَافِ "فِرقَةِ التَّأويل"؛ فَإِنَّهم يَدعُونَ المُسـلمَ مِـن بَـابِ القُـرآنِ، والسُّـنَّةِ، وتَعظِـيمهِمَا، وأَنَّ لنُصُوصِـهِمَا تَـأويلًا لا يُوجَـدُ إِلَّا عِنـدَ خَـوَاصِّ أَهـل العِلـمِ، والتَّحقِيقِ، وأَنَّ العَامَّةَ في عُمى عَنهُ ! .

فضَرَرُ هَذهِ الفِرقَةِ علَى الإِسلَامِ، وأَهلِهِ أَعظَمُ مِن ضَرَرِ أَعدَائهِ المُنَابذِينَ لَهُ .

---

(١) وهَذِهِ بَلِيَّةٌ عَظيمَةٌ؛ وكُلَّمَا مَرَّ الزَّمَنُ زَادَ الاعوِجَاجُ، والانحِرَافُ .

ومَثَلُهُم ومَثَلُ أُولئكَ كمَثَل قومٍ في حِصنٍ حَارَبَهُم عَدُّو لَـهُم؛ فَلَم يَطمَع في فَتح حِصنِهِم، والدُّخولِ عَلَيهم؛ فعَمَـدَ جَمَاعَـةٌ مِـن أَهـل الحِصـنِ؛ ففَتَحُـوهُ لَـهُ، وسَلَّطُوهُ عَلى الدُّخُولِ إِلَيهِ؛ فكَانَ مُصَابُ أَهل الحِصنِ مِن قِبَلِهِم» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

إِلَى أَن قَالَ بَعدَ سَردٍ لِـمِحَنِ "أَئمَّةِ الإِسلَام" :

«ولا جَرَى عَلَى أَئمَّة السُّـنَّةِ، والحَـدِيثِ مَـا جَـرَى حِـينَ حُبِسُـوا، وشُرِّدُوا، وأُخرِجُوا مِن دِيَارِهم إلَّا بِـ"التَّأويلِ" .

ولا جَرَى عَلَى "شَيخ الإِسلَام ابنِ تَيمِيَّةَ" مَا جَرَى مِن خُصُومِهِ بِـ"السَّجنِ"، و"طُلِبَ قَتلُهُ أَكثَرَ مِن عِشـرينَ مَرَّةً"[2] إِلَّا بِـ"التَّأويلِ" .

فقَاتَلَ اللهُ "التَّأويلَ البَاطِلَ"، وأَهلَهُ، وأَخَـذَ حَـقَّ دِينِـهِ، وكِتَابِـهِ، ورَسُـولِهِ، وأَنصَارِهِ مِنهُم ! .

فَمَاذَا هَدَمُوا مِـن "مَعَاقِـل الإِسـلَام"، وهَـدُّوا مِـن "أَركَانِـهِ"، وقَلَعُـوا مِـن "قَوَاعِدِهِ" ! .

ولَقَد تَركُوهُ أَرَقَّ مِن الثَّـوبِ الخَلِـقِ البَـالي الَّـذِي تَطَاوَلَـت عَلَيـهِ السُّـنُونُ، وتَوَالَت عَلَيهِ الأَهوِيَةُ، والرِّيَاحُ .

---

(١) انظُر: «الصَّوَاعِقَ المُرسَلَة» (١/ ٣٤٨-٣٥٠) .

(٢) اللهُ أَكبَرُ .

ولَو بَسَطنَا هَذَا الفَصلَ وَحدَهُ مَا جَنَـاهُ التَّأوِيـلُ عَـلى الأَدْيَـانِ، والشَّرـائعِ، وخَرَاب العَالَـم لقَامَ مِنهُ عَدَّةُ أَسفَارٍ، وإنَّما نَبَّهنَا تَنبيهًا، يَعلَمُ بِهِ العَاقِـلُ مَـا وَرَاءَهُ، وباللهِ التَّوفِيقُ»[1] انتَهى .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «الصَّوَاعِقَ المُرسَلَة» (١/ ٣٨٠-٣٨١) .

المَعلَمُ الحَادي عَشَرَ :

عَامَّةُ أَهل البِدَع، والأَهوَاءِ المُضلَّةِ :

إنَّما يَنتَصِرُونَ لأَهوَائهم الَّتي يَتَعَصَّبُونَ لَـهَا، ويُوَالُونَ فِيهَا، ويُعَادُونَ عَلَيهَـا، لا لِتَكُونَ كَلمَةُ الله هِيَ العُليَا .

4 4 4

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

«فَإِنَّ أَكثَرَهُم [أَي: أَصحَابَ المَقَالَاتِ المُبتَدَعةِ] قَد صَارَ لَـهُم في ذَلِـكَ "هَـوًى" أَن يَنتَصِرَ جَاهُهُم، أَو رِيَاسَتُهُم، ومَا نُسِبَ إِلَيهِم .

لا يَقصِدُونَ أَن تَكُونَ "**كَلِمَةُ الله هِيَ العُليَا**"، وأَن يَكُونَ "**الدِّينُ كُلُّهُ لله**" .

بَل يَغضَبُونَ عَلَى مَن خَالَفَهُم، وإِن كَـانَ "مُجتَهِـدًا مَعـذُورًا"، لَا يَغضَـبُ اللهُ عَلَيهِ، ويَرضَونَ عَمَّن يُوَافِقُهُم، وإِنَّ كَانَ جَاهِلًا سَيِّئَ القَصدِ، لَـيسَ لَـهُ عِلـمٌ، ولا حُسنُ قَصدٍ .

فَيُفضِـي هَذَا إِلَى أَن "**يَحمَدُوا مَن لَـم يَحمَدهُ اللهُ، ورَسُولُهُ**"، و"**يَذُمُّوا مَن لَـم يَذُمَّهُ اللهُ، ورَسُولُهُ !**" .

وتَصِيرَ مُوَالَاتُهُم، ومُعَادَاتُهُم عَلَى أَهوَاءِ أَنفُسِهِم، لَا عَلَى دِينِ الله، ورَسُولِهِ.

وهَـذَا حَـالُ الكُفَّـارِ الَّـذِينَ لَا يَطلُبُـونَ إِلَّا أَهـوَاءَهُم !، ويَقُولُـونَ: "**هَـذَا صَدِيقُنَا، وهَذَا عَدُوُّنَا**"، وبِلُغَةِ المُغلِ: "**هَذَا بَالٍ، هَذَا بَاغٍ**"، لَا يَنظُـرُونَ إِلَى مُـوَالَاةِ الله، ورَسُولِهِ، ومُعَادَاةِ الله، ورَسُولِهِ .

ومِن هُنَا تَنشَأُ الفِتَنُ بَينَ النَّاسِ .

قَـــالَ اللهُ تَعَـــالَى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال/ ٣٩]؛ فَإِذَا لَـم يَكُنِ الدِّينُ كُلُّهُ لله، وَكَانَت فِتنَةٌ.

وأَصلُ الدِّينِ :

أَن يَكُـونَ "الحُـبُّ لله"، و"الـبُغضُ لله"، و"المُـوَالَاةُ لله"، و"المُعَـادَاةُ لله"، و"العِبَادَةُ لله"، و"الاستِعَانَةُ بِالله"، و"الخَوفُ مِنَ الله"، و"الرَّجَاءُ لله"، و"الإِعطَـاءُ لله"، و"المَنعُ لله" .

وهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بِـ "**مُتَابَعَةِ رَسُولِ الله**"، الَّذِي أَمرُهُ أَمرُ الله، ونَهيُـهُ نَهـيُ الله، ومُعَادَاتُهُ مُعَادَاةُ الله، وطَاعَتُهُ طَاعَةُ الله، ومَعصِيَتُهُ مَعصِيَةُ الله .

و"**صَاحِبُ الهَوَى" يُعمِيهِ الهَوَى، ويُصِمُّهُ؛ فَلَا يَستَحضِرُ مَـا لله، ورَسُـولِهِ فِي ذَلِـكَ، ولَا يَطلُبُـهُ، ولَا يَـرضَى لِرِضَـا الله، ورَسُـولِهِ، ولَا يَغضَـبُ لِغَضَـبِ الله، ورَسُولِهِ.**

بَل يَرضَى إِذَا حَصَلَ مَا يَرضَاهُ بِـ "**هَوَاهُ**"، ويَغضَبُ إِذَا حَصَلَ مَا يَغضَبُ لَهُ بِـ "**هَوَاهُ**" .

ويَكُونُ مَعَ ذَلكَ مَعَهُ شُبهَةُ دِينٍ: أَنَّ الَّذِي "**يَرضَـى لَهُ !**"، و "**يَغضَبُ لَهُ**" أَنَّهُ "**السُّنَّةُ**"، وهُوَ "**الحَقُّ**"، وهُوَ "**الدِّينُ**" ! .

فَإِذَا قُـدِّرَ أَنَّ الَّذي مَعَهُ هُوَ الحَقُّ المَحضُ دِينُ الإِسلَامِ، ولَـم يَكُن قَصدُهُ أَن يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، وأَن تَكُونَ كَلِمَةُ الله هِـيَ العُلـيَا، بَـل قَصَـدَ الحَمِيَّـةَ لِنَفسِـهِ، وطَائِفَتِهِ، أَو الرِّيَاءَ؛ لِيُعَظَّمَ هُوَ، ويُثنَـى عَلَيهِ، أَو فَعَـلَ ذَلِـكَ شَـجَاعَةً، وطَبعًـا، أَو لِغَرَضٍ مِنَ الدُّنيَا، لَـم يَكُن لله، ولَـم يَكُن "**مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ الله**" .

فَكَيفَ إِذَا كَانَ الَّذي يَدَّعِي الحَقَّ، والسُّـنَّةَ هُـوَ كَـ"**نَظِـيرِهِ**"، مَعَـهُ "**حَـقٌّ**"، و"**بَاطِـلٌ**"، و"**سُـنَّةٌ**"، و"**بِدعَـةٌ**"، ومَـعَ خَصـمِهِ "**حَـقٌّ**"، و"**بَاطِـلٌ**"، و"**سُـنَّةٌ**"، و"**بِدعَةٌ**"؟! .

وهَـذَا حَالُ المُختَلِفِينَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيـنَهُم، وكَـانُوا شِـيَعًا، وكَفَّـرَ بَعضُـهُم بَعضًا، وفَسَّقَ بَعضُهُم بَعضًا .

ولِـهَذَا قَالَ تَعَـالَى فِـيهِم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة]» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا – :

«وأَيضًا فـ"صَاحِبُ البِدعَةِ" يَبقَى صَاحِبَ هَـوًى يَعمَـلُ لِـهَوَاهِ، لَا دِيَانَـةً، و[لا] يَصدُرُ عَنِ الحَقِّ الَّذي يُخَالِفُهُ هَوَاهُ .

فَهَذَا يُعَاقِبُهُ اللهُ عَلَى هَوَاهُ، ومِثلُ هَذَا يَستَحِقُّ العُقُوبَةَ فِي الدُّنيَا، والآخِرَةِ .

ومَن فَسَّقَ مِنَ السَّـلَفِ الخَـوَارِجَ، ونَحـوَهُم، كَـمَا رُوِيَ عَـن سَـعدِ بـنِ أَبِي وَقَّـاصٍ أَنَّـهُ قَـالَ: "فِـيهِم قَولُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٢٧﴾ [البقرة] .

فَقَد يَكُونُ هَذَا قَصدَهُ، لا سِيَّمَا إِذَا تَفَرَّقَ النَّاسُ؛ فَكَانَ مِـمَّن يَطلُبُ الرِّيَاسَـةَ لَهُ، ولأَصحَابِهِ .

وإِذَا كَانَ المُسلِمُ الَّذِي يُقَاتِلُ الكُفَّارَ، قَد يُقَـاتِلُهُم شَـجَاعَةً، وحَمِيَّـةً، ورِيَـاءً، وذَلِكَ لَيسَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَكَيفَ بِأَهلِ البِدَعِ الَّذِينَ يُخَاصِـمُونَ وَيُقَـاتِلُونَ عَلَيهَـا؟ فَإِنَّهُم يَفعَلُونَ ذَلِكَ شَجَاعَةً، وحَمِيَّةً، ورُبَّمَا يُعَاقَبُونَ لَـمَّا اتَّبَعُوا أَهوَاءَهُم بِغَيرِ هُـدَى مِنَ اللهِ، لَا لِـمُجَرَّدِ الخَطَإِ الَّذِي اجتَهَدُوا فِيهِ .

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٥/ ٢٥٥-٢٥٦) .

ولِـهَذَا قَالَ الشَّافِعِيُّ: «**لأَن أَتَكَلَّمَ في عِلمٍ يُقَالُ لِي فِيهِ: أَخطَـأتَ، أَحَـبُّ إِلَيَّ مِن أَن أَتَكَلَّمَ في عِلمٍ يُقَالُ لِي فِيهِ: كَفَرتَ**» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٥/ ٢٥٠-٢٥١) .

المَعلَمُ الثَّاني عَشَرَ :

اختِلافُ أَهل البدَعِ، والأَهوَاءِ اختِلافٌ مَذمُومٌ، ولَيسَ فيهِ وَجهٌ للمَدحِ .

وأَصلُ اختلَافِهم سَبَبُهُ الإِعرَاضُ عَنِ الحُجَّةِ، والعِلمِ، وسُلُوكُ جَادَّةِ البَغـي، والظُلمِ بَعدَ بُلُوغِ العِلمِ لَـهُم .

كَـمَا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ [آل عمران/ ١٩]

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى/ ١٤]

﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧ ﴾ [الجاثية]

4 4 4

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

« فَـهَذِهِ المَوَاضِعُ مِنَ القُرآنِ، تُبَيِّنُ أَنَّ المُختَلِفِينَ مَا اختَلَفُـوا؛ حَتَّـى جَـاءَهُمُ **"العِلمُ"**، و**"البَيِّنَاتُ"**؛ فَاختَلَفُوا لِـ**"البَغـيِ"**، و**"الظُّـلـمِ"**، لَا لأَجـلِ **"اشـتِبَاهِ الحَـقِّ بِالبَاطِلِ"** عَلَيهِم .

وهَذَا حَالُ أَهلِ الاختِلَافِ المَذمُومِ مِن أَهلِ الأَهوَاءِ كُلِّهِـم؛ لا يَختَلِفُـونَ إِلَّا مِن بَعدِ أَن يَظهَرَ لَـهُمُ الحَقُّ، ويَجِيئَهُمُ العِلمُ؛ فَيَبغِي بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ .

ثُمَّ المُختَلِفُونَ المَذمُومُونَ كُلٌّ مِنهُم يَبغِي عَلَى الآخَرِ .. » انتَهى[١] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٥/ ٢٦٤) .

وقَالَ - أَيضًا - :

«و"الاختِلَافُ" فِي كتَابِ اللهِ عَلَى وَجهَينِ :

أَحدُهُمَا: أَن يَكُونَ كُلُّهُ مَذمُومًا، كَقولِهِ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة] .

والثَّاني: أَن يَكُونَ بَعضُهُم عَلَى الحَقِّ، وبَعضُهُم عَلَى البَاطِلِ .

كقَولهِ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة] .

لَكِن إِذَا أُطلِقَ الاختِلَافُ؛ فَالجَمِيعُ مَذمُومٌ .

كَقَولِهِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود] .

وقَولِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ - : «إِنَّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبلكُم بِكَثرَةِ سُؤَالِهِم، واختِلَافِهِم عَلَى أَنبِيَائِهِم» .

ولِهَذَا فَسَّرُوا "الاختِلَافَ" فِي هَذَا المَوضِعِ بِأَنَّهُ كُلَّهُ مَذمُومٌ .

قَالَ الفَرَّاءُ: "فِي اختِلَافِهِم وَجهَانِ : أَحدُهُمَا: كُفرُ بَعضِهِم بِكِتَابِ بَعضٍ، والثَّاني: تَبدِيلُ مَا بَدَّلُوا" .

وهُوَ كَمَا قَالَ؛ فَإِنَّ المُختَلِفِينَ كُلٌّ مِنهُم يَكُونُ مَعَهُ "حَقٌّ"، و"بَاطِلٌ"؛ فَيَكفُرُ بِـ"الحَقِّ" الَّذِي مَعَ الآخَرِ، ويُصَدِّقُ بِـ"البَاطِلِ" الَّذِي مَعَهُ، وهُوَ تَبدِيلُ مَا بَدَّلَ .

فَالاختِلَافُ لَا بُدَّ أَن يَجمَعَ النَّوعَينِ .

ولِهَذَا ذَكَرَ كُلٌّ مِنَ السَّلَفِ أَنوَاعًا مِن هَذَا :

إِلَى أَن قَالَ :

«والسَّادِسُ: الدِّينُ، أَخَذَ هَؤُلَاءِ بِـ"دِينٍ"، وهَؤُلَاءِ بِـ"دِينٍ" .

ومِن هَذَا البَابِ :

قَولُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة/ ١١٣] .

وقَد رُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا - أَنَّـهُ قَـالَ: «**اختَصَـمَت يَهُـودُ المَدِينَةِ، ونَصَارَى نَجرَانَ عِندَ النَّبِيِّ** - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- .

فَقَالَتِ اليَهُودُ: "**لَيسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيءٍ، ولَا يَـدخُلُ الجَنَّـةَ إِلَّا مَـن كَـانَ يَهُودِيًّا**" .

وكَفَرُوا بِالإِنجِيلِ، وعِيسَى .

وقَالَتِ النَّصَارَى: "**لَيسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ**" .

وكَفَرُوا بِالتَّورَاةِ، ومُوسَى؛ فَأَنزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ، والَّتِي قَبلَهَا»[(١)] .

واختِلَافُ أَهلِ البِدَعِ هُوَ مِن هَذَا النَّمَطِ :

فَالخَارِجيُّ يَقُولُ: "**لَيسَ الشِّيعِيُّ عَلَى شَيءٍ**" .

والشِّيعيُّ يَقُولُ: "**لَيسَ الخَارِجِيُّ عَلَى شَيءٍ**" .

---

(١) أَخرَجَهُ ابنُ جَرير في «تَفسيرِهِ» (٢/ ٥١٣-٥١٤) مِن طَرِيقِ (مُحَمَّـدِ بـنِ إِسـحَاقَ قَالَ، حَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ أَبي مُحَمَّدٍ مَولى زَيدِ بنِ ثَابتٍ قَالَ، حَدَّثَني سَعيدُ بـنُ جُبَـير، أَو عِكرِمَـةُ، عَن ابن عبَّاسٍ)، وذَكَرَهُ، و(مُحَمَّدُ بنُ أَبي مُحَمَّدٍ الأَنصارِيُّ المَدَنيُّ، مَولى زَيدِ بـنِ ثَابـتٍ) قَـالَ في «التَّقريب»: «مَجهُولٌ تَفَرَّدَ عَنهُ ابنُ إِسحَاق» ، والأَثَرُ عَزَاهُ السُّيُوطيُّ في «الدُّرِّ المَنثُور في التَّفسِير بالمَأثُور» (١/ ٢٦٣) إِلى ابنِ أَبي حَاتمٍ .

والقَدَريُّ النَّافِـي يَقُولُ: "**لَيسَ المُثبِتُ عَلَى شَيءٍ**" .

والقَدَريُّ الجَبرِيُّ المُثبِتُ يَقُولُ: "**لَيسَ النَّافِـي عَلَى شَيءٍ**" .

والوَعِيدِيَّةُ تَقُولُ: "**لَيسَتِ المُرجِئَةُ عَلَى شَيءٍ**" .

والمُرجِئَةُ تَقُولُ: "**لَيسَتِ الوَعِيدِيَّةُ عَلَى شَيءٍ**" .

بَل وَيُوجَدُ شَيءٌ مِن هَذَا بَينَ أَهلِ المَذَاهِبِ الأُصُولِيَّةِ، والفُرُوعِيَّـةِ المُنتَسِـبِينَ إِلَى السُّنَّةِ .

فالكُلَّابِيُّ يَقُولُ: "**لَيسَ الكَرَّامِيُّ عَلَى شَيءٍ**" .

والكَرَّامِيُّ يَقُولُ: "**لَيسَ الكُلَّابِيُّ عَلَى شَيءٍ**" .

والأَشعَرِيُّ يَقُولُ: "**لَيسَ السَّالمِيُّ عَلَى شَيءٍ**" .

والسَّالمِيُّ يَقُولُ: "**لَيسَ الأَشعَرِيُّ عَلَى شَيءٍ**" .

ويُصَنِّفُ السَّالمِيُّ كَأَبِي عَلِيٍّ الأَهوَازِيِّ كِتَابًا فِي مَثَالِبِ الأَشعَرِيِّ .

ويُصَنِّفُ الأَشعَرِيُّ كَابنِ عَسَاكِرَ كِتَابًا يُنَاقِضُ ذَلِكَ مِن كُلِّ وَجهٍ، وذَكَرَ فِيـهِ مَثَالِبَ السَّالمِيَّةِ .

وكَذَلكَ "**أَهلُ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ**"، وغَيرِهَا، لَا سِيَّمَا وكَثِيرٌ مِـنهُم، قَـد تَلَـبَّسَ بِبَعضِ "**المَقَالَاتِ الأُصُولِيَّةِ**"، وخَلَطَ هَذَا بِهَذَا :

فَالحَنبَلِيُّ، والشَّافِعِيُّ، والمَالِكِيُّ يَخلِطُ بِمَذهَبِ مَالِكٍ، والشَّافِعِيِّ، وأَحمَدَ شَيئًا مِن أُصُولِ الأَشعَرِيَّةِ، والسَّالِـمِيَّةِ، وغَيرِ ذَلِكَ .

ويُضِيفُهُ إِلَى مَذهَبِ مَالِكٍ، والشَّافِعِيِّ، وأَحمَدَ .

وكَـذَلكَ الحَنَفـيُّ يَخلِـطُ بِمَـذَاهِبِ أَبِي حَنِيفَـةَ شَـيئًا مِـن أُصُـولِ المُعتَزِلَـةِ، والكَرَّامِيَّةِ، والكُلَّابِيَّةِ، ويُضِيفُهُ إِلَى مَذهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ .

وهَذَا مِن جِنسِ الرَّفضِ، والتَّشَيُّعِ، لَكِنَّهُ تَشَيُّعٌ في تَفضِيلِ بَعضِ الطَّوَائِفِ، والعُلَمَاءِ[1]، لَا تَشَيُّعٌ فِي تَفضِيلِ بَعضِ الصَّحَابَةِ .

والوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله :

أَن يَكُونَ أَصلُ قَصدِهِ تَوحِيدَ الله بِعِبَادَتِهِ وَحدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وطَاعَةَ رَسُولِهِ.

يَدُورُ عَلَى ذَلِكَ، ويَتَّبِعُهُ أَينَ وَجَدَهُ .

ويَعلَمُ أَنَّ أَفضَلَ الخَلقِ بَعدَ الأَنبِيَاءِ هُمُ الصَّحَابَةُ، فَلَا يَنتَصِرُ لِشَخصٍ انتِصَارًا مُطلَقًا عَامًّا، إِلَّا لِرَسُولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ-، ولَا لِطَائِفَةٍ انتِصَارًا مُطلَقًا عَامًّا، إِلَّا لِلصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ- .

فَإِنَّ "الهُدَى" يَدُورُ مَعَ الرَّسُولِ حَيثُ دَارَ، ويَدُورُ مَعَ أَصحَابِهِ دُونَ أَصحَابِ غَيرِهِ حَيثُ دَارُوا .

فَإِذَا أَجمَعُوا لَم يُجمِعُوا عَلَى خَطَأٍ قَطُّ، بِخِلَافِ أَصحَابِ عَالِمٍ مِنَ العُلَمَاءِ؛ فَإِنَّهُم قَد يُجمِعُونَ عَلَى خَطَأٍ .

بَل كُلُّ قَولٍ قَالُوهُ، ولَم يَقُلهُ غَيرُهُم مِنَ الأُمَّةِ لَا يَكُونُ إِلَّا خَطَأً ! .

فَإِنَّ "الدِّينَ" الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ لَيسَ مُسَلَّمًا إِلَى "عَالِمٍ وَاحِدٍ"، و"أَصحَابِهِ"، ولَو كَانَ كَذَلِكَ؛ لَكَانَ ذَلِكَ الشَّخصُ نَظِيرًا لِرَسُولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ-[2] .

---

(١) تَأَمَّل هَذَا، ثُمَّ انظُر حَوَاليكَ .

(٢) تَأَمَّل هَذَا .

وهُوَ شَبِيهٌ بِقَولِ الرَّافِضَةِ فِي "الإِمَامِ المَعصُومِ"[1]» انتَهى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) يَعنِي: مَن يُقَالُ لهُ: ابنُ المُطَهَّر .

(٢) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٥/ ٢٥٧-٢٦٢) .

المَعلَمُ الثَّالثُ عَشَرَ :

مِن أَعظَمِ أَسبَابِ "ظُهُور البِدَعِ"، و"الضَّلالاتِ" في الأُمَّةِ :

تَقصِيرُ مَن قَصَّرَ مِن عُلَمَاءِ أَهلِ السُّنَّةِ في إِظهَارِ السُّنَّةِ، والهُدَى، وإِعلَانِ مَذهَب أَهلِ السُّنَّة، وطَريقَةِ السَّلَف الصَّالحِ في أَبوَاب العَقَائدِ، ونَشرِ ذَلكَ، وإِشهَارِهِ، والعَمَلِ بِهِ، والدَّعوَةِ إِلَيهِ .

4 4 4

قَالَ شَيخُ الإِسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«**ومِصدَاقُ هَذا أَنَّ مَا وَقَعَ في هَذهِ الأُمَّةِ مِن "البِدعِ"، و"الضَّلَالِ"، كَانَ مِن أَسبَابِهِ تَقصِيرُ مَن قَصَّرَ في "إِظهَارِ السُّنَّةِ"، و"الهُدَى"** .

مِثلَ مَا وَقَعَ في هَذَا البَابِ؛ فَإِنَّ "**الجَهلَ المُركَّبَ**" الَّذِي وَقَعَ فِيهِ أَهلُ التَّكذِيبِ، والجُحُودِ في تَوحِيدِ الله تَعَالى، وصِفَاتِهِ، كَانَ مِن أَسبَابِهِ :

التَّقصِيرُ في إِثبَاتِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَن الله، وفي مَعرِفَةِ مَعَاني أَسمَائِهِ، وآيَاتِهِ.

حتَّى إِنَّ كَثيراً مِن المُنتَسِبينَ إِلَى الكِتَابِ، والسُّنَّةِ يَرَونَ أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ، والأَئِمَّةِ :

إِنَّما هُوَ الإِيمَانُ بِأَلفَاظِ النُّصُوصِ، والإِعرَاضُ عَن تَدبُّر مَعَانيهَا، وفِقهِهَا، وعَقلِهَا ! .

ومِن هُنَا : قَالَ مَن قَالَ مِن النُّفَاةِ: "**إِنَّ طَرِيقَةَ الخَلَفِ أَعلَمُ، وأَحكَمُ، وطَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسلَمُ !**"؛ لأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ "**طَرِيقَةَ الخَلَفِ** فِيهَا "**مَعرِفَةُ النَّفيِ**"، الَّذي هُوَ عِندَهُ الحَقُّ، وفِيهَا طَلَبُ التَّأويل لمعَاني نُصُوصِ الإِثبَاتِ .

فكَانَ في هَذِهِ عِندَهُم "**عِلمٌ بمَعقُولٍ**"، و"**تَأويلٌ لمَنقُولٍ**"، لَيسَ في الطَّريقَةِ الَّتي ظَنَّهَا طَريقَةَ السَّلَفِ .

وكَانَ فِيهِ – أَيضاً – رَدٌّ علَى مَن يَتَمَسَّكُ بمَدلُولِ النُّصُوصِ، وهَذا عِندَهُ مِن إِحكَامِ تِلكَ الطَّريقِ.

ومَذهَبُ السَّلَفِ عِندَهُ عَدَمُ النَّظَرِ في فَهمِ النُّصُوصِ؛ لتَعَارُضِ الاحتِمَالَاتِ، وهَذَا عِندَهُ أَسلَمُ .

لأَنَّهُ إذَا كَانَ اللَّفظُ يَحتَمِلُ عِدَّةَ مَعَانٍ؛ فتَفَسيرُهُ ببَعضِهَا دُونَ بَعضٍ فِيهِ مُخَاطَرَةٌ، وفي الإِعرَاضِ عَن ذَلكَ سَلَامَةٌ مِن هَذِه المُخَاطَرَةِ ! .

فَلَو كَانَ قَد بُيِّنَ، وتَبَيَّنَ لِهَذَا، وأَمثَالِهِ أَنَّ "**طَريقَةَ السَّلَفِ**" :

إِنَّمَا هِيَ إثبَاتُ مَا دَلَّت عَلَيهِ النُّصُوصُ مِن الصِّفَاتِ، وفَهمُ مَا دَلَّت عَلَيهِ، وتَدَبُّرُهُ، وعَقلُهُ .

وإبطَالُ طَريقَةِ النُّفَاةِ، وبَيَانُ مُخَالَفَتِهَا لـ"صَريحِ المَعقُولِ"، و"صَحِيحِ المَنقُولِ" :

عَلِمَ أَنَّ "**طَريقَةَ السَّلَفِ**" **أَعلَمُ، وأَحكَمُ، وأَسلَمُ، وأَهدَى إِلَى الطَّريقِ الأَقوَمِ.**

وأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ تَصدِيقَ الرَّسُولِ فِيمَا أَخبَرَ بهِ، وفَهمِ ذَلكَ، ومَعرِفَتِهِ، وأَنَّ ذَلكَ هُوَ الَّذي يَدُلُّ عَلَيهِ "**صَريحُ المَعقُولِ**"، ولا يُنَاقِضُ ذَلكَ إِلَّا مَا هُوَ بَاطلٌ، وكَذِبٌ .

وأَنَّ "**طَريقَةَ النُّفَاةِ**" المنَافِيَةَ لِمَا أَخبَرَ بهِ الرَّسُولُ "**طَريقَةٌ بَاطلَةٌ شَرعاً، وعَقلاً**" .

وأنَّ مَن جعَلَ "**طَريقَةَ السَّلَفِ**" **عَدَمَ العِلمِ بمَعَاني الآيَاتِ، وعَدَمَ إثبَاتِ مَا تَضَمَّنتهُ مِن الصِّفَاتِ؛ فَقَد قَالَ غَيرَ الحَقِّ: إمَّا عَمداً، وإمَّا خَطَأً .**

كَمَا أَنَّ مَن قَالَ عَلَى الرَّسُولِ: إِنَّهُ لَـم يُبعَث بِإِثبَاتِ الصِّفَاتِ، بَل بُعِثَ بقَـولِ النُّفَاةِ، كَانَ مُفتَرِياً عَلَيهِ !» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا – :

«فَـ"المُرصَدُونَ لِلعِلمِ"[2] عَلَيهِم لِلأُمَّةِ "حِفظُ عِلمِ الدِّينِ"، و"تَبلِيغُـهُ"؛ فَـإِذَا لَـم يُبَلِّغُوهُم "عِلمَ الدِّينِ"، أَو ضَـيَّعُوا "حِفظَـهُ"، كَـانَ ذَلـكَ مِـن أَعظَـمِ الظُّلـمِ لِلمُسلِمِينَ .

ولِـهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾ [البقرة] .

فَإِنَّ ضَرَرَ "كِتمَانِهِم" تَعَدَّى إِلَى البَهَائِمِ!، وغَيرِهَا؛ فَلَعَـنَهُم اللَّاعِنُـونَ؛ حَتَّـى البَهَائِمُ .

كَمَا أَنَّ مُعَلِّمَ الخَيرِ يُصَلِّي عَلَيهِ اللهُ، ومَلَائِكَتُهُ، ويَستَغفِرُ لَـهُ كُـلُّ شَيءٍ؛ حَتَّـى الحِيتَانُ فِي جَوفِ البَحرِ، والطَّيرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ» انتَهى[3] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا – :

«وصَـارَ كَثِـيرٌ مِـن أَهـلِ البِـدَعِ، مِثـلُ الخَـوَارِجِ، والـرَّوَافِضِ، والقَدَرِيَّـةِ، والجَهمِيَّةِ، والمُمَثِّلَةِ يَعتَقِدُونَ اعتِقَادًا هُوَ "ضَلَالٌ"، يَرَونَهُ هُوَ "الحَقَّ"، ويَرَونَ كُفـرَ مَن خَالَفَهُم فِي ذَلِكَ ! .

---

(١) انظُر: «دَرءَ تَعَارضِ العَقلِ والنَّقلِ» (٥/ ٣٧٨-٣٧٩) .

(٢) تَأَمَّل هَذا اللَّقبَ اللَّطِيفَ لِلعُلَمَاءِ .

(٣) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٢٨/ ١٨٧) .

فَيَصِيرُ فِيهِم شَوبٌ قَوِيٌّ مِن أَهلِ الكِتَابِ فِي "**كُفـرِهِم بِـالحَقِّ**"، و"**ظُلمِهِـم لِلخَلقِ**" .

ولَعَلَّ أَكثَرَ "**هَؤُلَاءِ المُكَفِّرِينَ**" يُكَفِّرُ بِـ"**المَقَالَةِ**" الَّتِـي لَا تُفهَـمُ حَقِيقَتُهَـا، ولَا تُعرَفُ حُجَّتُهَا .

وبِإِزَاءِ "**هَؤُلَاءِ المُكَفِّرِينَ**" بِالبَاطِـلِ "**أَقـوَامٌ لَا يَعرِفُـونَ اعتِقَـادَ أَهـلِ السُّـنَّةِ والجَمَاعَةِ**" **كَمَا يَجِبُ، أَو يَعرِفُونَ بَعضَهُ، ويَجهَلُونَ بَعضَهُ .**

ومَا عَرَفُوهُ مِنهُ قَد لَا يُبَيِّنُونَهُ لِلنَّاسِ، بَل يَكتُمُونَهُ ! .

ولَا يَنهَونَ عَنِ البِدَعِ المُخَالِفَةِ لِلكِتَابِ، والسُّنَّةِ، ولَا يَـذُمُّونَ أَهـلَ البِـدَعِ !، ويُعَاقِبُونَهُم[1] **! .**

بَل لَعَلَّهُم يَذُمُّونَ الكَلَامَ فِي "السُّنَّةِ"، و"أُصُولِ الدِّينِ" ذَمًّا مُطلَقًا؛ لَا يُفَرِّقُونَ فِيهِ بَينَ مَا دَلَّ عَلَيهِ الكِتَابُ، والسُّنَّةُ، والإِجمَاعُ، ومَا يَقُولُهُ أَهلُ البِدعَةِ، والفُرقَةِ .

أَو يُقِرُّونَ الجَمِيعَ عَلَى مَذَاهِبِهِم المُختَلِفَةِ، كَمَا يُقِرُّ العُلَمَاءُ فِي مَوَاضِعِ الاجتِهَادِ الَّتِي يَسُوغُ فِيهَا النِّزَاعُ .

---

(١) فهؤُلاءِ جَمَعُوا بَينَ الضَّـعفِ فِي تَحصِـيلِ هـذِهِ العُلُـومِ النَّافِعَـةِ مِـن طَرِيـقِ السَّـلَفِ المُهتَدِينِ، والضَّعفِ فِي الدَّعوَةِ، والتَّبلِيغِ، والإِنذَارِ؛ لِـمَا ثَبَتَ عِندَهُم مِـن الحَـقِّ، والضَّـعفِ فِي العَمَلِ بِمَا عَلِمُوهُ مِن الحَقِّ .

وضَرَرُ هَؤُلاءِ عَظِيمٌ، وهُم "**فِتنَةٌ مُستَقِلَّةٌ !**"، و"**مِحنَةٌ، وبَلِيَّةٌ**"، وهُـم مَوجُـودُونَ فِي كُـلِّ زَمَانٍ، تَجلِسُ مَعَهم فِي خَاصَّةِ بُيُوتِهم؛ فَتَسمَعُ مِـنهُم "**الحَـقَّ الصُّـرَاحَ**"؛ وتَنظُـرُ فِي فِعَالِـهِم؛ فَتَرَى فِيهَا "**الخَلَلَ البَوَاحَ**"، المُنَافِي لِلنُّصحِ، والبيَانِ؛ فَهُم يَعرِفُونَ مِن الحَقِّ "**مَعرِفَةَ لِسَـانٍ**"، لا عَمَلٍ، ولا بَيَانٍ .

وهَذِهِ الطَّرِيقَةُ قَـد تَغلِـبُ عَـلَى "كَثِـيرٍ مِـن المُرجِئَـةِ"، و"بَعـضِ المُتَفَقِّهَـةِ"، و"المُتَصَوِّفَةِ"، و"المُتَفلسِفَةِ".

كَمَا تَغلِبُ الأُولَى عَلَى "كَثِيرٍ مِن أَهلِ الأَهوَاءِ، والكَلَامِ".

وكِلَا هَاتَينِ الطَّرِيقَتَينِ "مُنحَرِفَةٌ"، "خَارِجَةٌ عَن الكِتَابِ، والسُّنَّةِ"[1].

وإِنَّمَا الوَاجِبُ:

بَيَانُ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ، وأَنـزَلَ بِـهِ كُتُبَـهُ، وتَبلِيـغُ مَـا جَـاءَت بِـهِ الرُّسُـلُ عَن اللهِ.

والوَفَاءُ بِـ"مِيثَاقِ اللهِ الَّذي أَخَذَهُ عَلَى العُلَمَاءِ"؛ فَيَجِبُ أَن:

"يَعلَمَ مَا جَـاءَت بِـهِ الرُّسُـلُ"، و"يُـؤمِنَ بِـهِ"، و"يُبَلِّغَـهُ"، و"يَـدعُوَ إِلَيـهِ"» انتَهى[2].

❑ ❑ ❑

(١) هَذَا حُكمُهُم عِندَ التَّحقيقِ، والانحِرَافُ أَنوَاعٌ، ودَرَجَاتٌ.

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (١٢/ ٤٦٦-٤٦٧).

المَعلَمُ الرَّابعُ عَشَرَ:

أَهلُ البِدَعِ في أُصُولِ الدِّينِ وأَتبَاعُهُم أَصنَافٌ، وهُم دِرَجَاتٌ .

فَيَجِبُ مَعرِفَـةُ ذَلـكَ بــ "عِلـمٍ"، و"بَصـيرَةٍ"، و"تَقـوَى لله"؛ لأَنَّـهُ يُوجِـبُ اختِلَافَ أَحكَامِهم؛ فَلَيسَ المُبتَدعُ الغَالِي كَالمُتَوَسِّـطِ، ولا البِـدَعُ الغَلِيظَـةُ كالبِـدَعِ الدَّقِيقَةِ، والخَفيفَةِ .

ومَن نَصَرَ مِنهُم الدِّينَ، ورَدَّ علَى مَن هُوَ شَرٌّ مِنهُ، شُـكِرَ لَـهُ ذَلـكَ - إن كَـانَ أَصَابَ- تَعظِيمًا لـ "الحَسَنَةِ"، ولا يَعني هذَا إلغَاءَ حُكمِ الشَّرعِ فِيهِ، وفي أَمثَالِهِ .

فَهُم "مُنحَرفُونَ عَن السُّنَّةِ"، يُنَـزَّلُ فِـيهِم حُكـمُ الله تَعَـالَى عَـلَى مَـا تَقتَضـيهِ الشَّـريعَةُ، وهُم خَيرٌ مـمَّن هُوَ شَرٌّ مِنهُم .

وكَذَلكَ يَجِبُ التَّفريقُ في أَصحَابِ البدَعِ بَينَ "الدَّاعِيَـةِ"، و"غَـير الدَّاعِيَـةِ"، وبَينَ "المُجَادلِ بالبَاطِلِ"، و"السَّاكِتِ عَنهُ" .

4 4 4

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

«ومِـمَّا يَنبَغي - أَيضًا- أَن يُعرَفَ أَنَّ الطَّوَائِفَ المُنتَسِبَةَ إلَى مَتبُوعِينَ في أُصُولِ الدِّينِ، والكَلَامِ عَلَى دَرَجَاتٍ :

مِنهُم مَن يَكُونُ قَد خَالَفَ السُّنَّةَ في أُصُولٍ عَظِيمَةٍ .

ومِنهُم مَن يَكُونُ إنَّمَا خَالَفَ السُّنَّةَ في أُمُورٍ دَقِيقَةٍ .

ومَن يَكُونُ قَد رَدَّ عَلَى غَيرِهِ مِن الطَّوَائِفِ، الَّذِينَ هُم أَبعَـدُ عَـن السُّـنَّةِ مِنـهُ؛ فَيَكُونُ مَحمُودًا فِيمَا رَدَّهُ مِن البَاطِلِ، وقَالَهُ مِن الحَقِّ .

لَكِن يَكُونُ قَد جَاوَزَ العَدلَ فِي رَدِّهِ بِحَيثُ جَحَدَ بَعضَ الحَقِّ، وقَالَ بَعضَ البَاطِلِ؛ فَيَكُونُ قَد رَدَّ "بِدعَةً كَبِيرَةً" بِـ"بِدعَةٍ أَخَفَّ مِنهَا"؛ وَرَدَّ بِالبَاطِلِ "بَاطِلًا" بِـ"بَاطِلٍ أَخَفَّ مِنهُ".

وهَذِهِ حَالُ أَكثَرِ أَهلِ الكَلَامِ المُنتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ، والجَمَاعَةِ.

ومِثلُ هَؤُلَاءِ إِذَا لَم يَجعَلُوا مَا ابتَدَعُوهُ "قَولًا"، يُفَارِقُونَ بِهِ "جَمَاعَةَ المُسلِمِينَ"؛ "يُوَالُونَ عَلَيهِ"، و"يُعَادُونَ"؛ كَانَ مِن نَوعِ الخَطَإِ.

واللهُ سُبحَانَهُ وتَعَالَى يَغفِرُ لِلمُؤمِنِينَ خَطَأَهُم فِي مِثلِ ذَلِكَ.

ولِهَذَا وَقَعَ فِي مِثلِ هَذَا كَثِيرٌ مِن سَلَفِ الأُمَّةِ، وأَئِمَّتِهَا:

لَهُم "مَقَالَاتٌ" قَالُوهَا بِاجتِهَادٍ، وهِيَ تُخَالِفُ مَا ثَبَتَ فِي الكِتَابِ، والسُّنَّةِ؛ بِخِلَافِ مَن:

"وَالَى مُوَافِقَهُ"، و"عَادَى مُخَالِفَهُ"، و"فَرَّقَ بَينَ جَمَاعَةِ المُسلِمِينَ".

و"كَفَّرَ، وفَسَّقَ مُخَالِفَهُ دُونَ مُوَافِقِهِ فِي مَسَائِلِ الآرَاءِ، والاجتِهَادَاتِ"؛ و"استَحَلَّ قِتَالَ مُخَالِفِهِ دُونَ مُوَافِقِهِ"؛ فَهَؤُلَاءِ مِن أَهلِ التَّفَرُّقِ، والاختِلَافَات» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا -:

«فَصلٌ: وأَمَّا "الصَّلَاةُ خَلفَ أَهلِ الأَهوَاءِ، والبِدَعِ، وخَلفَ أَهلِ الفُجُورِ"؛ فَفِيهِ نِزَاعٌ مَشهُورٌ، وتَفصِيلٌ لَيسَ هَذَا مَوضِعَ بَسطِهِ:

لَكِن أَوسَطُ الأَقوَالِ فِي هَؤُلَاءِ:

أَنَّ تَقدِيمَ الوَاحِدِ مِن هَؤُلَاءِ فِي الإِمَامَةِ، لَا يَجُوزُ مَعَ القُدرَةِ عَلَى غَيرِهِ[1].

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٣٤٨-٣٤٩).

فَإِنَّ مَن كَانَ مُظهِرًا للفُجُورِ، أَو البِدَعِ، يَجِبُ الإِنكَارُ عَلَيهِ، ونَهيُهُ عَن ذَلِكَ .
وأَقَلُّ مَرَاتِبِ الإِنكَارِ: "هَجرُهُ" لِيَنتَهِيَ عَن فُجُورِهِ، وبِدعَتِهِ .
ولِـهَذَا فَرَّقَ جُمهُورُ الأَئِمَّةِ بَينَ "الدَّاعِيَةِ"، و"غَيرِ الدَّاعِيَةِ" :
فَإِنَّ "الدَّاعِيَةَ" أَظهَرَ المُنكَرَ؛ فَاستَحَقَّ الإِنكَارَ عَلَيهِ بِخِلَافِ "السَّاكِتِ"؛ فَإِنَّهُ بِمَنزِلَةِ مَن أَسَرَّ بِالذَّنبِ؛ فَهَذَا لا يُنكَرُ عَلَيهِ في الظَّاهِرِ؛ فَإِنَّ الخَطِيئَةَ إِذَا خَفِيَت لَم تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا .
ولَكِن إِذَا أُعلِنَت فَلَم تُنكَر ضَرَّت العَامَّةَ؛ ولِـهَذَا كَانَ المُنَافِقُونَ تُقبَلُ مِنهُم عَلَانِيَّتَهُم، وتُوكَلُ سَرَائِرُهُم إِلَى اللهِ تَعَالَى بِخِلَافِ مَن أَظهَرَ الكُفرَ» انتهى [٢] .

❑ ❑ ❑

= (١) وهَذَا مَوضِعٌ فِيهِ تَفصِيلٌ، أَبَانَهُ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-؛ فَقالَ: «و"الفَاسِقُ"، و"المُبتَدِعُ" صَلَاتُهُ فِي نَفسِهِ صَحِيحَةٌ؛ فَإِذَا صَلَّى المَأمُومُ خَلفَهُ، لَم تَبطُل صَلَاتُهُ، لَكِن إِنَّمَا كَرِهَ مَن كَرِهَ الصَّلَاةَ خَلفَهُ؛ لأَنَّ الأَمرَ بِالمَعرُوفِ، والنَّهيَ عَنِ المُنكَرِ وَاجِبٌ، ومِن ذَلِكَ أَنَّ مَن أَظهَرَ بِدعَةً، أَو فُجُورًا، لا يُرَتَّبُ إِمَامًا لِلمُسلِمِينَ؛ فَإِنَّهُ يَستَحِقُّ التَّعزِيرَ؛ حَتَّى يَتُوبَ؛ فَإِذَا أَمكَنَ هَجرُهُ؛ حَتَّى يَتُوبَ كَانَ حَسَنًا، وإِذَا كَانَ بَعضُ النَّاسِ إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ خَلفَهُ، وصَلَّى خَلفَ غَيرِهِ أَثَّرَ ذَلِكَ؛ حَتَّى يَتُوبَ، أَو يُعزَلَ، أَو يَنتَهِيَ النَّاسُ عَن مِثلِ ذَنبِهِ .
فَمِثلُ هَذَا إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ خَلفَهُ كَانَ فِي مَصلَحَةٍ، ولَم يَفُت المَأمُومَ جُمُعَةٌ، ولَا جَمَاعَةٌ .
وأَمَّا إِذَا كَانَ تَركَ الصَّلَاةَ يُفَوِّتُ المَأمُومَ الجُمُعَةَ، والجَمَاعَةَ؛ فَهُنَا لَا يَترُكُ الصَّلَاةَ خَلفَهُم إِلَّا "مُبتَدِعٌ" مُخَالِفٌ لِلصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنهُم-» انتَهَى المُرَادُ مِن «مَجمُوعِ الفَتَاوى» (٢٣/ ٣٥٤و٣٥٥)، و«الفَتَاوى الكُبرَى» (٢/ ٣٠٨و٣٠٩)، وانظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢٨٠-٢٨١) .
(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٢٣/ ٣٤٢) .

وقَالَ - أَيضًا - :

«ولِـهَذَا يُعَاقَبُ "الدَّاعِيَةُ إِلَى البِدَعِ" بِمَا لَا يُعَاقَبُ بِهِ "السَّاكِتُ"[1]، ويُعَاقَـبُ "مَن أَظهَرَ المُنكَرَ" بِمَا لَا يُعَاقَبُ بِهِ "مَن استَخفَى بِهِ".

ونُمسِكُ عَن "عُقُوبَةِ المُنَافِقِ" فِي الـدِّينِ، وإِن كَـانَ فِي الـدَّركِ الأَسـفَلِ مِـن النَّارِ.

وهَذَا لأَنَّ الأَصلَ أَن تَكُونَ العُقُوبَةُ مِـن فِعـلِ اللهِ تَعَـالَى؛ فَإِنَّـهُ الَّـذِي يَجـزِي النَّاسَ عَلَى أَعمَالِـهِم فِي الآخِرَةِ، وقَد يَجزِيهِم - أَيضًا - فِي الدُّنيَا.

وأَمَّا نَحنُ فَعُقُوبَتُنَا للعِبَادِ بِقَدرِ مَا يَحصُلُ بِهِ أَدَاءُ الوَاجِبَاتِ، وتَركُ المُحَرَّمَاتِ بِحَسَبِ إِمكَانِنَا.

كَمَا قَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ - : «أُمِـرت أَن أُقَاتِـلَ النَّـاسَ؛ حَتَّى يَشهَدُوا أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم، وأَموَالَـهُم إِلَّا بِحَقِّهَا، وحِسَابُهُم عَلَى اللهِ»[2]» انتَهى[3].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - :

«وأَصلُ ذَلكَ : أَنَّ "المَقَالَةَ" الَّتِي هِيَ "كُفرٌ" بِالكِتَابِ، والسُّـنَّةِ، والإِجمَـاعِ، يُقَالُ: "هِيَ كُفرٌ" قَولًا يُطلَقُ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلكَ الدَّلَائِلُ الشَّـرعِيَّةُ.

---

(١) وعَزَى - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - هَذَا إِلَى "الفُقَهَاءِ"؛ فَقَالَ: «قَالَ الفُقَهَاءُ: "إِنَّ الدَّاعِيَـةَ إِلَى البِدَعِ المُخَالِفَةِ للكِتَابِ، والسُّنَّةِ، يُعَاقَبُ بِمَا لَا يُعَاقَبُ بِهِ السَّـاكِتُ"» انتَهَـى مِـن : «مَجمُـوعِ الفَتَاوَى» (٢٨/ ٣٥٥).

(٢) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٥)، ومُسلِمٌ (٢٢) عَن ابنِ عُمَر - رَضِيَ اللهُ عَنهُ - .

(٣) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (١٠/ ٣٧٤).

فَإِنَّ "**الإِيمَانَ**" مِن الأَحكَامِ المُتَلَقَّاةِ عَن الله، ورَسُولِهِ؛ لَيسَ ذَلكَ مِـمَّا يَحكُـمُ فِيهِ النَّاسُ بِظُنُونِهِم، وأَهوَائِهِم .

ولَا يَجِبُ أَن يُحكَمَ فِي "**كُلِّ شَخصٍ**"، قَالَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ "**كَافِرٌ**"؛ حَتَّـى يَثبُـتَ فِي حَقِّهِ "**شُرُوطُ التَّكفِيرِ**"، و"**تَنتَفِي مَوَانِعُهُ**" .

مِثلُ مَن قَالَ: "**إِنَّ الخَمرَ، أَو الرِّبَا حَلَالٌ**"؛ لِقُربِ عَهدِهِ بِالإِسلَامِ؛ أَو لِنُشُوئِهِ فِي بَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ .

أَو سَمِعَ "**كَلَامًا**" أَنكَـرَهُ، ولَـم يَعتَقِـد أَنَّـهُ مِـن "**القُـرآنِ !**"، ولَا أَنَّـهُ مِـن "**أَحَادِيثِ رَسُولِ الله**" - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- .

كَمَا كَانَ بَعضُ السَّلَفِ يُنكِرُ أَشيَاءَ؛ حَتَّى يَثبُـتَ عِنـدَهُ أَنَّ النَّبِـيَّ - صَـلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- قَالَـهَا .

وكَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَشُكُّونَ فِي أَشيَاءَ، مِثلَ "**رُؤيَةِ الله**"، وغَيرِ ذَلِكَ» انتهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

«ولَيسَ لأَحَدٍ أَن يُكَفِّرَ أَحَدًا مِن المُسلِمِينَ، وإِن أَخطَأَ، وغَلِطَ؛ حَتَّـى "**تُقَـامَ عَلَيهِ الحُجَّةُ**"، وتُبَيَّنَ لَهُ "**المَحَجَّةُ**"، ومَن ثَبَتَ "**إِسلَامُهُ بِيَقِينٍ**" لَـم يَـزُل ذَلـكَ عَنـهُ بِالشَّكِّ؛ بَل لَا يَزُولُ إِلَّا بَعدَ "**إِقَامَةِ الحُجَّةِ**"، و"**إِزَالَةِ الشُّبهَةِ**"» انتهى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٣٥/ ١٦٥) .

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (١٢/ ٤٦٦) .

المَعلَمُ الخَامسُ عَشَرَ:

أَهلُ العِلمِ الذَّابُّونَ عَن "حِيَاضِ الـدِّينِ"، الحَارِسُـونَ لـ "ثُغُـورِ السُّـنَّةِ"، "الرَّادُّونَ عَلَى أَهلِ البِدَعِ بدَعَهُم"، و"أَهلِ الأَهوَاءِ أَهوَاءَهُم"، هُم عَلَى جِهَـادٍ مِـن أَعظَمِ الجِهَادِ فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالى .

وهُم فِي ذَلكَ دَرَجَاتٌ، ولا يُكَلَّفُ العَالِـمُ الغَيُورُ عَلَى دِيـنِ اللهِ تَعَـالى إِلَّا بـمَا يَستَطيعُهُ؛ ولِـهَذَا تتَنوَّعُ الجُهُودُ، وتَتَكَامَلُ فِي مَجمُوعِهَا[1] .

4 4 4

وفِي تَقرِيرِ هَذَا يَقُولُ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى– :

«والمَقصُودُ هُنَا أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا "أَكمَلَ النَّاسِ فِي مَعرفَةِ الحَـقِّ"، و"أَدِلَّتِـهِ"، و"الجَوَابِ عمَّا يُعَارِضُه"، وإِن كَانُوا فِي ذَلكَ دَرَجَاتٍ .

ولَيسَ كُلٌّ مِنهُم يَقُومُ بجَميعِ ذَلكَ، بَـل هـذَا يَقُـومُ بـالبَعضِ، وهـذَا يَقُـومُ بالبَعضِ، كمَا فِي نَقلِ الحَديثِ عَنِ النَّبيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ، [وعَـلَى آلـهِ]، وسَـلَّمَ–، وغَيرِ ذَلكَ مِن أُمُورِ الدِّينِ» انتَهى[2] .

---

(١) وفِي هَذَا الرَّدُّ عَلى بَعضِ المُتَحَمِّسينَ مِن الشَّـبَابِ الغَيُـورِ القَـائِلِينَ: لِـمَ لَـم يَـرُدَّ **العَالِـمُ الفُلَانيُّ عَلَى كَذَا، وكَذَا ؟ .**

والجَوَابُ : أَنَّ الجُهُودَ تتَظَافَرُ بمَجمُوعِهَا؛ ولا يُشتَرَطُ أَن يَـرُدَّ جَميـعُ العُلَـمَاءِ عَـلَى كُـلِّ مُبطلٍ؛ فَإِذَا قَامَ بهِ مَن أَحسَنَ فِيهِ، وكَفَى؛ فَقَد حَصَلَ المَقصُودُ مِن "حِمَايَةِ الدِّينِ"، و"الذَّبِّ عَن السُّنَّةِ"؛ فَتَأَمَّل .

وقَد أَحسَنَ الشَّيخُ بَكرُ بنُ عَبدِ اللهِ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى– فِي وَصـفِهِ هَـذِهِ المَقُولَـةَ بأَنَّهَـا: **"المَقولَةُ السَّاذَجَةُ"** ، وانظُر: «الرَّدُّ عَلَى المُخَالفِ مِن أُصُولِ الإِسلامِ» (ص٨٩) .

(٢) انظُر: «دَرءَ تَعَارضِ العَقلِ والنَّقلِ» (٧/ ١٧٢) .

وقَالَ الشَّيخُ بَكرُ بنُ عَبدِ الله أَبو زَيد (ت١٤٢٩) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«**العُلَمَاءُ قُدُراتٌ، وكُلٌّ يُزَاوِلُ مَا يُحسِنُ، حَسَبَ قُدرَتهِ؛ فهُوَ علَى ثَغرٍ يَحمِيهِ مِن أَيِّ عُدوَانٍ عَلَيهِ .**

فعَالِمٌ يَرُدُّ علَى مُلحِدٍ، وآخَرُ علَى صَاحِبِ بِدعَةٍ خَفيفَةٍ، وثَالثٌ علَى صَاحبِ فُسُوقٍ، وآخَرُ يَرُدُّ علَى رَأي شَاذٍّ، كُلُّ ذَلكَ حَسَبَ القُدرَةِ، والتَّأهِيلِ» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «الرَّدُّ عَلَى المُخَالف مِن أُصُول الإِسلام» (ص٨٧) .

المَعلَمُ السَّادسُ عَشَرَ:

ومِن أُصولِ ضَلَالِ المُتكَلِّمِينَ مُعَارَضَةُ "النَّقل" بـ"العَقلِ"، ثُمَّ "تَقدِيمُ العَقل" علَى "النَّقل" .

حتَّى قَعَّدُوا أَنَّهُ: "إِذَا تَعَارَضَ العقلُ، والنَّقلُ وَجَبَ تَقدِيمُ العَقلِ" .

وصَرَّحَ شَيخُ المُتَأَخِّرينَ مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ الرَّازيُّ (ت٦٠٦): "**أَنَّهُ لا يَجُوزُ التَّمَسُّكُ بالأَدِلَّةِ النَّقليَّةِ !**"، وقَالَ : "**إِنَّ الدَّلَائلَ النَّقلِيَّةَ ظَنِّيَّةٌ، وإِنَّ العَقلِيَّةَ قَطعِيَّةٌ، والظَّنُّ لَا يُعَارِضُ القَطعَ !**"[1] .

وهُوَ مَسلَكُ إبلِيسَ - لَعَنَهُ اللهُ -، **ووَرِثَهُ عَنهُ تَلَامِيذُهُ مِن بَعدِهِ .**

وهُوَ أَصلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ في العَالَمِ .

4 4 4

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - :

«وَلتكُن قِصَّةُ شَيخِ هَؤُلَاءِ القَدِيمِ[2] مِنكَ عَلَى ذِكرٍ كُلَّ وَقتٍ؛ **فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَن "عَارَضَ بَينَ العَقلِ، والنَّقلِ"، و"قَدَّمَ العَقلَ" !**؛ فَكَانَ مِن أَمرِهِ مَا قَصَّ اللهُ»[3] .

---

(١) انظُر: كِتَابَهُ «مَعَالِمُ أُصُولِ الدِّينِ» (ص٢٥) .
وقَد فَصَّلتُ القَولَ في ضَلالِ الأَشعَرِيَّةِ في هَذَا المَسلَكِ في كتَابي "مَوقفُ الإِمَامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ أَبي مُحَمَّدٍ ابنِ قُدَامَةَ مِن أَبي الحَسَنِ الأَشعَرِيِّ والأَشعَرِيَّة، وتَحقيقِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ لِهَذِهِ القَضِيَّةِ" - يَسَّرَ اللهُ نَشرَهُ - .

(٢) يَعني: إبليسَ - لَعَنَهُ اللهُ - .

(٣) في قَولِهِ تَعَالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف] .

ووَرَّثَ الشَّيخُ تَلَامِذَتَهُ هَذِهِ المُعَارَضَةَ؛ فَلَم يَزَل يَجرِي عَلَى الأَنبِيَاءِ، وأَتبَاعِهِم مِنهَا "**كُلَّ مِحنَةٍ**"، و"**بَلِيَّةٍ**" .

وأَصلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ فِي العَالَمِ، كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ الشَّهرَستَانِيُّ[١] : "**مِن مُعَارَضَةِ النَّصِّ بِالرَّأيِ، وتَقدِيمِ الهَوَى عَلَى الشَّرعِ**"[٢] .

والنَّاسُ إِلَى اليَومِ فِي شُرُورِ هَذِهِ المُعَارَضَةِ، ثُمَّ ظَهَرَ مَعَ هَذَا الشَّيخِ المُتَأَخِّرِ[٣] المُعَارِضِ أَشيَاءُ، لَم تَكُن تُعرَفُ قَبلَهُ :

"جُسِّيَّاتُ العَمِيدِيِّ"[٤]، و"حَقَائِقُ ابنِ عَرَبِيٍّ"[٥]، و"تَشكِيكَاتُ الرَّازِيِّ"[٦] .

---

(١) أَفَادَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ كِتَابَ الشَّهرستَانِيِّ (ت٥٤٨) "المِلَل والنِّحَل" مِن أَجمَعِ الكُتُبِ المُصَنَّفَة فِي المَقَالاتِ، ومَعَ هَذَا فَقَد وقَعَت فِيهِ نُقُولٌ ضَعِيفَةٌ مَعرُوفَةٌ .

ومِيزَةُ كِتَابِهِ: أَنَّ مُؤَلِّفَهُ "**كَانَ خَبِيرًا بِـ"قَولِ الأَشعَرِيَّةِ"، و"قَولِ ابنِ سِينَا، ونَحوِهِ مِنَ الفَلَاسِفَةِ"؛ فَكَانَ أَجوَدُ مَا نَقَلَهُ فِي كِتَابِهِ قَولُ هَاتَينِ الطَّائِفَتَينِ، وأَمَّا أَقوَالُ الصَّحَابَةِ، والتَّابِعِينَ، وأَئِمَّةِ السُّنَّةِ، والحَدِيثِ؛ فَلَا هُوَ، ولا أَمثَالُهُ يَعرِفُونَ أَقوَالَهُم، بَل ولا سَمِعُوهَا - عَلَى وَجهِهَا- بِنَقلِ أَهلِ العِلمِ لَهَا بِالأَسَانِيدِ المَعرُوفَةِ؛ وإِنَّمَا سَمِعُوا جُمَلًا تَشتَمِلُ عَلَى حَقٍّ، وبَاطِلٍ**، انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٦/ ٣٠٤) .

(٢) انظُر: «المِلَلَ والنِّحَلَ» (١/ ١٤) .

(٣) أَي: نَصرٌ المَنبِجيُّ .

(٤) "**الجُستُ**" نَوعٌ مِن البَحثِ، والخِلافِ، والجَدَلِ، أَفرَدَهُ العَمِيديُّ: وهُوَ: مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ العَمِيدِيُّ، السَّمَرقَندِيُّ الحَنَفِيُّ (ت٦١٥)، وبِهِ عُرِفَ، وصَنَّفَ فِيهِ كِتَابَهُ (الجُستَ): انظُر: «سِيَرَ أَعلَامِ النُّبَلاءِ» (٢٢/ ٧٦)، و«وَفَيَاتِ الأَعيانِ» (٤/ ٢٥٧-٢٥٨) .

(٥) وهِيَ المُتَعَلِّقَةُ باللهِ تَعَالَى، والمَخلُوقَاتِ؛ وهَذَا جَرَّهُ إِلَى القَولِ بِوحدَةِ الوُجُودِ - عِيَاذًا باللهِ- .

(٦) مِمَّا عِيبَ عَلَى الرَّازِيِّ فِي إِسرَافُهُ فِي تَقرِيرِ الشُّبُهَاتِ، وضَعفُ جَوَابِهِ عَنهَا .

وقَامَ سُوقُ الفَلسَفَةِ، والمَنطِقِ، وعُلُومِ أَعدَاءِ الرُّسُلِ .

ثُمَّ نَظَرَ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ، وانتَصَرَ لِكِتَابِهِ، ودِينِهِ، وأَقَامَ جُندًا يَغزُو مُلُوكَ هَـؤُلَاءِ بِالسَّيفِ، والسِّنَانِ، وجُندًا يَغزُو عُلَمَاءَهُم بِالحُجَّةِ، والبُرهَانِ .

ثُمَّ نَبَغَت نَابِغَةٌ مِنهُم فِي رَأسِ القَرنِ السَّابِعِ؛ فَأَقَامَ اللهُ لِدِينِهِ شَيخَ الإِسلَامِ أَبَا العَبَّاسِ أَحمَدَ بنَ تَيمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ -؛ **فَأَقَامَ عَلَى غَزوِهِم مُـدَّةَ حَيَاتِـهِ بِاليَـدِ، والقَلبِ، واللِّسَانِ .**

وكَشَفَ لِلنَّاسِ بَـاطِلَهُم، وبَـيَّنَ تَلبِيسَـهُم، وتَدلِيسَـهُم، وقَـابَلَهُم بِصَـرِيحِ المَعقُولِ، وصَحِيحِ المَنقُولِ .

وشَفَى واشتَفَى، وبَيَّنَ تَنَاقُضَهُم، ومُفَارَقَتَهُم لِحُكمِ العَقلِ الَّذِي بِـهِ يَـدُلُّونَ، وإِلَيهِ يَدعُونَ .

وأَنَّهُم أَترَكُ النَّاسِ لأَحكَامِهِ، وقَضَايَاهُ، فَلَا وَحيَ، ولَا عَقلَ .

فَأَردَاهُم فِي حُفَرِهِم، ورَشَقَهُم بِسِهَامِهِم، وبَيَّنَ أَنَّ صَحِيحَ مَعقُولَاتِهِم خَـدَمٌ لِنُصُوصِ الأَنبِيَاءِ .

فَجَزَاهُ اللهُ عَنِ الإِسلَامِ، وأَهلِهِ خَيرًا» انتهَى[1] .



---

(١) انظُر: «الصَّوَاعِقَ المُرسَلَة» (٣/ ١٠٧٧-١٠٨٠)، و«مُختَصَر الصَّـوَاعِقِ المُرسَـلَة» (ص١٧٨) .

المَعلَمُ السَّابعُ عَشَرَ :

مِن مَسَالكِ أَهل البِدَعِ، والأَهوَاءِ المَشهُورَةِ :

استِعمَالُ "الأَلفَاظِ المُجمَلَةِ المُحتَمِلَةِ"، و"المَعَاني المُشتَبهَة"[1] .

فَالوَاجِبُ كَشفُهَا بـ "سُؤَالِ التَّفسيرِ" المَعرُوفِ في عِلم الجَدَلِ، وأُصُولِ الفِقهِ، وهُوَ الاستِفصَالُ عمَّا يُريدُونَ مِن تِلك الكَلِمَاتِ .

فَإِن أَرَادُوا بهَا "مَعنًى يُوَافِقُ الشَّرعَ" قُبِلَ المَعنَى، وإِن أَرَادُوا بهَا "مَعنًى يُخَالِفُ الشَّرعَ" رُدَّ ذَلكَ المَعنَى .

ثُمَّ التَّعبِيرُ عَن تِلكَ "المَعَاني الشَّرعيَّةِ" إن كَانَ بأَلفَاظٍ فِيهَا "اشتِبَاهٌ"، أَو "إجمَالٌ"؛ فَالوَاجبُ تَركُهَا، والتَّعبيرُ بالأَلفَاظِ الشَّرعيَّةِ .

ومِن مَسَالكِ أَهل البِدَعِ، والأَهوَاءِ - أَيضًا- :

التَّمَسُّكُ بِـ"الأَقيِسَةِ" مَعَ الإِعرَاضِ عَن النُّصوصِ، والآثَارِ .

4 4 4

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«وإِنَّمَا عَامَّةُ مَا عِندَ القَومِ "أَلفَاظٌ مُتَشَابِهَةٌ"، تَمَسَّكُوا بِهَا ظَنُّوهَا تَدَلُّ عَلَيهِ، وعَدَلُوا عَنِ "الأَلفَاظِ المُحكَمَةِ الصَّرِيحَةِ المُبَيِّنَةِ"، مَعَ مَا يَقتَرِنُ بِذَلِك مِنَ الأَهوَاءِ» انتَهَى[2] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

---

(١) انظُر : «الصَّفَدِيَّة» (٢/ ٢٨٣) .

(٢) انظُر : «الجَوَابَ الصَّحِيحَ لمَن بَدَّل دِين المَسيح» (١/ ١٠٥) .

«ولَكِن هَؤُلَاءِ كَثِيرًا مَا يَتَنَازَعُونَ فِي "**الأَلفَاظِ المُجمَلَةِ المُتَشَابِهَةِ**"، وقَد قِيلَ: "**أَكبَرُ اختِلَافِ العُقَلَاءِ مِن جِهَةِ اشتِرَاكِ الأَسمَاءِ**" .

قَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ فِي وَصفِ أَهلِ البِدَعِ: "**فَهُم مُخَالِفُونَ الكِتَابَ، مُختَلِفُونَ فِي الكِتَابِ، مُجتَمِعُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ الكِتَابِ، يَقُولُونَ عَلَى اللهِ، وفِي اللهِ، وفِي كِتَابِ اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ، ويَتَكَلَّمُونَ بِالمُتَشَابِهِ مِن الكَلَامِ، ويَخدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيهِم**"» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وشَرَحَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - هَذَا؛ فَقَالَ:

«**والمَقصُودُ هُنَا قَولُهُ**: "**ويَتَكَلَّمُونَ بِالمُتَشَابِهِ مِن الكَلَامِ، ويَخدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيهِم**" .

وهَذَا "**الكَلَامُ المُتَشَابِهُ**" الَّذِي يَخدَعُونَ بِهِ جُهَّالَ النَّاسِ، هُوَ الَّذِي يَتَضَمَّنُ "**الأَلفَاظَ المُتَشَابِهَةَ المُجمَلَةَ**"، الَّتِي يُعَارِضُونَ بِهَا نُصُوصَ الكِتَابِ، والسُّنَّةِ .

وتِلكَ "**الأَلفَاظُ**" تَكُونُ مَوجُودَةً مُستَعمَلَةً فِي الكِتَابِ، والسُّنَّة، وكَلامِ النَّاسِ، لَكِن بِمَعَانٍ أُخَرَ غَيرِ المَعَانِي الَّتِي قَصَدُوهَا هُم بِهَا؛ فَيَقصِدُونَ هُم بِهَا مَعَانِيَ أُخَرَ، فَيَحصُلُ "**الاشتِبَاهُ**"، و "**الإِجمَالُ**" .

كَلَفظِ "**العَقلِ**"، و"**العَاقِلِ**، و"**المَعقُولِ**" .

فَإِنَّ لَفظَ "**العَقلِ**" فِي لُغَةِ المُسلِمِينَ؛ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَي عَرَضٍ، إِمَّا مُسَمَّي مَصدِرِ "**عَقِلَ يَعقِلُ عَقلًا**" .

وإِمَّا قُوَّةً يَكُونُ بِهَا العَقلُ، وهِيَ الغَرِيزَةُ، وهُم يُرِيدُونَ بِذَلِكَ "**جَوهراً مُجَرَّداً قَائِماً بِنَفسِهِ !**" .

---

(١) انظُر: «الفَتَاوَى الكُبرَى» (٦/ ٣٩١) .

وكَذلكَ لَفظُ "**المَادَّةِ**"، و"**الصُّورَةِ**" .

بَـل وكَـذلكَ لَفـظُ "**الجَـوهَرِ**"، و"**العَـرَضِ**"، و"**الجِسـمِ**"، و"**التَّحَيُّـزِ**"، و"**الجِهَـةِ**"، و"**التَّركيـبِ**"، و"**الجُـزءِ**"، و"**الافتِقَـارِ**"، و"**العِلَّـةِ**"، و"**المَعلُـولِ**"، و"**العَاشِقِ**"، و"**العِشقِ**"، و"**المَعشُوقِ**" .

بَل ولَفظُ "**الوَاحِدِ**" في التَّوحِيدِ .

بَل ولَفظُ "**الحُدُوثِ**"، و"**القِدَمِ**" .

بَل ولَفظُ "**الوَاجِبِ**"، و"**المُمكِنِ**" .

بَل ولَفظُ "**الوُجُودِ**"، و"**الذَّاتِ**"، وغَيرِ ذَلكَ مِن الأَلفَاظِ.

ومَا مِن أَهلِ فَنٍّ إلَّا وهُم مُعتَرفُونَ بأَنَّهُم يَصطَلِحُونَ علَى "**أَلفَـاظٍ يتَفَـاهَمُونَ بهَا مُرَادَهُم**"، كمَا لأَهلِ الصِّنَاعَاتِ العِلمِيَّةِ أَلفَاظٌ يُعبرُّونَ بهَا عَن صِنَاعَتهِم .

وهَذهِ "**الأَلفَاظُ**" هِيَ "**عُرفيَّةٌ عُرفاً خَاصًّا**"، **ومُرَادُهُم بهَا غَيرُ المَفهُومِ مِنهَا في أَصلِ اللُّغَةِ، سَوَاءً كَانَ ذَلكَ المَعنَي حَقًّا، أَو بَاطِلاً**» انتَهَى[1] .

ثُمَّ شَرَحَ ذَلكَ في كَلامٍ مَاتِعٍ .

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا– :

«**و– أَيضاً – فَإنَّ المُنَاظَرةَ بِـ"الأَلفَاظِ المُحدَثَةِ، المُجملَـةِ، المُبتَدَعَـةِ، المُحتَمِلَـةِ للحَقِّ، والبَاطِلِ"؛ إذَا أَثبَتَهَا أَحَدُ المُتَنَاظِرَينِ، ونَفَاهَا الآخَرُ؛ كَانَ كِلَاهُمَا مُخطِئاً.**

و"أَكثَرُ اختِلَافِ العُقَلاءِ مِن جِهَةِ اشتِرَاكِ الأَسمَاءِ" .

وفي ذَلكَ مِن فَسَادِ العَقلِ، والدِّين مَا لا يَعلَمُهُ إلَّا اللهُ .

---

(١) انظُر: «دَرءَ تَعَارض العَقل والنَّقل» (١/ ٢٢٢-٢٢٣) .

فإذَا رَدَّ النَّاسُ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إلَى الكِتَابِ، والسُّنَّةِ؛ فَالمَعَاني الصَّحِيحَةُ ثَابتَةٌ فِيهِمَا، والمُحِقُّ يُمكِنُهُ بيَانُ مَا يَقُولُهُ مِن الحَقِّ بالكتَابِ، والسُّنَّةِ .

ولَو كَانَ النَّاسُ مُحتَاجِينَ في أُصُولِ دِينِهم إلى مَا لَم يُبَيِّنهُ اللهُ، ورَسُولُهُ لَم يَكُن اللهُ، قَد أَكمَلَ للأُمَّةِ دِينَهُم، ولا أَتَمَّ عَلَيهم نِعمَتَهُ ! .

فنَحنُ نَعلَمُ أَنَّ كُلَّ حَقٍّ يَحتَاجُ النَّاسُ إلَيهِ في أُصُول دِينِهم، لا بُدَّ أَن يَكُونَ مِمَّا بَيَّنَهُ الرَّسُولُ؛ إذ كَانَت "فرُوعُ الدِّين" لا تَقُومُ إلَّا بـ"أُصُولِه"، فَكَيفَ يَجُوزُ أَن يترُكَ الرَّسُولُ "أُصَولَ الدِّين" الَّتِي لا يَتِمُّ الإيمَانُ إلَّا بهَا لا يُبَيِّنُهَا للنَّاسِ ؟ .

ومِن هُنَا :

يُعرَفُ ضَلَالُ مَن ابتَدَعَ طَريقاً، أَو اعتِقَاداً زَعَمَ أَنَّ الإيمَانَ [لا يَتمُّ إلَّا بِهِ] [مَعَ] العِلمِ بأَنَّ الرَّسُولَ لَم يَذكُرهُ !» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - :

«فـ"**الأَلفَاظُ المُجمَلَةُ**" الَّتي قَد يُفهَمُ مِنهَا "**مَعنًى فَاسِدٌ**"؛ إذَا لَم تَرد في كَلَام الشَّارِعِ، لَم نَكُن مُحتَاجِينَ إلى إطلَاقِهَا .

كلَفظِ "**العِشقِ**"، وإن أُرِيدَ بِهِ "**المَحَبَّةُ التَّامَّةُ**"، وقَد أَطلَقَ بَعضُهم عَلى اللهِ أَنَّهُ "**يَعشِقُ**"، و"**يُعشَقُ**"، وأَرَادَ بِهِ أَنَّهُ "**يُحِبُّ**"، و"**يُحَبُّ مَحبَّةً تَامَّةً**"، **فَالمَعنَى صَحِيحٌ، واللَّفظُ فِيهِ نِزَاعٌ**» انتَهَى[2] .



---

(١) انظُر: «دَرءَ التَّعَارض» (١/ ٢٣٣)، و«مَجمُوعَ الفتَاوى» (٢٠/ ١٦٣) .

(٢) انظُر: «النُّبُوَّاتِ» (١/ ٤٤٦/ ت الطويَّان)، و«بيَانَ تَلبيس الجَهميَّة في تَأسيس بدَعهم الكَلاميَّة» (١/ ٢٣١- ٢٣٢) .

وقَالَ - أَيضًا- :

«**ولـهذَا يُوجَدُ كَثيراً في كَلام السَّلَفِ، والأَئمَّـةِ النَّهـيُ عَـن إِطـلَاقِ مَـوَاردِ النِّزَاعِ بالنَّفي، والإِثبَاتِ** .

ولَيسَ ذَلكَ لخُلُوِّ النَّقِيضَينِ عَن الحَقِّ، ولا قُصُورٍ، أَو تَقصِير في بيَانِ الحَـقِّ، ولَكِن لأَنَّ تِلكَ العِبَارَةَ مِن "**الأَلفَاظِ المُجمَلَةِ المتَشَابهَةِ**" المُشتَمِلَةِ علَي حَقٍّ، وبَاطِلٍ؛ ففِي إثبَاتِهَا "**إثبَاتُ حَقٍّ**"، و"**بَاطِلٍ**"، وفي نَفيهَا "**نَفيُ حَقٍّ**"، و"**بَاطِلٍ**" ! .

فيُمنَعُ مِن "**كِلَا الإِطلَاقَينِ**"، بخِلَافِ "**النُّصُـوصِ الإلَـهيَّةِ**"؛ فَإِنَّهـا فُرقَـانٌ فَرَّقَ اللهُ بِهَا بَينَ الحَقِّ، والبَاطِلِ .

ولـهَذا كَانَ سَلَفُ الأُمَّةِ، وأَئمَّتُهَا يَجعَلُـونَ كَـلامَ اللهِ، ورَسُـولِهِ هُـوَ الإِمَـامَ والفُرقَانَ، الَّذي يَجبُ اتِّباعُه .

فيُثبِتُون مَا أَثبَته اللهُ، ورَسُولُه، ويَنفُونَ مَا نفَاه اللهُ، ورَسُولُه .

ويَجعَلُون العبَارَات المُحدَثَةَ "**المُجمَلَةَ المتَشَابهَةَ**" ممنُوعاً مِـن إطلَاقِهَـا: نَفيـاً، وإثبَاتاً .

لا يُطلِقُون اللَّفظَ، ولا يَنفُونَهُ إلَّا بَعدَ الاستِفسَارِ، والتَّفصِيلِ .

فَإِذَا تَبَيَّنَ المَعنَي أُثبِتَ حَقُّهُ، ونُفِيَ بَاطِلُه، بخِلَافِ كَـلام اللهِ، ورَسُـولِه؛ فَإنَّـهُ حَقٌّ يَجبُ قَبُولُهُ، وإِن لَـم يُفهَم مَعنَاهُ، وكَلَامُ غَيرِ المَعصُـومِ لا يَجـبُ قَبُولُـهُ؛ حتَّـى يُفهَمَ مَعنَاهُ» انتَهَى[١] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

---

(١) انظُر: «دَرءَ تَعَارض العَقل والنَّقل» (١/ ٧٦) .

«وأَمَّا "**الأَلفَاظُ**" الَّتِي لَيسَت فِي الكِتَـابِ، والسُّـنَّةِ، ولَا اتَّفَـقَ السَّـلَفُ عَـلَى نَفيِهَا، أَو إثبَاتِهَا؛ فَهَذِهِ لَيسَ عَلَى أَحَدٍ أَن يُوَافِقَ مَن نَفَاهَا، أَو أَثبَتَهَا؛ حَتَّى يَستَفسِـرَ عَن مُرَادِهِ؛ فَإِن أَرَادَ بِهَا "**مَعنًى يُوَافِقُ خَبَرَ الرَّسُولِ**" أَقَـرَّ بِـهِ، وإِن أَرَادَ بِهَـا "**مَعنًـى يُخَالِفُ خَبَرَ الرَّسُولِ**" أَنكَرَهُ .

ثُمَّ التَّعبِيرُ عَن تِلكَ "المَعَانِي" إِن كَانَ فِي أَلفَاظِهِ "اشـتِبَاهٌ"، أَو "إِجمَـالٌ"؛ عُـبِّرَ بِغَيرِهَا، أَو بَيَّنَ مُرَادَهُ بِهَا بِحَيثُ يَحصُلُ تَعرِيفُ الحَقِّ بِـ"الوَجهِ الشَّرعِيِّ" .

فَإِنَّ كَثِيرًا مِن نِزَاعِ النَّاسِ سَبَبُهُ: "**أَلفَاظٌ مُجمَلَةٌ مُبتَدَعَةٌ، ومَعَانٍ مُشتَبِهَةٌ**" .

حَتَّى تَجِدَ الرَّجُلَينِ يَتَخَاصَمَانِ، ويَتَعَادَيَانِ عَلَى "**إِطـلَاقِ أَلفَـاظٍ**"، و"**نَفيِهَـا**"، ولَو سُئِلَ كُلٌّ مِنهُمَا عَن "**مَعنَى مَا قَالَهُ**"، لَـم يَتَصَوَّرهُ، فَضلًا عَن أَن يَعرِفَ دَلِيلَـهُ، ولَو عَرَفَ دَلِيلَهُ لَـم يَلزَم أَنَّ مَن خَالَفَهُ يَكُونُ مُخطِئًا .

بَل يَكُونُ فِي قَولِهِ "**نَوعٌ مِن الصَّوَابِ**"، وقَد يَكُونُ هَذَا "**مُصِيبًا مِـن وَجـهٍ**"، وهَذَا "**مُصِيبًا مِن وَجهٍ**"، **وقَد يَكُونُ الصَّوَابُ فِي قَولٍ ثَالِثٍ**» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا– :

«**النَّاسُ عَلَيهِم أَن يَجعَلُوا كَلَامَ اللهِ، ورَسُولِهِ هُوَ "الأَصلَ المُتَّبَـعَ"**، و"**الإِمَـامَ المُقتَدَى بِهِ**"، سَوَاءٌ عَلِمُوا مَعنَاهُ، أَو لَـم يَعلَمُوهُ .

فَيُؤمِنُونَ بِـ"**لَفظِ النُّصُوصِ**"، وإِن لَـم يَعرِفُوا حَقِيقَةَ مَعنَاهَا .

وأَمَّا مَا سِوَى كَلَامِ اللهِ، ورَسُولِهِ؛ فَلَا يَجُـوزُ أَن يُجعَـلَ "**أَصـلًا**" بِحَـالٍ، ولَا يَجِبُ التَّصدِيقُ بِلَفظٍ لَهُ؛ حَتَّى يُفهَمَ مَعنَاهُ؛ فَإِن كَانَ "**مُوَافِقًا لِـمَا جَاءَ بِـهِ الرَّسُـولُ**"

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (١٢/ ١١٤)، وانظُر: «الفَتَاوَى الكُبرَى» (٦/ ٣٣٨) .

كَانَ "**مَقبُولًا**"، وإِن كَانَ "**مُخَالِفًا**" كَانَ "**مَردُودًا**"، وإِن كَانَ "**مُجمَلًا**" مُشتَمِلًا عَلَى حَقٍّ، وبَاطِلٍ، "**لَم يَجُز إِثبَاتُهُ**" - أَيضًا-، و"**لا يَجُوزُ نَفيُ جَمِيعِ مَعَانِيهِ**" .

بَل يَجِبُ المَنعُ مِن إِطلَاقِ نَفيِهِ، وإِثبَاتِهِ، والتَّفصِيلُ، والاستِفسَارُ .

وهَؤُلَاءِ جَعَلُوا هَذِهِ "**الأَلفَاظَ المُبتَدَعَةَ المُجمَلَةَ**" أَصلًا أُمِرُوا بِهَا، وجَعَلُوا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِن الآيَاتِ، والأَحَادِيثِ فَرعًا، يُعرَضُ عَنهَا، ولَا يُتَكَلَّمُ بِهَا، ولَا فِيهَا ! .

فَكَيفَ يَكُونُ تَبدِيلُ الدِّينِ إِلَّا هَكَذَا؟» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

«**وكَذَلِكَ التَّمَسُّكُ بِـ"الأَقِيسَةِ" مَعَ الإِعرَاضِ عَن النُّصُوصِ، والآثَارِ "طَرِيقُ أَهلِ البِدَعِ"**» انتَهَى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «الفتَاوَى الكُبرَى» (٦/ ٣٣٨) .

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٧/ ٣٩٢) .

تَنبيهٌ وتَتِمَّةٌ :

[ومِن هَذَا البَاب عِندَ أَهل البدَعِ: مَا يَقَعُ في رُدُودِهِم مِن "الإجمَالِ" في إنكَارِ أَقوَالِ أَهل السُّنَّةِ، والتَّشنِيعِ عَليهِم.

وهَذَا قَد سَلَكَهُ خُصُومُ شَيخُ الإسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ مَعَهُ في مُحاكَمَاتِهِم]

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

«وقَد قُلتُ قَبلَ ذَلِكَ بِدِمَشقَ: "هَذِهِ الإِنكَارَاتُ المُجمَلَةُ، لَا تُفِيدُ شَيئًا، بَل مَن أَنكَرَ شَيئًا؛ فَليَكتُب خَطَّهُ بِمَا أَنكَرَهُ، وبِحُجَّتِهِ، وأَنَا أَكتُبُ خَطِّي بِجَوَابِ ذَلِكَ .

ويَرَى أَهلُ العِلمِ، والإِيمَانِ الكَلَامَينِ" .

فَهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ في الأُمُورِ العَامَّةِ .

وأَمَّا الأَلفَاظُ الَّتِي لَا تُكتَبُ؛ فَيَكثُرُ فِيهَا التَّخلِيطُ، والزِّيَادَةُ، والنُّقصَانُ - كَمَا قَد وَقَعَ- .

وقَد قُلتُ فِيمَا قُلتُهُ للطَّيبَرسيِّ: هَذَا الأَمرُ الَّذِي عَمِلتُمُوهُ فَسَادٌ في مِلَّتِكُم، ودَولَتِكُم، وشَرِيعَتِكُم .

و"الكِتَابُ السُّلطَانِيُّ" الَّذِي كُتِبَ عَلَى لِسَانِ السُّلطَانِ فِيهِ مِن الكَذِبِ عَلَيكُم، ومُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ تَزِيدُ عَلَى عَشَرَةِ أَوجُهٍ» انتهى[1] .

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا- :

«وإِن أَرَادُوا أَن يُنكِرُوا بِمَا شَاءُوا مِن "حُجَجٍ عَقلِيَّةٍ"، أَو "سَمعِيَّةٍ"؛ فَأَنَا أُجِيبُهُم إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وأُبَيِّنُهُ بَيَانًا يَفهَمُهُ الخَاصُّ، والعَامُّ أَنَّ الَّذِي أَقُولُهُ: هُوَ المُوَافِقُ

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٣/ ٢٤٤) .

لضَرُورَةِ العَقلِ، والفِطرَةِ، وأَنَّهُ المُوَافِقُ لِلكِتَابِ، والسُّنَّةِ، وإِجمَاعِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وأَنَّ المُخَالِفَ لذَلكَ هُوَ المُخَالِفُ لِـ"**صَرِيحِ المَعقُولِ**"، و"**صَحِيحِ المَنقُولِ**".

فَلَو كُنتُ أَنَا المُبتَدِئُ بالإنكَارِ، والتَّحدِيثِ بِمِثلِ هَذَا؛ لَكَانَت الحُجَّةُ مُتَوَجِّهَةً عَلَيهِم؛ فَكَيفَ إذَا كَانَ الغَيرُ هُوَ المُبتَدِئُ بالإنكَارِ ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى] الآيَتَينِ، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٣/ ٢٤٦).

المَعلَمُ الثَّامنُ عَشَرَ :

لا يَجُوزُ نِسبَةُ "مَقَالَةٍ" لـ"مُبتَدِعٍ"؛ حَتَّى يُعرِبَ عَنهُا لَسَانُهُ، أَو بَنَانُهُ .

وليَحذَر المُنصِفُ هَذَا البَاب؛ فَإِنَّهُ مَزلَقٌ .

4 4 4

وقَد أَحسَنَ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - إِذ يَقُولُ فِي خُصُومِهِ الَّذينَ سَجَنُوهُ، وافتَرَوا عَلَيهِ :

وقَد كَتَبَ - وهُوَ فِي السِّجنِ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ (٧٠٦هـ) -، يحكِي مَا جَرَى بَينَهُ وبَينَ (أَمِينِ الرَّسُولِ: عَلَاءِ الدِّينِ الطَّيبَرسِيِّ) وَاصِفًا حَقِيقَةَ قَولِ مَن نَاظَرَهُم فِي بِلَادِ الشَّامِ :

«قُلتُ: فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: **"مَا فَوقَ العَرشِ رَبٌّ يُدعَى، ولَا فَوقَ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعبَدُ؛ ومَا هُنَاكَ إِلَّا العَدَمُ المَحضُ، والنَّفيُ الصِّرفُ"** .

و **"إِنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ - لَم يُعرَج بِهِ إلى اللهِ تَعَالَى؛ ولَكِن صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، ونَزَلَ، وأَنَّ الدَّاعِيَ لَا يَرفَعُ يَدَيهِ إِلَى اللهِ"** .

ومِنهُم مَن يَقُولُ: **"إِنَّ اللهَ هُوَ هَذَا الوُجُودُ؛ وأَنَا اللهُ؛ وأَنتَ اللهُ؛ والكَلبُ، والخِنزِيرُ، والعَذِرَةُ!"** .

ويَقُولُ: **"إِنَّ اللهَ حَالٌّ فِي ذَلِكَ"** !! .

فَاستَعظَمَ ذَلِكَ، وَهَالَهُ أَنَّ أَحَدًا يَقُولُ هَذَا؛ فَقَالَ: **"هَؤُلَاءِ - يَعنِي: ابنَ مَخلُوفٍ، وذَوِيهِ - ؟!"** .

فَقُلتُ: هَؤُلَاءِ مَا سَمِعتُ كَلَامَهُم، ولَا خَاطَبُونِي بِشَيءٍ؛ فَمَا يَحِلُّ لِي أَن أَقُولَ عَنهُم مَا لَم أَعلَمهُ؛ ولَكِنَّ هَذَا قَولُ الَّذِينَ نَازَعُونِي بِالشَّامِ، ونَاظَرُونِي، وصَرَّحُوا

لِيَ بِذَلِكَ، وصَرَّحَ أَحَدُهُم بِأَنَّهُ لَا يَقبَلُ مِن الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- مَا يَقُولُهُ فِي هَذَا البَابِ مِمَّا يُخَالِفُهُم !!» انتَهَى المُرَادُ[1] .

❑ ❑ ❑

وتَقَدَّمَ فِي المَعلَمِ الثَّانِي قَولُ شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- مُبَيِّنًا طَرِيقَةَ الرَّدِّ عَلَى المُبتَدِعَةِ :

«/٣/ وإِن أَعلَنَ بِـ"البِدعَةِ"، ولَم يُعلَم هَل كَانَ مُنَافِقًا، أَو مُؤمِنًا مُخطِئًا ؟:

"ذُكِرَ بِمَا يُعلَمُ مِنهُ" .

فَلَا يَحِلُّ للرَّجُلِ أَن يَقفُوَ مَا لَيسَ لَهُ بِهِ عِلمٌ، ولَا يَحِلُّ لَهُ أَن يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا البَابِ إِلَّا "قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ تَعَالَى"، و"أَن تَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُليَا"، و"أَن يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ" .

فَمَن تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ بِغَيرِ عِلمٍ، أَو بِمَا يَعلَمُ خِلَافَهُ كَانَ آثِمًا» انتَهى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢١٨) .

(٢) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٢٨/ ٢٣٢-٢٣٤) .

المَعلَمُ التَّاسعُ عَشَرَ :

ومِـمَّا يَجِبُ الإِنصَافُ، والحَذَرُ مِن الخَلطِ والاعتِسَافِ :

مَا يَقعُ مِن زَلَّةِ العَالِـم الفَاضلِ المُتَّبعِ للسُّنَّةِ؛ فَهيَ مِحنَةٌ، وفِتنَةٌ لطَائفَتَينِ :

طَائفَةٌ تُتَابعُهُ عَلَى خَطئهِ لعَظِيم مَنزلَتِهِ ، وطَائفَةٌ تَذُمَّهُ لوُقُوعِ البِدعَةِ مِنهُ .

والحَقُّ في مِثلِ هَذَا المَوضعِ خَاصَّةِ، ومَعَ هَذَا الصِّنفِ مِن أَهل العِلم الفُضَلاءِ وسَطٌ بَينَ الطَّائفَتَينِ، وحَاصِلُهُ: رَدٌّ بِدعَتِهم، وخَطَئهِم، والتَّحـذيرُ مِنهَـا، وحِفـظُ مَكَانَتِهم، وتَعظِيمُهُم فيمَا نَصَرُوا فِيهِ السُّنَّةَ .

لأَنَّهَا زَلَّةُ عَالِـمٍ، وقَعَ فِيهَا لتَقصيرٍ، أَو شَيءٍ مِن الـهَوَى .

وهذَا البَابُ مُغَايرٌ لبَاب التَّعَامُلِ مَعَ أَهل البدَعِ، ودُعَاتِهَا، السَّائرينَ بغَير سَيرِ السَّلَفِ، الرَّاكِبينَ في ركَابِ الخَلفِ .

4 4 4

وفي تَقريرِ هَذَا المَوضعِ الدَّقيقِ يَقُولُ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّـةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«ومِـمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا البَابِ أَن يُعلَمَ أَنَّ "الرَّجُلَ العَظِيمَ" في "العِلمِ"، و"الدِّينِ" مِنَ الصَّحَابَةِ، والتَّابِعِينَ، ومَن بَعدَهُم إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، أَهلِ البَيتِ، وغَيرِهِم :

قَد يَحصُلُ مِنهُ "نَوعٌ مِنَ الاجتِهَادِ" مَقرُونًـا بِـ"الظَّـنِّ"، و"نَـوعٍ مِـنَ الهَـوَى الخَفِيِّ" .

فَيَحصُلُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَا لَا يَنبَغِي اتِّبَاعُهُ فِيهِ، وإِن كَانَ مِن أَولِيَاءِ اللهِ المُتَّقِينَ .

ومِثلُ هَذَا إِذَا وَقعَ يَصِيرُ فِتنَةً لِطَائِفَتَينِ :

"طَائِفَةٌ تُعَظِّمُهُ"؛ فَتُرِيدُ تَصوِيبَ ذَلِكَ الفِعلِ، واتِّبَاعَهُ عَلَيهِ .

و"**طَائِفَةٌ تَذُمُّهُ**"؛ فَتَجعَلُ ذَلِكَ قَادِحًا فِي وِلَايَتِهِ، وتَقوَاهُ، بَـل فِي بِـرِّهِ، وكَونِـهِ مِن أَهلِ الجَنَّةِ، بَل فِي إِيمَانِهِ؛ حَتَّى تُخرِجَهُ عَنِ الإِيمَانِ .

وكِلَا هَذَينِ الطَّرَفَينِ فَاسِدٌ .

والخَوَارِجُ، والرَّوَافِضُ، وغَيرُهُم مِن ذَوِي الأَهوَاءِ دَخَلَ عَلَيهِمُ الدَّاخِلُ مِن هَذَا .

ومَن سَلَكَ "طَرِيقَ الاعتِدَالِ :

"عَظَّمَ مَن يَستَحِقُّ التَّعظِيمَ"، و"أَحَبَّهُ"، و"وَالَاهُ"، و"أَعطَى الحَقَّ حَقَّهُ" .

فَـ"يُعَظِّمُ الحَقَّ"، و"يَرحَمُ الخَلقَ" .

ويَعلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ الوَاحِدَ تَكُونُ لَهُ "حَسَنَاتٌ"، و"سَيِّئَاتٌ"؛ فَيُحمَدُ، ويُـذَمُّ، ويُثَابُ، ويُعَاقَبُ، ويُحَبُّ مِن وَجهٍ، ويُبغَضُ مِن وَجهٍ .

هَذَا هُوَ مَذهَبُ أَهلِ السُّـنَّةِ والجَمَاعَـةِ، خِلَافًـا لِلخَـوَارِجِ، والمُعتَزِلَـةِ، ومَـن وَافَقَهُم» انتَهَى[1] .

❏ ❏ ❏

وقَالَ - أَيضًا- :

«**ولِـهَذَا وَجَبَ بَيَانُ "حَالِ مَن يَغلَطُ فِي الحَدِيثِ، والرِّوَايَةِ"، و"مَن يَغلَـطُ فِي الرَّأيِ، والفُتيَا"، و"مَن يَغلَطُ فِي الزُّهدِ، والعِبَادَةِ" .**

وإِن كَانَ المُخطِئُ المُجتَهِدُ، مَغفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ، وهُوَ مَأجُورٌ عَلَى اجتِهَادِهِ .

فَبَيَانُ القَولِ، والعَمَلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيهِ الكِتَابُ، والسُّنَّةُ وَاجِـبٌ؛ وَإِن كَـانَ فِي ذَلِكَ مُخَالَفَةٌ لِقَولِهِ، وعَمَلِهِ .

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٤/ ٥٤٣-٥٤٤) .

/ ١ / **ومَن عُلِمَ مِنهُ "الاجتِهَادُ السَّائِغُ"؛ فَلَا يَجُوزُ أَن يُذكَرَ عَلَى وَجهِ الذَّمِّ، والتَّأثِيمِ لَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُ خَطَأَهُ.**

بَل يَجِبُ لِمَا فِيهِ مِن الإِيمَانِ، والتَّقوَى "مُوَالَاتُهُ"، و"مَحَبَّتُهُ"، و"القِيَامُ بِمَا أَوجَبَ اللهُ مِن حُقُوقِهِ": مِن **"ثَنَاءٍ"**، و**"دُعَاءٍ"**، وغَيرِ ذَلِكَ» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - :

«وإِنَّمَا المَقصُودُ هُنَا التَّنبِيهُ علَى وَجهِ تَلَازُمِهِمَا مُوَالَاة المُفتَرِقِينَ، وإِن كَانَ كِلَاهُمَا فِيهِ بِدعَةٌ، وفُرقَةٌ، أَو كَانُوا مُؤمنينَ؛ فيُوَالَونَ بإِيمَانِهِم، ويُترَكُ مَا لَيسَ مِن الإِيمَانِ مِن بِدعَةٍ، وفُرقَةٍ؛ **فَإِنَّ "البِدعَة" مَا لَم يَشرَعهُ اللهُ مِن الدِّينِ؛ فَكُلُّ مَن دَانَ بشَيءٍ لَم يَشرَعهُ اللهُ؛ فَذَاكَ "بِدعَةٌ"**[2] - وإِن كَانَ مُتَأَوِّلًا فِيهِ - .

وهَذَا مَوجُودٌ مِن جَمِيعِ أَهلِ التَّأوِيلِ المُفتَرِقِينَ مِن الأَوَّلِينَ، والآخِرِينَ؛ فَإِنَّهُم إِذَا رَأَوا مَا فَعَلُوا مَأمُورًا بِهِ، ولَم يَكُن كَذَلِكَ؛ فَلَيسَ مَا فَعَلُوهُ **"سُنَّةً"**، بَل هُوَ **"بِدعَةٌ مُتَأَوَّلَةٌ مُجتَهَدٌ فِيهَا"** مِن المُنَافِقِينَ سَوَاءً كَانَت في الدُّنيَا، أَو في الدِّينِ» انتَهَى[3].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا - في هَذَا المَعنَى - وقَد تَقَدَّمَ - :

«ولِهَذَا وَقَعَ في مِثلِ هَذَا كَثِيرٌ مِن سَلَفِ الأُمَّةِ، وأَئِمَّتِهَا:

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٢٨/ ٢٣٢-٢٣٤).

(٢) وهَذَا ضَابطُ البدعَةِ، وتَقَدَّمَ شَيءٌ مِن هَذَا في المَعلَمِ الأَوَّلِ.

(٣) انظُر: «الاستِقَامَة» (١/ ٤٢).

لَـهُم "مَقَالَاتٌ" قَالُوهَا بِاجتِهَادٍ، وهِيَ تُخَالِفُ مَا ثَبَتَ في الكِتَابِ، والسُّـنَّةِ؛ بِخِلَافِ مَن :

"وَالَى مُوَافِقَهُ"، و"عَادَى مُخَالِفَهُ"، و"فَرَّقَ بَينَ جَمَاعَةِ المُسلِمِينَ" .

و"كَفَّـرَ، وفَسَّـقَ مُخَالِفَـهُ دُونَ مُوَافِقِـهِ في مَسَـائِلِ الآرَاءِ، والاجتِهَـادَاتِ"؛ و"استَحَلَّ قِتَالَ مُخَالِفِهِ دُونَ مُوَافِقِهِ"؛ فَهَـؤُلَاءِ مِـن أَهـلِ التَّفَـرُّقِ، والاختِلَافَـات» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

قُلتُ :

ومِـمَّا يَندَى لَهُ الجَبِينُ أَن تَـجِـدَ أُنَاسًا في زَمَانِنَا يُنَزِّلُونَ هَذَا الكَلامَ، وأَمثَالَـهُ فيمَن عُرِفَ بِـ"البِدَعِ"، و"رُكُوبِ الأَهوَاءِ"، و"مُخَالَفَـةِ مَـنهَجِ السَّـلَفِ الصَّـالِحِ"، و"الخُرُوجِ عَن جَمَاعَةِ المُسلِمِينَ"، وهَذا مِـمَّا فُتِنَ بِهِ بَعضُ الشَّبَابِ في هَـذَا الزَّمَـانِ، وحَصَلَت بِهِ "فِتَنٌ عَظِيمَةٌ" .

والحَاصِلُ: أَنَّ هَذَا مِن التَّلاعُبِ بِـ"كَلامِ أَهلِ العِلمِ"، ووَضعِهِ في غَيرِ سِيَاقِهِ، وتَنزِيلِهِ عَلَى مَن لا يُطَابِقُ "حَالُهُ" "حَالَهُ" .

ولَيسَ هُؤلاءِ "المُخَالِفِينَ" - الَّذِينَ يُطلَـبُ تَنزِيـلُ هَـذِهِ الأَحكَـامِ عَلَـيهِم- "مُجتَهِدِينَ"، ولا هُم "أَهلٌ للاجتِهَادِ السَّـائِغِ"، بَـل هُـم في "ركَـابِ أَهـلِ البِـدَعِ، والأَهوَاءِ" سَائِرُونَ، غَيرَ أَنَّهُم قَد يَكُونُونَ "جُهَّالًا"، أَو "مُقَلِّدِينَ"، واللهُ أَعلَمُ .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٣٤٨-٣٤٩) .

المَعلَمُ العُشرُونَ :

استِعمَالُ أَهلِ البِدَعِ، والضَّلالَاتِ، والأَهوَاءِ، والفِرَقِ، والتَّحَزُّبَاتِ الضَّيِّقَةِ عِندَ الرَّدِّ علَيهم، ومُنَاقَشَةِ بدَعِهِم، وأَهوَائهم طَرِيقَةً قَدِيمَةً جَدِيدَةً، وهِيَ :

إِلبَاسُ الرَّادِّ عَلَيهم، والمُنتَقِدِ لَهُم لِبَاسَ "حُبِّ الغِيبَةِ"، و"النَّمِيمَةِ"، و"الكَلَام في العُلَمَاءِ"، و"سَبِّهُم"، و"تَفرِيقِ الكَلِمَةِ"، و"الانشِغَالِ بعُيُوب النَّاسِ" عَن عَيبِ النَّفسِ، و"الوَلَعُ بتَصنِيفِ النَّاس"، و"تَركُ الانشِغَال بالعِلم"، و"العِبَادَةِ"، ونَحوِ ذَلكَ مِن الدَّعَاوَى الَّتِي إنَّما يُقصَدُ بهَا صَرفُ أَتبَاعِهم عَن "الانصَاتِ للنَّقدِ"، و"تَفَهُّمِهِ"، و"قَبُولِهِ" .

وهَذَا "المَسلَكُ البدعِيُّ" صُورَةٌ مِن صُوَرِ "إِيصَادِ بَابِ الأَمر بالمَعرُوفِ، والنَّهي عَن المُنكَرِ"، وهُوَ جُرمٌ كَبِيرٌ، ومُنكَرٌ عَظِيمٌ .

4 4 4

وقَد استُعمِلَ هَذَا المَسلَكُ معَ ابن تَيمِيَّةَ - كَمَا تَقَدَّمَ- في أَوَّل الكِتَابِ .

قَالَ الصُّوفِيُّ الغَالِي مُحَمَّدُ ابنُ السَّرَّاجِ الدِّمَشقِيُّ (ت٧٤٧) في نَصِيحَتِهِ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى ابنِ تَيمِيَّةَ، ومِمَّا قَالَ فِيهَا :

«طُوبَى لِمَن شَغَلَهُ "عَيبُهُ" عَن "عَيبِ النَّاسِ" !، وتَبًّا لِمَن شَغَلَتهُ "عُيُوبُ النَّاسِ" عَن "عَيبِهِ"، إِلَى كَم تَمدَحُ نَفسَكَ !، وشَقَاشِقَكَ !، وعِبَارَاتِكَ !!» .

إِلَى أَن قَالَ :

«يَا رَجُل بالله عَلَيكَ كُفَّ عَنَّا !!؛ فَإِنَّكَ مِحجَاجٌ !، عَلِيمُ اللِّسَانِ !، لا تَقَرُّ !، ولا تَنَامُ!» انتهى .



وقد أَحسَنَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى-؛ إذ قَالَ مُؤَصِّلًا :

«وهَذَانِ النَّوعَانِ يَجُوزُ فِيهِمَا "الغِيبَةُ" بِلَا نِزَاعٍ بَينَ العُلَمَاءِ :

أَحَدُهُمَا: أَن يَكُونَ الرَّجُلُ مُظهِرًا لِلفُجُورِ .

مِثلَ: الظُّلمِ، والفَوَاحِشِ، و"البِدَعِ المُخَالِفَةِ لِلسُّنَّةِ" .

فَإِذَا "أَظهَرَ المُنكَرَ" وَجَبَ "الإِنكَارُ عَلَيهِ" بِحَسَبِ القُدرَةِ .

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ، [وعَـلَى آلـهِ]، وسَـلَّمَ- : «مَـن رَأَى مِـنكُم مُنكَرًا؛ فَليُغَيِّرهُ بِيَدِهِ؛ فَإِن لَم يَستَطِع فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِن لَم يَستَطِع؛ فَبِقَلبِهِ، وذَلِكَ أَضعَفُ الإِيمَانِ» رَوَاهُ مُسلِمٌ.

وفي المُسنَدِ، والسُّنَنِ عَن أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ- أَنَّهُ قَالَ :

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُم تَقرَءُونَ القُرآنَ، وتَقرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ، وتَضَعُونَهَا عَلَى غَيرِ مَوَاضِعِهَا :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾

[المائدة/ ١٠٥].

وإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- يَقُولُ :

«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوا المُنكَرَ، ولَم يُغَيِّرُوهُ، أَوشَكَ أَن يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقَابٍ مِنهُ» .

فَمَن أَظهَرَ "المُنكَرَ" وَجَبَ "عَلَيهِ الإِنكَارُ"، وأَن "يُهجَرَ"، و"يُذَمَّ عَلَى ذَلِكَ"..» انتَهَى المُرَادُ[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٢٨/ ٢١٩-٢٢٩)، وانظُر: «الفَتَاوَى الكُبرَى» (٤/ ٤٧٦-٤٧٧).

وقَالَ الإِمَامُ الكَبِيرُ أَبُو نَصرٍ السِّـجِزيُّ (ت٤٤٤) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى - في رَدِّهِ الشَّهيرِ عَلَى الأَشَاعِرَةِ الكُلَّابيَّةِ **"رِسَالَةٌ إلى أَهلِ زَبيـد في الـرَّدِّ عَـلَى مَـن أَنكَـرَ الحَرفَ والصَّوتَ"**[1]:

«**ومِنهَا: مَا ارتَكَبَهُ أَهلُ الوَقتِ مِنهُم، خُصُوصاً مَن كَانَ مِنهُم مِـن المَغاربَـةِ، وهُوَ أَنَّ كُلَّ مَن يُخَالفُهم نَسَبُوهُ إلَى "سَبِّ العُلَمَاءِ" !.**

ليُنَفِّرُوا قُلُوبَ العَوَامِّ عَنهُ، وقَرَفُوهُ بأَقَاويلَ لا يَقُـولُ بهَـا، ولا يَعتَقِـدُهَا بُهتًـا مِنهُم، وكَذبًا[2]**؛ لأَنَّ البُهتَانَ، والكَذِبَ لا قُبحَ لَـهُمَا في العَقلِ!؛ وإنَّمَا عُلِـمَ قُـبحُهُمَا بالسَّمعِ !**[3].

والقَائلُونَ بخِلَافِ قَولِـهم "ضُلَّالٌ عِندَهُم"، ولا "حُرمَةَ لَـهُم!"» انتَهى.

❑ ❑ ❑

وقَالَ الإِمَامُ جَمَالُ الدِّين ابنُ عَبدِ الهَادِي (ت٩٠٩) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعالَى - في رَدِّهِ عَلَى الحَافِظِ ابنِ عَسَاكر الأَشعَرِيِّ:

«ثُمَّ أَخَذَ يَذكُرُ أَنَّ **لُـحُومَ العُلَمَاءِ مَسمُومَةٌ**[4]، وأَنَّ الوُقُوعَ فِيهِم أَمـرٌ عَظِـيمٌ، والتَّطَاوُلَ لأَعرَاضِهِم بِالزُّورِ، والافتِرَاءِ مَرتَع وَخِيمٌ، والاختِلافَ عَلَى مَنِ اختَارَهُ اللهُ مِنهُم؛ لَنَعشِ العِلم خُلُقٌ ذَمِيمٌ.

---

(١) (ص٣٠٨-٣٠٩).

(٢) قارن هَذَا بـمَا يَصنَعُهُ أَهلُ الأَهوَاء البدعِيَّةِ، والتَّعَصُّبَاتِ الحِزبيَّةِ في زَمَانكَ.

(٣) يُعَرِّضُ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - بقَول الأَشَاعرَةِ في مَسأَلَةِ التَّحسينِ، والتَّقبيحِ العَقليِّ.

(٤) مِـن أَوَّلِ مَن خَالفَ هَذِهِ الكَلِمةَ - ومَا أَقبحَ التَّعَصُّبَ - :

قَائلُهَا الحَافظُ ابنُ عَسَاكِر نَفسُهُ! حِينَ وَصفَ جَمَاعَةً مِـن عُلَـمَاءِ المُحَـدِّثينَ الَّـذينَ رَووا كِتَابَ أَبِي عَلِيٍّ الأَهوَازيِّ في مُثَالب الأَشعَرِيِّ؛ فَمَا كَانَ مِـن ابـن عَسَـاكِرٍ إلَّا أَن قَـالَ في «تبيـين كَذِب المُفتَرِي» (ص٤١٩) مَا حَرفُهُ: «**وإنَّمَا العَجَبُ مِن تُيُوسٍ سَمِعُوهُ مِنهُ !، وحَكَوهُ، وجُهَّالٍ**=

وقد صَدَقَ فِي ذَلِكَ .

هَذَا لِلعُلَمَاءِ، وأَمَّا مَن فِيهِ أَمرٌ، وبِدعَةٌ؛ فَبَيَانُ أَمرِهِ، وإِظهَارُهُ أَفضَلُ، كَمَا قَد نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الأَئِمَّةُ .

وأَمَّا مَا ذُكِرَ مِن نَهيِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- عَنِ الاغتِيَابِ؛ فَهَذَا لَيسَ هُوَ مِنَ "الاغتِيَابِ"؛ وإِنَّمَا هَذَا مِنَ الدِّينِ "الكَلامُ فِي المُبتَدِعِ"، و"إِظهَارُ بِدعَتِهِ"، و"الكَذَّابِ"، و"بَيَانِ كَذِبِهِ" مِنَ الدِّينِ المُتَعَيَّنِ .

وأَمَّا مَا ذُكِرَ مِن أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ- نَهَى عَن سَبِّ الأَموَاتِ .

فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى "وَجهِ التَّحذِيرِ" مِن أَن يُتَّبَعَ: غَيرُ مُمتَنِعٍ، والانتِصَارُ لأَهلِ البِدَعِ أَمرٌ مَذمُومٍ، أَذَمُّ مِنَ السَّبِّ .

ثُمَّ جَاءَ، وقَصَدَ الإِطَالَةَ، والشَّقَاشِقَ بِأَمرٍ خَارِجٍ؛ فَسَاقَ أَحَادِيثَ فِي لَعنِ آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، وفِيمَن كَتَمَ عِلمًا، ثُمَّ قَالَ بَعدَ ذَلِكَ: "فَالإِقدَامُ عَلَى الغِيبَةِ مَعَ العِلمِ بِتَحرِيمِهَا أَمرٌ كَبِيرٌ" ! .

ومَا وَرَدَ فِي النَّهيِ عَنهَا، وعَن سَبِّ الأَموَاتِ كَثِيرٌ؛ وإِنَّمَا الغِيبَةُ المُحَرَّمَةُ كَمَا قُلنَا .

= **كَتَبُوهُ عَنهُ، ورَوَوهُ»** !!، وهَذَا مِن السَّبِّ القَبِيحِ للعُلَمَاءِ الأَفَاضِلِ، وقَد بَيَّنتُ ذَلِكَ مَعَ مُنَاقَشَاتٍ عَدِيدَةٍ لِلحَافِظِ ابنِ عَسَاكِر فِي كِتَابِي "مَوقِفُ الإِمَامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ ابنِ قُدَامَةَ مِن أَبِي الحَسَنِ الأَشعَرِيِّ والأَشعَرِيَّة، وتَحقِيقِ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ لِهَذِهِ القَضِيَّةِ" - يَسَّرَ اللهُ نَشرَهُ- .

فَأَمَّا مَن كَانَ مِن "أَهلِ البِدَعِ"، أَو "الكَذِبِ"؛ فَلَيسَ ذَلِكَ فِيهِ بِـ"مُحَـرَّمٍ" .. »

انتَهَى[1] .

(١) انظُر: «جَمعَ الجُيُوشِ والدَّسَاكِرِ علَى ابن عَسَاكِر» (ص) .

المَعلَمُ الحَادي والعُشرُونَ :

لابُـدَّ مِن مَعرفَة أَسبَاب نُشُوء البِدَعِ، وظُهُـور المَقَـالَاتِ؛ لـيُمكِنَ عِلَاجُهَـا بأَحسَنِ العِلَاجِ، ومَن لَـم يَعرف أَسبَابَ المَقَالاتِ، وأُصُولـَهَا، وإن كَانَت بَاطِلَـةً، لَـم يَتَمَكَّن مِن مُدَاوَاةِ أَصحَابهَا، وإِزَالَةِ شُبُهَاتِهِم .

4 4 4

وقَد كَانَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالَى – مُعتَنيًـا بهَـذا المَعلَـم عِنَايَةً كَبيرَةً في جَميع رُدُودِهِ :

ومِن أَمثِلَةِ ذَلكَ :

/ ١ / قَولُهُ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى – في «رَدِّهِ علَى البَكريِّ» :

«وقَولُهُ: "مَن تَوَسَّلَ إِلى اللهِ بنَبيِّهِ في تَفريجِ كُربَةٍ، أَو استَغَاثَ بـهِ سَـوَاءً كَـانَ ذَلكَ بلَفظِ الاستِغَاثَةِ، أَو التَّوَسُّلِ، أَو غَيرِهِمَا ممَّا هُوَ في مَعنَاهُما" .

فهَذَا القَولُ لَـم يَقُلهُ أَحَدٌ مِن الأُمَمِ، بَل هُوَ ممَّـا اختَلَقَـهُ هَـذَا المُفـتَري؛ وإِلَّا فَليَنقُل ذَلكَ عَن أَحَدٍ مِن النَّاسِ ! .

ومَا زِلتُ أَتَعَجَّبُ مِن هَذَا "القَولِ" !، وكَيفَ يَقُولُهُ عَاقلٌ ؟ .

والفَرقُ وَاضحٌ بَينَ "السُّؤَالِ بالشَّخصِ"، و"الاستِغَاثَةِ بِهِ" .

وأُريدُ أَن أَعرِفَ مِن أَينَ دَخَلَ اللَّبسُ علَى هَؤُلاءِ الجُهَّالِ؛ فَإِنَّ مَعرفَةَ المَرَضِ، وسَبَبَهُ يُعِينُ عَلى مُدَاواتِهِ، وعِلَاجِهِ .

ومَن لَـم يَعرف "أَسبَابَ المَقَالاتِ" وإن كَانَت بَاطِلَةً، لَـم يَتَمَكَّن مِن مُدَاوَاةِ أَصحَابهَا، وإِزَالَةِ شُبُهَاتِهِم .

فَوَقَعَ لِي أَنَّ سَبَبَ هَذا الضَّلَالِ الاشتِبَاهُ عَلَيهِم أَنَّهُم .... إلى آخِرِهِ» انتَهَى المُرَادُ[1].

/ ٢/ ومِن أَمثِلَةِ ذَلكَ - أَيضًا- قَولُهُ فِي بَيَانِ سَبَبِ نُشُوء "مَقَالَةِ التَّعطِيل"، ومَبَدئهَا :

«ولَم يَعِبهُم قَطُّ بإثبَاتِ الصِّفَاتِ الَّتي يُسَمِّيهَا الجَهميَّةُ تَشبيهاً، ولا ذَكَرَ ذَلكَ مِن ذُنُوبهم، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم].

وهَذَا دَليلٌ قَاطعٌ علَى أنَّ هَذِهِ الصِّفَات في الجُملَةِ مُنَزَّلَةٌ مِن عِندِ الله، وأنَّها حَقٌّ، لَيسَت ممَّا افتَرَاهُ اليَهُودُ، وابتَدَعُوهُ، بَل ذَمَّهُم علَى كِتمَانِ ذَلكَ، وغيرِهِ، وعلى تَحريفِ الكَلمِ عَن مَوَاضِعِهِ.

فَإنَّ كَثيرًا مِنهُم يُحرِّفُونَ ذَلكَ، ويَكتُمُونَهُ أَكثَرَ مِن تَحريفِ الجَهميَّة المُنتَسِبينَ إلى الإسلَام، وأَكثَرَ مِن كِتمَانِهم.

وقَد رُوِيَ أنَّ **"الجَهمَ بنَ صَفوَانَ" أَخَذَ هَذا المَذهبَ الَّذي يتَأَوَّلُ فِيهِ الصِّفَاتِ عَن "الجَعدِ بنِ دِرهَم"، والجَعدُ أَخَذَهُ عَن "بَيَانِ بنِ سَمعَانَ"، وأَخَذَهُ بَيَانٌ مِن "طَالوتِ بنِ أُختِ لَبِيدِ بنِ أَعصَم"، وأَخَذَهُ طَالُوتُ مِن "لَبيدِ بنِ أَعصَمَ السَّاحِر" الَّذِي سَحَرَ النَّبيَّ** - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ-.

وهُوَ مِن أَعظَم مَن نَزَلَ فيهِ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ [البقرة]» انتَهى[2].

وقَالَ أَيضًا :

---

(١) انظُر: «الرَّدُّ علَى البَكريِّ» (١/ ١٨٢).

(٢) انظُر: «بيَانَ تَلبيس الجَهميَّة في تَأسيس بدَعهم الكَلاميَّة» (٦/ ٣١٥-٣١٦).

«ثُمَّ "أَصلُ هَذِهِ المَقَالَةِ" – "مَقَالَةِ التَّعطِيلِ لِلصِّفَاتِ" – :

إِنَّمَا هُوَ مَأخُوذٌ عَن "تَلَامِذَةِ اليَهُودِ، والمُشرِكِينَ، وضُلَّالِ الصَّابِئِينَ" .

فَإِنَّ أَوَّلَ مَن حُفِظَ عَنهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ المَقَالَةَ في الإِسلَامِ – أَعنِي: **أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وتَعَالَى لَيسَ عَلَى العَرشِ حَقِيقَةً، وأَنَّ مَعنَى استَوَى بِمَعنَى استَولَى**، ونَحوَ ذَلِكَ – هُوَ "**الجَعدُ بنُ دِرهَمٍ**"، وأَخَذَهَا عَنهُ "**الجَهمُ بنُ صَفوَانَ**"؛ وأَظهَرَهَا؛ فَنُسِبَت "**مَقَالَةُ الجَهمِيَّةِ إِلَيهِ**" .

وقَد قِيلَ: إِنَّ "الجَعدَ" أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَن "أَبَانَ بنِ سَمعَانَ"، وأَخَذَهَا أَبَانُ عَن "طَالُوتَ بنِ أُختِ لَبِيَدِ بنِ الأَعصَمِ"، وأَخَذَهَا طَالُوتُ مِن "لَبِيَدِ بنِ الأَعصَمِ": اليَهُودِيِّ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، [وعَلَى آلِهِ]، وسَلَّمَ– .

وكَانَ الجَعدُ بنُ دِرهَمٍ هَذَا – فِيمَا قِيلَ – مِن أَهلِ حَرَّانَ، وكَانَ فِيهِم خَلقٌ كَثِيرٌ مِن الصَّابِئَةِ، والفَلَاسِفَةِ – بَقَايَا أَهلِ دِينِ نَمرُودٍ، والكَنعَانِيِّينَ، الَّذِينَ صَنَّفَ بَعضُ المُتَأَخِّرِينَ في سِحرِهِم – ونُمرُودٌ هُوَ مَلِكُ الصَّابِئَةِ الكَلدَانِيِّينَ المُشرِكِينَ كَمَا أَنَّ كِسرَى مَلِكُ الفُرسِ، والمَجُوسِ، وفِرعَونَ مَلِكُ مِصرَ، والنَّجَاشِيَّ مَلِكُ الحَبَشَةِ، وبَطلِيمُوسَ مَلِكُ اليُونَانِ، وقَيصَرَ مَلِكُ الرُّومِ .

فَهُوَ "**اسمُ جِنسٍ**" لا اسمَ عَلَمٍ .

فَكَانَت الصَّابِئَةُ – إِلَّا قَلِيلًا مِنهُم–؛ إِذ ذَاكَ عَلَى الشِّركِ، وعُلَمَاؤُهُم هُم الفَلَاسِفَةُ، وإِن كَانَ الصَّابِئُ قَد لَا يَكُونُ مُشرِكًا؛ بَل مُؤمِنًا بِاللهِ، واليَومِ الآخِرِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة] .

وقَــالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [المائدة] .

لَكنَّ كَثِيرًا مِنهُم، أَو أَكثَرَهُم كَانُوا كُفَّـارًا، أَو مُشــرِكِينَ؛ كَـمَا أَنَّ كَثـيرًا مِـن اليَهُـودِ، والنَّصَـارَى بَـدَّلُوا، وحَرَّفُـوا، وصَـارُوا كُفَّـارًا، أَو مُشــرِكِينَ؛ فَأُولَئِـكَ الصَّابِئُونَ - الَّذِينَ كَانُوا إذ ذَاكَ - كَـانُوا كُفَّـارًا، أَو مُشــرِكِينَ، وكَـانُوا يَعبُـدُونَ الكَوَاكِبَ، ويَبنُونَ لَـهَا الـهَيَاكِلَ. .. - إلَى آخِرِ كَلامِهِ-» انتَهى[1] .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُـر: «الفَتـوَى الحَمَوِيَّـة الكُـبرَى» (ص٢٣٢-٢٣٩)، و«مَجمُـوعَ الفتَـاوى» (٥/ ٢٠-٢١) .

المَعلَمُ الثَّاني والعُشرُونَ :

يَجبُ في "بَاب الرَّدِّ عَلى أَهل البِدَع" :

"حُسنُ القَصدِ"، و"ابتِغَاءُ وَجهِ الله تعَالى"، و"قَصدُ بَيَـانِ الحَـقِّ"، و"هِدَايَـةُ الخَلقِ"، و"رَحمَتُهُم"، و"الإِحسَانُ إِلَيهِم" .

وإلَّا كَانَ "عَمَلًا غَيرَ صَالحٍ"، و"سَعيًا غَيرَ مُوَفَّقٍ، ولا نَاجِحٍ"، وسُرعَانَ مَـا يُخذَلُ صَاحِبُهُ، ويُعَرَّضُ للعُقُوبَةِ، والإِثم .

و"بَابُ الرَّدِّ عَلى أَهل البِدَع" : مِـن "الـدَّعوَةِ إِلَى الله تَعَـالى"؛ لأَنَّـهُ دَعـوَةٌ إِلَى لُزُومِ "الحَقِّ" .

ولا بُدَّ في الدَّعوَةِ إِلَى الله تَعَالى مِن "الإِخلَاصِ"؛ فَلا يُفَارِقُهَا، ويَكُونُ الدَّاعي إِلى الله رَقيبًا عَلَى قَلبِهِ، شَاهِدًا عَلَى نِيَّتِهِ؛ «لأَنَّ كَثيرًا مِن النَّاسِ لَو دَعَا إِلى الحَقِّ؛ فهُوَ إِنَّمَا يَدعُو إِلَى نَفسِهِ»[1] .

4 4 4

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- :

«وهَكَذَا "الرَّدُّ عَلَى أَهلِ البِدَعِ" مِنَ الرَّافِضَةِ، وغَيرِهِم :

إِن لَـم يُقصِد فِيهِ بَيَانُ الحَقِّ، وهُدَى الخَلقِ، ورَحمَتُهُم، والإِحسَانُ إِلَيهِم، لَـم يَكُن عَمَلُهُ صَالحًا .

وإِذَا غَلَّظَ في ذَمِّ بِدعَةٍ، ومَعصِيَةٍ كَانَ قَصدُهُ :

بَيَانَ مَا فِيهَا مِنَ الفَسَادِ؛ لِيَحذَرَهَا العِبَادُ، كَمَا في نُصُوصِ الوَعِيدِ، وغَيرِهَا.

---

(١) كَمَا قَالَ شَيخُ الإِسلامِ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّاب (ت١٢٠٦) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى- في "كِتَاب التَّوحِيدِ" في مَسَائِلِ "بَابِ الدُّعَاء إِلَى شَهَادَة أَن لا إِلَه إِلَّا الله" .

وقَد يُهجَرُ الرَّجُلُ عُقُوبَةً، وتَعزِيرًا، والمَقصُودُ بِـذَلِكَ رَدعُـهُ، ورَدَعُ أَمثَالِـهِ، لِلرَّحمَةِ، والإِحسَانِ، لا للتَّشَفِّي، والانتِقَامِ» انتَهى[1].

وقَالَ – أَيضًا– :

«ولا رَيبَ أَنَّ للأَشعَرِيِّ في "الرَّدِّ عَلَى أَهلِ البِدَعِ"، كَلَامًـا حَسَـنًا؛ هُـوَ مِـن الكَلَامِ المَقبُولِ، الَّذي يُحمَدُ قَائِلُهُ؛ إِذَا أَخلَصَ فِيهِ النِّيَّةَ .

ولَهُ أَيضًا كَلَامٌ خَالَفَ بِهِ بَعضَ السُّنَّةِ، هُوَ مِن الكَلَامِ المَردُودِ، الَّذِي يُـذَمُّ بِـهِ قَائِلُهُ؛ إِذَا أَصَرَّ عَلَيهِ بَعدَ قِيَامِ الحُجَّةِ .

وإِن كَانَ "الكَلَامُ الحَسَنُ" لَـم يُخلِـص فِيـهِ النِّيَّـةَ، و"الكَـلَامُ السَّـيِّئُ" كَـانَ صَاحِبُهُ مُجتَهِدًا، مُخطِئًا، مَغفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ :

لَـم يَكُن فِي وَاحِدٍ مِنهُمَا "مَدحٌ"، ولَا "ذَمٌّ"، بَل يُحمَدُ نَفسُ "الكَلَامِ المَقبُولِ"، المُوَافِقِ لِلسُّنَّةِ، ويُذَمُّ "الكَلَامُ المُخَالِفُ لِلسُّنَّةِ"» انتَهى[2].

❑ ❑ ❑

وقَالَ – أَيضًا– :

«و"الأَمرُ بِالسُّنَّةِ"، و"النَّهيُ عَنِ البِدعَةِ" هُوَ "أَمرٌ بِمَعـرُوفٍ"، و "نَهـيٌ عَـن مُنكَرٍ" .

وهُوَ مِن أَفضَلِ "الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ"؛ فَيَجِـبُ أَن "يُبتَغَـى بِـهِ وَجـهُ اللهِ"، وأَن يَكُونَ "مُطَابِقًا للأَمرِ" .

---

(١) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» (٥/ ٢٣٩) .

(٢) انظُر: «الفَتَاوى الكُبرَى» (٦/ ٦٦٣) .

وفي الحَدِيثِ[(١)]: «مَن أَمَرَ بِالمَعرُوفِ، ونَهَى عَنِ المُنكَرِ؛ فَيَنبَغِي أَن يَكُونَ عَلِيمًا بِمَا يَأمُرُ بِهِ، عَلِيمًا بِمَا يَنهَى عَنهُ، رَفِيقًا فِيمَا يَأمُرُ بِهِ، رَفِيقًا فِيمَا يَنهى عَنهُ، حَلِيمًا فِيمَا يَأمُرُ بِهِ، حَلِيمًا فِيمَا يَنهَى عَنهُ».

فـ"العِلمُ" قَبلَ "الأَمرِ"، و"الرِّفقُ" مَعَ "الأَمرِ"، و"الحِلمُ" بَعدَ "الأَمرِ".

فَإِن لَـم يَكُن "عَالِمًا" لَـم يَكُن لَهُ أَن يَقفُوَ مَا لَيسَ لَهُ بِهِ عِلمٌ.

وإِن كَانَ "عَالِمًا"، ولَـم يَكُن "رَفِيقًا"، كَـانَ كَالطَّبِيبِ الَّـذي لَا رِفـقَ فِيـهِ؛ فَيُغلِظُ عَلَى المَرِيضِ؛ فَلَا يَقبَلُ مِنهُ، وكَالمُؤَدِّبِ الغَلِيظِ الَّذي لا يَقبَلُ مِنهُ الوَلَدُ.

وقَد قَالَ تَعَالَى لِمُوسَى، وهَارُونَ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه].

ثُمَّ إِذَا "أَمَـرَ"، و"نَهَـى"؛ فَـلَا بُـدَّ أَن يُـؤذَى في العَـادَةِ؛ فَعَلَيـهِ أَن "يَصـبِرَ"، و"يَحلُمَ".

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان].

وقَد أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِـ"الصَّبرِ" عَلَى أَذَى المُشرِكِينَ في غَيرِ مَوضِعٍ، وهُوَ إِمَامُ الآمِرِينَ بِالمَعرُوفِ، النَّاهِينَ عَنِ المُنكَرِ.

---

(١) بَيَّنَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - في مَوضعٍ آخَرَ: «أَنَّ هذا الأَثَرَ جاءَ عَن بَعضِ السَّلَفِ، ورَوَوهُ مَرفُوعًا؛ ذَكَرَهُ القَاضِي أَبُو يَعلَى في "المُعتَمَدِ"» انتَهَى مِن «مَجمُوعِ الفتَاوى» (٢٨/ ١٣٧).

وانظُر: «مُختَصَرَ المُعتَمَد في أُصُول الدِّين» (ص١٧٠/ ت مَشاعل باقاسي/ جَامعَة أُم القُرى)، والأَثَر نُقِلَ مِن قَول الثَّوريِّ، والمَرفُوع عَن أُسَامَة بنِ زَيدٍ، ولَم أَقف - الآنَ - عَلى إِسنَادِهِ، وانظُر: تَحقِيقَ المَذكُورَة - جَزَاهَا الله خَيرًا -.

فَإِنَّ الإِنسَانَ عَلَيهِ – أَوَّلًا– أَن يَكُونَ أَمرُهُ لله، وقَصدُهُ طَاعَةَ الله فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ.

وهُوَ يُحِبُّ صَلَاحَ المَأمُور، أَو إِقَامَةَ الحُجَّةِ عَلَيهِ .

فَإِن فَعَلَ ذَلِكَ لِـ"طَلَبِ الرِّيَاسَةِ" لِنَفسِهِ، ولِطَائِفَتِهِ، وتَنقِيصِ غَيرِهِ كَانَ ذَلِكَ "حَمِيَّةً لَا يَقبَلُهُ اللهُ" .

وكَذَلكَ إِذَا فَعَلَ ذَلكَ لِـ"طَلَبِ السُّمعَةِ، والرِّيَاءِ" كَانَ عَمَلُهُ حَابِطًا .

ثُمَّ إِذَا رُدَّ عَلَيهِ ذَلكَ، وأُوذِيَ، أَو نُسِبَ إِلَى أَنَّهُ مُخطِئٌ، وغَرَضُهُ فَاسِدٌ ! .

طَلَبَت نَفسُهُ الانتِصَارَ لِنَفسِهِ ![1]، وأَتَاهُ الشَّيطَانُ .

فَكَانَ "مَبدَأُ عَمَلِهِ لله"، ثُمَّ صَارَ لَهُ "هَوًى" يَطلُبُ بِهِ أَن يَنتَصِرَ عَلَى مَن آذَاهُ، ورُبَّمَا اعتَدَى عَلَى ذَلِكَ المُؤذِي .

وهَذَا يُصِيبُ أَصحَابَ المَقَالَاتِ المُختَلِفَةِ ..» انتَهى[2] .

❑ ❑ ❑

---

(١) وهَذَا مَزلَقٌ خَطِيرٌ جِدًّا، لا يَسلَمُ مِنهُ إِلَّا مَن سَلَّمَهُ اللهُ .

(٢) انظُر: «مِنهَاجَ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ» (٥/ ٢٥٣-٢٥٥) .

المَعلَمُ الثَّالثُ والعُشرُونَ :

مِن جَليلِ مَنهَجِ السَّلَفِ الصَّالحِ "هُجرَانُ أَهل البِدَعِ" :

والمَقصُودُ مِنهُ : "تَركُ سَيِّئَةِ البِدعَةِ"، والزَّجرُ عَنهَا؛ لِيَلتَزِمَ النَّاسُ السُّنَّةَ، والإِيمَانَ، والجَمَاعَةَ .

ويُقصَدُ مِن هَجر أَهل الأَهوَاءِ والبدَعِ - أَيضًا - :

"إِحيَاءُ شَعيرَةِ الجِهَادِ فِي سَبيلِ الله تَعَالَى"، و"القِيَامُ بوَاجب الأَمر بالمَعرُوفِ، والنَّهي عَن المُنكَرِ"، و"عُقُوبَةِ الظَّالِمِينَ" حَسَبَ مَا تَقتَضيهِ الشَّريعَةُ .

فَكَانَ هَذَا "الحُكمُ" مُرتبطًا بـ"تَحقيقِ مَصَالِحِهِ" المَقصُودَةِ مِنهُ .

فَظَهَرَ أَنَّهُ مَوضِعُ تَفصيلٍ، لا يُطلَقُ فِيهِ القَولُ، والعَمَلُ، بَل يُنظَرُ إِلَى تَحَقُّقِ "المَصلَحَةِ الشَّرعِيَّةِ" .

ولِهَذَا فَيَجبُ الفَرقُ بَينَ "القَادِرِ"، و"العَاجِزِ"، وبَينَ "قِلَّةِ نَوعِ الظَّالِمِ المُبتَدِعِ"، و"كَثرَتِهِ"، و"قُوَّتِهِ"، و"ضَعفِهِ" .

ومَن عَجَزَ عَن إظهَارِ العَدَاوَةِ لَهُم سَقَطَ عَنهُ الأَمرُ بِفعلِ هَذِهِ الحَسَنَةِ، وكَانَ عَلَيهِ مُدَارَاتُهم؛ دَفعًا للضَّررِ عَن المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، ولَعَلَّهُ أَن يَكُونَ فِيهِ تَألِيفُ الفَاجِرِ القَوِيِّ .

ولا يَعني هَذَا مَدحَ بدَعِهم، ونَصرَهَا، والثَّنَاءَ عَلَى رُؤُوسِ البدَعِ، والأَهوَاءِ، وذَمَّ السُّنَّةِ، وأَهلَهَا، وإِذَا زَالَ عَنهُ العَجزُ عَادَ إِلَى العَمَل بِمَا يَجِبُ عَلَيهِ مِن هِجرَانِهِم، وذَمِّهِم، وذَمِّ بدَعِهم .

وتَجَاوَزَ قَومٌ؛ فَجَعَلُوا هَذَا البَابَ عَامًّا؛ فَقَامُوا بـ"الهَجرِ"، و"الإِنكَار" فِي أَحوَالٍ، لَم يُؤمَرُوا فِيهَا بذَلكَ؛ فتَجَاوَزُوا ووَقَعُوا فِي مَآثِمَ .

وبِضِـدِّ هَـؤُلاءِ قَومٌ "أَعرَضُوا عَن هَـذَا البَـاب بِالكُلِّيَّـةِ"، فَـلا يَنهَـونَ عَـن "السَّيِّئَاتِ البِدعِيَّةِ" غَيرَهُم، ولا يُعَاقِبُونَ بِالـهِجرَةِ، ونَحوِهَا مَن يَستَحِقُّ العُقُوبَـةَ عَلَيهَا ؛ بَل تَرَكُوهَا "تَركَ المُعرِضِ" عَنهَا؛ لَا "تَركَ المُنتَهِي الكَارِهِ" لَـهَا .

والحَقُّ وَسَطٌ بَينَ الطَّائفَتَينِ .

4 4 4

وفي تَقرير هَذَا يَقُولُ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ – رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

«فَـلِـهَــذَا اختَلَـفَ حُكـمُ الشَّــرعِ في نَـوعَي الهِجـرَتَينِ : بَـينَ "القَـادِرِ"، و"العَاجِزِ"، وبَينَ "قِلَّةِ نَوعِ الظَّالِـمِ المُبتَدِعِ"، و"كَثرَتِهِ"، و"قُوَّتِهِ"، و"ضَعفِهِ" .

كَمَا يَختَلِفُ الحُكـمُ بِـذَلِكَ في سَـائِرِ أَنـوَاعِ الظُّلـمِ مِـن الكُفـرِ، والفُسُـوقِ، والعِصيَانِ .

فَإِنَّ كُلَّمَـا حَرَّمَهُ اللهُ؛ فَهُوَ ظُلمٌ؛ إمَّا في حَقِّ اللهِ – فَقَط-؛ وإِمَّا في حَقِّ عِبَادِهِ، وإِمَّا فِيهِمَا .

ومَا أَمَرَ بِهِ مِن "هَجرِ التَّركِ"، و "الانتِهَاءِ"، و "هَجرِ العُقُوبَةِ"، و "التَّعزِيرِ"؛ إِنَّمَا هُوَ إِذَا لَـم يَكُن فِيهِ "مَصلَحَةٌ دِينِيَّةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى فِعلِهِ" .

وإِلَّا فَإِذَا كَانَ في "السَّيِّئَةِ حَسَـنَةٌ رَاجِحَـةٌ"، لَـم تَكُـن سَـيِّئَةً، وإِذَا كَـانَ في العُقُوبَةِ مَفسَدَةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى الجَرِيمَةِ، لَـم تَكُن حَسَنَةً؛ بَل تَكُونُ سَيِّئَةً؛ وإِن كَانَـت مُكَافِئَةً لَـم تَكُن حَسَنَةً، ولَا سَيِّئَةً .

فَالـهِجرَانُ قَد يَكُونُ مَقصُودُهُ :

"تَركَ سَيِّئَةِ البِدعَةِ" الَّتِي هِيَ ظُلمٌ، وذَنبٌ، وإِثمٌ، وفَسَادٌ .

وقَد يَكُونُ مَقصُودُهُ:

"**فِعلَ حَسَنَةِ الجِهَـادِ، والنَّهـيَ عَـن المُنكَـرِ، وعُقُوبَـةَ الظَّـالِمِينَ**"؛ لِيَنزَجِـرُوا، ويَرتَدِعُوا .

ولِـ"**يَقوَى الإِيمَانُ**"، و"**العَمَلُ الصَّالِحُ**" عِندَ أَهلِهِ .

فَإِنَّ "**عُقُوبَةَ الظَّالِـمِ**" تَمنَعُ النُّفُوسَ عَن ظُلمِهِ، وتَحُضُّهَا عَلَى فِعلِ ضِدِّ ظُلمِهِ: مِن الإِيمَانِ، والسُّنَّةِ، ونَحوِ ذَلِكَ .

فَإِذَا لَـم يَكُن فِي "**هِجرَانِهِ**" "**انزِجَارُ أَحَدٍ**"، ولَا "**انتِهَاءُ أَحَدٍ**"؛ بَـل "**بُطـلَانُ كَثِيرٍ مِن الحَسَنَاتِ المَأمُورِ بِهَا**"، لَـم تَكُن "**هِجرَةً مَأمُورًا بِهَا**" .

كَـمَا ذَكَـرَهُ أَحمَـد عَـن أَهـلِ خُرَاسَـانَ إِذ ذَاكَ: "**أَنَّهُـم لَـم يَكُونُـوا يَقـوَونَ بِالجَهمِيَّة**" .

فَإِذَا عَجَزُوا عَن "**إِظهَارِ العَدَاوَةِ لَـهُم**" سَقَطَ الأَمرُ بِفِعلِ هَذِهِ الحَسَنَةِ، وكَانَ مُدَارَاتُهُم فِيهِ دَفعَ الضَّرَرِ عَن المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، ولَعَلَّهُ أَن يَكُونَ فِيهِ تَألِيفُ الفَـاجِرِ القَوِيِّ .

وكَذَلِكَ لَـمَّا كَثُرَ القَدَرُ فِي أَهلِ البَصـرَةِ؛ فَلَـو تُـرِكَ رِوَايَـةُ الحَـدِيثِ عَـنهُم؛ لَاندَرَسَ العِلمُ، والسُّنَنُ، والآثَارُ المَحفُوظَةُ فِيهِم .

فَإِذَا تَعَذَّرَ "**إِقَامَةُ الوَاجِبَاتِ مِن العِلمِ، والجِهَادِ**"، وغَـيرِ ذَلِـكَ إِلَّا بِمَـن فِيـهِ "**بِدعَةٌ**" مَضَرَّتُهَا دُونَ مَضَرَّةِ تَركِ ذَلِكَ الوَاجِبِ :

كَانَ تَحصِيلُ "**مَصلَحَةِ الوَاجِبِ**" مَـعَ "**مَفسَـدَةٍ مَرجُوحَـةٍ**" مَعَـهُ خَـيرًا مِـن العَكسِ[١] .

ولِـهَذَا كَانَ الكَلَامُ فِي هَذِهِ المَسَائِلِ فِيهِ تَفصِيلٌ .

---

(١) تَأَمَّل هَذَا .

وكَثِيرٌ مِن أَجوبَةِ الإِمَامِ أَحمَد، وغَيرِهِ مِن الأَئِمَّةِ :

خَرَجَ عَلَى سُؤَالِ سَائِلٍ، قَد عَلِمَ المَسئُولُ حَالَهُ، أَو خَرَجَ خِطَابًا لِـمُعَيَّنٍ، قَد عَلِمَ حَالَهُ؛ فَيَكُونُ بِمَنزِلَةِ قَضَايَا الأَعيَانِ الصَّادِرَةِ عَن الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ؛ **إِنَّمَا يَثبُتُ حُكمُهَا فِي نَظِيرِهَا**[1] .

فَإِنَّ "**أَقوَامًا جَعَلُوا ذَلِكَ عَامًّا**"؛ فَاستَعمَلُوا مِن "**الـهَجرِ**"، و"**الإِنكَارِ**" مَا لَـم يُؤمَرُوا بِهِ؛ فَلَا يَـجِبُ، ولَا يُستَحَبُّ، ورُبَّمَا تَرَكُوا بِهِ وَاجِبَاتٍ، أَو مُستَحَبَّاتٍ، وفَعَلُوا بِهِ مُحَرَّمَاتٍ[2] ! .

وآخَرُونَ "**أَعرَضُوا عَن ذَلِكَ بِالكُلِّيَّةِ**"؛ فَلَم "**يَهجُرُوا مَا أُمِرُوا بِهَجرِهِ**" مِن "**السَّيِّئَاتِ البِدعِيَّةِ**"؛ بَل تَرَكُوهَا "**تَركَ المُعرِضِ**"؛ لَا "**تَركَ المُنتَهِي الكَارِهِ**"، أَو وَقَعُوا فِيهَا .

وقَد يَترُكُونَهَا "**تَركَ المُنتَهِي الكَارِهِ**"، **ولَا يَنهَونَ عَنهَا غَيرَهُم، ولَا يُعَاقِبُونَ بِالـهِجرَةِ، ونَحوِهَا مَن يَستَحِقُّ العُقُوبَةَ عَلَيهَا**[3] .

فَيَكُونُونَ قَد ضَيَّعُوا مِن النَّهيِ عَن المُنكَرِ مَا أُمِرُوا بِهِ إِيجَابًا، أَو استِحبَابًا؛ فَهُم بَينَ "**فِعلِ المُنكَرِ**"، أَو "**تَركِ النَّهيِ عَنهُ**"، وذَلِكَ "**فِعلُ مَا نُهُوا عَنهُ**"، و"**تَركُ مَا أُمِرُوا بِهِ**"؛ فَهَذَا هَذَا .

ودِينُ اللهِ وَسَطٌ بَينَ الغَالِي فِيهِ، والجَافِي عَنهُ، واللهُ سُبحَانَهُ أَعلَمُ» انتَهى[4] .



---

(١) تَأَمَّل هَذَا .

(٢) تَأَمَّل هَذَا .

(٣) تَأَمَّل هَذَا .

(٤) انظُر: «مَجمُوعَ الفتَاوى» (٢٨/ ٢١١-٢١٣) .

خَـاتِـمَـةٌ :

تَـمَّ الكِتَابُ، ولله العِظيمِ الكَريمِ الحَليمِ العَليمِ الحَمـدُ كُلُّـهُ، ولَـهُ الفَضـلُ، ومِنهُ وَحدَهُ الإِحسَانُ، أَن يَسَّـرَ هَذَا الجَمعَ المُبَاركَ النَّافعَ - إِن شَاءَ اللهُ تَعَالى- .

فَاللهَ العَزيزَ الكَريمَ أَسأَلُ أَن يَحفَظَ هَذهِ الأُمَّةَ المبَارَكَـةَ، وأَن يَصـرِفَ عَنهَـا كَيدَ الكُفَّار، وشُرُورَ الفُجَّار، وأَن يُصلِحَها، ويُهيِّءَ لـهَا نَصـرًا، وعِـزًّا، ويَهـديَ المُسلِمِينَ جَميعًا إِلَى الطَّريقِ الأَقوَم، والهَدي الأَمثَلِ، طَريقِ رَسُـول الله - صَـلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلهِ، وسَلَّمَ- .

وأَن يُوَفِّقَ وُلَاةَ أُمُور المُسلِمِينَ إِلَى العَمَل بكِتَابهِ، ولُزُوم شَرعِهِ، ويَحفَظَ دِيَارَ المُسلِمِينَ مِن شُـرُور الفِـتَـنِ، ويَتَولَّانَا برَحمَتِهِ، وفَضلِهِ، وإحسَانِهِ .

وصَلَّى اللهُ علَى نَبيِّنَا مُحَمَّدٍ وعلَى آلهِ، وصَحبهِ، وسَلَّمَ .

تَمَّ الكِتَابُ في يَومِ السَّبتِ السَّادسِ مِن ذِي الحِجَّةِ لـعَامِ ١٤٤٤
وتَـمَّت مُرَاجَعَتُهُ لَيلَةَ الثُّلَاثَاءِ الـسَّادسِ عَشَرَ مِن ذِي الحِجَّةِ لعَامِ ١٤٤٤
مَدينَةَ رَسُول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلهِ، وسَلَّمَ-

4 4 4

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

وحَقيقَتُهُ "التَّحريفُ"	
المَعلَمُ الحَادي عَشَرَ : عَامَّةُ أَهل البِدَع، والأَهوَاءِ المُضلَّةِ : إنَّما يَنتَصِرُونَ لأَهوَائهم الَّتي يَتَعَصَّبُونَ لَـهَا، ويُوَالُونَ فِيهَا، ويُعَادُونَ عَلَيهَا، لا لِتكُونَ كَلمَةُ الله هِيَ العُليَا	٢٠٦
المَعلَمُ الثَّاني عَشَرَ : اختِلافُ أَهل البدَعِ، والأَهوَاءِ اختِلافٌ مَذمُومٌ، ولَيسَ فيهِ وَجهٌ للمَدحِ، وأَصلُ اختلَافِهم سَبَبُهُ الإعرَاضُ عَن الحُجَّةِ، والعِلم، وسُلُوكُ جَادَّةِ البَغي، والظُّلم بَعدَ بُلُوغ العِلم لَـهُم .	٢١٠
المَعلَمُ الثَّالثُ عَشَرَ : مِن أَعظَم أَسبَابِ "ظُهُور البِدَعِ"، و"الضَّلالاتِ" في الأُمَّةِ : تَقصِيرُ مَن قَصَّرَ مِن عُلَمَاءِ أَهلِ السُّنَّةِ في إظهَارِ السُّنَّةِ، والـهُدَى، وإِعلَانِ مَذهَب أَهل السُّنَّة، وطَرِيقَةِ السَّلَف الصَّالح في أَبوَاب العَقَائدِ، ونَشرِ ذَلكَ، وإِشهَارِهِ، والعَمَلِ بِهِ، والدَّعوَةِ إلَيهِ	٢١٦
المَعلَمُ الرَّابعُ عَشَرَ: أَهلُ البِدَعِ في أُصول الدِّينِ وأَتبَاعُهُم أَصنَافٌ، وهُم دِرَجَاتٌ، فَيَجِبُ مَعرِفَةُ ذَلكَ بـ "عِلم"، و "بَصيرَةٍ"، و "تَقوَى لله"؛ لأَنَّهُ يُوجِبُ اختِلَافَ أَحكَامِهم؛ فَلَيسَ المُبتَدعُ الغَالي كَالمُتَوَسِّطِ، ولا البدَعُ الغَليظَةُ كالبدَع الدَّقِيقَةِ، والخَفيفَةِ .	٢٢١
المَعلَمُ الخَامسُ عَشَرَ: أَهلُ العِلم الذَّابُّونَ عَن "حِيَاضِ الدِّينِ"، الحَارِسُونَ لـ "ثُغُورِ السُّنَّةِ"، "الرَّادُّونَ عَلَى أَهل البِدَعَ بدَعَهُم"، و"أَهلِ الأَهوَاءِ أَهوَاءَهُم"، هُم عَلَى جِهَادٍ مِن أَعظَم الجِهَادِ في سَبيلِ الله تَعَالى ، وهُم في ذَلكَ دَرَجَاتٌ، ولا يُكَلَّفُ العَالِـمُ الغَيُورُ عَلَى دِينِ الله تَعَالى إلَّا بمَا يَستَطيعُهُ؛ ولِـهَذَا تتنوَّعُ الجُهُودُ، وتَتَكَامَلُ في مَجمُوعِهَا	٢٢٦